القَوْلُ البَلِيغ

فِي التَّحْذِيرِ مِن جَمَاعَةِ التَّبْلِيغ

تـأليف

الفقير إلى الله تعالى

حمود بن عبد الله بن حمود التويجري

رحمه الله

١٣٣٤هـ - ١٤١٣هـ

دار الصميعي

للنشر والتوزيع



القول البليغ

في التحذير من جماعة التبليغ

الطّبعَة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية

القَوْلُ البَلِيغ

في التّحذير من جماعة التّبليغ

القِسمُ الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهٰذا جواب كتاب أرسله بعض الإخوان إليَّ، ومضمونه السؤال عن جماعة التبليغ، وعن كثرة الأقوال فيهم بين مؤيِّد لهم ومستنكر لأعمالهم، وذكر السائل أنه قرأ فتوى من الشيخ محمد بن إبراهيم تتضمَّن التوقُّف في أمرهم.

ويقول السائل: هل أنصحه بالخروج معهم داخل البلاد السعودية أو خارجها أم لا؟

والجواب: أن أقول: أما جماعة التبليغ؛ فإنهم جماعة بدعة وضلالة، وليسوا على الأمر الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وإنما هم على بعض طرق الصوفية ومناهجهم المبتدعة.

وقد أسَّس بدعتهم ووضع أصولها الستة محمد إلياس الديوبندي الجشتي ـ كما سيأتي بيان ذٰلك إن شاء الله تعالى ـ، وهو الأمير لجماعة التبليغ.

ثم خلفه في الإمارة عليهم ابنُه يوسف.

وأما أميرهم في زماننا؛ فهو المسمَّى: إنعام الحسن، وهو يبايع التابعين

له على أربع طرق من طرق الصوفية، وهي: الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية.

فأما أفراد جماعته من العجم؛ فإنه يبايعهم على هٰذه الطرق الأربع بدون تحفُّظ، وأما العرب؛ فإنه يتحفَّظ منهم ولا يبايع إلا مَن وثق به منهم من السذَّج الذين يحسنون الظنَّ بالتَّبليغيين ولا يعرفون أنهم أهل بدعة وضلالة.

وقد ذكر العلماء العارفون بجماعة التبليغ كثيراً ممَّا هم عليه من البدع والخرافات والضلالات وأنواع المنكرات وفساد العقيدة، ولا سيما في توحيد الألوهيَّة؛ فهم في هٰذا الباب لا يزيدون على ما كان عليه أهل الجاهلية الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ:

لأنهم إنَّما يقرُّون بتوحيد الربوبية فقط كما كان المشركون من العرب يقرُّون بذٰلك.

ويفسرون معنى (لا إلٰه إلا الله) بمعنى توحيد الربوبية، وهو أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور، وقد كان المشركون يقرُّون بهٰذا التوحيد؛ كما ذكر الله ذٰلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن، ولم ينفعهم ذٰلك، ولم يدخلوا به في الإسلام.

وقد جهل التبليغيُّون معنى (لا إلٰه إلا الله) على الحقيقة، وهو أنه المستحقُّ للعبادة دون ما سواه، فيجب إفراده بجميع أنواع العبادة، ولا يجوز صرف شيء منها لغيره، ومن صرف منها شيئاً لغيره؛ فقد جعل ذٰلك الغير شريكاً له في الألوهيَّة، ومَن خفي عليه هٰذا المعنى؛ فهو من أجهل الناس، ولا خير فيه.

وأما توحيد الأسماء والصفات؛ فإن التبليغيين فيه أشعرية وماتريدية، وهما من المذاهب المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وأما باب السلوك؛ فإنهم فيه صوفية، والصوفية من شر أهل البدع، وقد تقدَّم ذكر الطرق الأربع التي كانوا يبايعون أتباعهم على الأخذ بها.

ومن أورادهم:

(إلا الله): أربع مئة مرة.

و (الله، الله): ست مئة مرة يوميّاً.

و (الأنفاس القدسية): عشر دقائق يوميّاً، وتتحقَّق بالتصاق اللسان في سقف الفم، والذكر بإخراج النفس من الأنف على صورة لفظ (الله).

و (المراقبة الجشتية): نصف ساعة أسبوعيّاً عند أحد القبور؛ بتغطية الرأس، والذكر بهٰذه العبارة: «الله حاضري، الله ناظري».

وهٰذه الأوراد بدع وضلالة مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.

وقد ذكر بعض العلماء عن التبليغيين نوعاً آخر من الذكر، وهو أنهم يكررون كلمة (لا إلٰه) ست مئة مرة، ثم يكرِّرون كلمة (إلا الله) أربع مئة مرة.

وذكر آخر عن عدد كثير من الرجال أنهم سمعوا جماعة من التبليغيين الهنود وهم في بيت في شارع المنصور بمكة يكررون كلمة (لا إلٰه) نحواً من ست مئة مرة، ثم بعد ذٰلك يكررون كلمة (إلا الله) نحواً من مئتي مرة، ويقولون ذٰلك بصوت جماعي مرتفع، يسمعه مَن كان في الشارع، وذٰلك بحضرة شيخ من كبار مشايخهم الهنود، وقد استمرَّ فعلهم هٰذا مدة طويلة، وكانوا يفعلون ذٰلك في الشهر مرتين: مرة في نصفه، ومرة في آخره.

ولا شكَّ أن هٰذا من الاستهزاء بالله وبذكره، ولا يخفى على مَن له علم وفهم أن فعلهم هٰذا يتضمَّن الكفر ست مئة مرة؛ لأن فصل النفي عن الإثبات

في قول (لا إله إلا الله) بزمن متراخ بين أول الكلمة وآخرها على وجه الاختيار يقتضي نفي الألوهيَّة عن الله تعالى ست مئة مرة، وذلك صريح الكفر، ولو أن ذلك وقع من أحد مرة واحدة؛ لكان كفراً صريحاً؛ فكيف بمن يفعل ذلك ست مئة مرة في مجلس واحد؟! ثم إن إتيانهم بكلمة الإثبات بعد فصلها عن كلمة النفي بزمن متراخٍ لا يفيدهم شيئاً، وإنما هو من التلاعب بذكر الله والاستهزاء به.

وهٰذا المنكر القبيح والضلال البعيد من نتائج تقليدهم لشيوخهم، شيوخ السوء والجهل والضلال، الذين أغواهم الشيطان، وزيَّن لهم ما كانوا يعملون.

وممَّا ذكره بعض العلماء عن التبليغيِّين أيضاً أن رجلاً من طلبة العلم خرج معهم من المدينة إلى الحناكية، وأميرهم أحد رؤساء جماعة التبليغ، وفي أثناء الليل رأى أحدهم يهتزُّ ويقول: هو، هو، هو! فأمسكه، فترك الحركة وسكت، وفي الصباح أخبر أميرهم بما فعله الهندي الصوفي التبليغي، فأنكر الأمير على طالب العلم إنكارَه على التبليغي، وقال له بغضب شديد: أنت صرت وهابيّاً، والله؛ لو كان لي من الأمر شيء؛ لأحرقت كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهَّاب، ولم أترك على وجه الأرض منها شيئاً!

ففارقهم طالب العلم حين سمع منه هٰذا الكلام السيىء؛ لأنه عرف عداوتهم لأئمة العلم والهدى من أهل التوحيد وأنصار السنة، وعرف محاربتهم لكتبهم المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه وإلى إخلاص العبادة لله وحده، والنهي عن الشرك والبدع والخرافات وأنواع الضلالات والمنكرات، والتحذير منها ومن أهلها.

ومما كانوا ينْهَوْن عنه ويحذِّرون منه ومن أهله بدع الصوفيَّة وخرافاتهم ودعاويهم الكاذبة في المكاشفات والكرامات والمنامات التي هي من تضليل

الشيطان لهم وتلاعبه بهم.

وقد تعلّق التبليغيون بأربع طرق من طرق الصوفية، وهي: الجشتية، والسهروردية، والقادرية، والنقشبندية؛ فإلى هٰذه الطرق الأربع يدعون الأعاجم ويبايعونهم عليها بدون تحفُّظ، ويدعون من انخدع بهم ومال إليهم من جهَّال العرب وأغبيائهم إلى المبايعة عليها إذا وثقوا به.

ومن أوراد التبليغيين أيضاً «دلائل الخيرات»، ذكر ذٰلك بعض العلماء عنهم، وفي هٰذا الكتيِّب من الشرك والغلو والأحاديث الموضوعة ما لا يخفى على مَن نوَّر الله قلبه بنور العلم والإيمان.

وقد أشار إلى ذٰلك الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في قصيدته التي بعث بها إلى الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب، فقال:

وَحَرَّقَ عَمْداً للدَّلائِلِ دَفْتَرا   أَصابَ فَفيها مَا يَجِلُّ عَنِ العَدِّ
غُلُوٌّ نَهَى عَنْهُ الرَّسولُ وفِرْيَةٌ   بِلا مِرْيَةٍ فاتْرُكْهُ إنْ كُنْتَ تَسْتَهْدي

وذكر بعض العلماء عن التبليغيِّين أنهم يعتنون بالقصيدة التي تسمى «البردة» وبـ «القصيدة الهمزية»، وفيهما من الشرك والغلوِّ ما هو معروف عند أهل العلم من أهل التوحيد.

وأهم كتاب عند التبليغيِّين كتاب «تبليغي نصاب» الذي أَلَّفه أحد رؤسائهم المسمَّى محمد زكريا الكاندهلوي، ولهم عناية شديدة بهٰذا الكتاب؛ فهم يعظِّمونه كما يعظم أهل السنة «الصحيحين» وغيرهما من كتب الحديث.

وقد جعل التبليغيُّون هٰذا الكتيب عمدةً ومرجعاً للهنود وغيرهم من الأعاجم التابعين لهم، وفيه من الشركيَّات والبدع والخرافات والأحاديث الموضوعة والضعيفة شيء كثير؛ فهو في الحقيقة كتاب شرٍّ وضلال وفتنة، وقد

اتَّخـذه التبليغيُّون مرجعـاً لنشـر بدعهم وضلالاتهم وترويجها وتزيينها للهمج الرعاع الذين هم أضل سبيلًا من الأنعام . . .

وممَّا زيَّنوه لهم إيجاب زيارة قبر النبي ﷺ بعد الحج ، واستدلُّوا على ذٰلك بأحاديث موضوعة .

وللتبليغيِّين كتـاب آخر يعتمدون عليه ويجعلونه من مراجع أتباعهم من الأعـاجم من الهنـود وغيرهم ، وهـو المسمى «حياة الصحابة» لمحمد يوسف الكاندهلوي ، وهو مملوء بالخرافات والقصص المكذوبة والأحاديث الموضوعة والضعيفة ، وهو من كتب الشر والضلال والفتنة .

وللتبليغيِّين مسجد ومركز رئيسي في دلهي ، يشتمل على أربعة قبور في الركن الخلفي من المصلَّى ، وهٰذا شبيه بفعل اليهود والنصارى ، الذين اتَّخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وقد لعنهم رسول الله ﷺ على هٰذا الصنيع ، وأخبر أنهم من شرار الخلق عند الله .

وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٤٧) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغيَّة» : أن أكابر أهل التبليغ يرابطون على القبور ، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور ، ويقرُّون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثل ما يقرُّ القبوريُّون بنفس المعنى .

ويأتي شيخهم الشيخ زكـريا ـ شيخ الحديث عندهم وبمدرستهم ببلدة سهارنفور بالهند ـ يأتي إلى المدينة المنورة ، ويرابط عند قبر النبي ﷺ بالجانب الشرقي من القبر ونحو الأقدام الشريفة ، ويذهب في المراقبة عدة ساعات ؛ كما شاهده الكثيرون .

ويقول قائلهم : إن لجماعتنا ولأكابرنا حظٌّ وصولٍ في مجالس النبي ﷺ

يقظة لا مناماً.

ثم ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن في (ص ٤٨) ثمانية أبيات بلغة الهنود، وقد ترجمت إلى العربية، وذكر أنها لمؤلف من التبليغيين، وقد اشتملت على الشرك الأكبر، وذلك بصرف خالص حق الله تعالى للنبي ﷺ، ولقبح ما فيها من الشرك تركت إيرادها.

ومن الشركيَّات الرائجة عند التبليغيِّين تعليق التمائم والحروز والحجب التي تشتمل على الطلاسم والأسماء الغريبة والمربعات والأرقام والرموز المبهمة التي لا تخلو من الالتجاء إلى غير الله والاستعاذة بغيره.

وذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد أيضاً في (ص ١١) من كتابه الذي تقدَّم ذكره أن للتبليغيِّين أصولاً يدعون الناس إليها:

وذكر منها: ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر.

وذكر أيضاً في (ص ١٣): أن من أصولهم تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وبصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً.

وذكر أيضاً من أصولهم: التجنُّب بشدَّة بل المنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت، ومن الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذلك بأنه يورث العناد لا الصلاح.

وذكر لهم أيضاً أصولاً كثيرة ابتدعوها وشذُّوا بها عن المسلمين، وكلها من أصول الغي والضلال.

ولا يخفى ما في أصولهم المذكورة ها هنا من المعارضة للقرآن والسنة:

لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى**﴾.

ويقـول تعـالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرونَ بالمَعْروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنونَ باللهِ﴾.

ويقول تعالى: ﴿ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ ويأْمُرونَ بالمَعْروفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ بَني إِسْرائيلَ عَلى لِسانِ دَاودَ وعِيسى بنِ مَرْيَمَ ذٰلكَ بِما عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدونَ . كَانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلونَ﴾.

والآيات والأحاديث في الحثِّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعيد الشديد على تركهما كثيرة جدّاً، وليس هٰذا موضع ذكرها.

وقد دلَّت الآية الأولى على أن الاستمساك بالعروة الوثقى له شرطان لا بدَّ منهما:

أحدهما: الكفر بالطاغوت.

والثاني: الإيمان بالله.

فمن أتى بهٰذين الشرطين؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومَن لم يأت بهما، أو ترك واحداً منهما؛ فليس له حظٌّ من الاستمساك بالعروة الوثقى.

والعروة الوثقى هي: الإيمان. وقيل: الإسلام. وقيل: لا إلٰه إلا الله. وقيل: الحب في الله والبغض في الله.

قال ابن كثير في «تفسيره»: «وكل هٰذه الأقوال صحيحة، ولا تنافي بينها» انتهى.

وإذا عرضنا الأصول الثلاثة التي تقدَّم ذكرها من أصول التبليغيِّين على

نصِّ الآية الكريمة التي تقدَّم ذكرها؛ تبيَّن لنا أنه لا حظَّ لهم من الاستمساك بالعـروة الوثقى؛ لأنهم قد تركوا شرطاً من شروط الاستمساك بها، وهو الكفر بالطَّاغوت، ومَن ليس لهم حظٌّ من الاستمساك بالعروة الوثقى؛ فلا خير فيهم ولا في مرافقتهم والخروج معهم.

ثم إن التبليغيِّين لم يقتصروا على ترك الصراحة بالكفر بالطَّاغوت، بل ضمُّوا إلى ذٰلك ما هو شرٌّ منه، وهو التجنُّب بشدَّة والمنع بعنف من الصراحة بالكفـر بالطاغوت، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفـر بالـطاغوت، وهٰذا من زيادة ارتكاسهم في الغيِّ والضلال، عافانا الله وإخواننا المسلمين ممَّا ابتلاهم به.

وأما تركهم الصراحة بالنَّهي عن المنكر، وتجنُّبهم ذٰلك بشدَّة، ومنعهم منه بعنف، وتعطيلهم جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد النهي عن المنكر؛ فهو من أوضح الأدلَّة على زيغهم، وفساد معتقدهم، وسلوكهم طريق الغيِّ والضلال الذي ذكره الله عن العصاة من بني إسرائيل، وذمهم على ذٰلك، ولعنهم.

فقال تعالى: **﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ بَني إِسْرائيلَ عَلى لِسانِ داودَ وعِيسى بنِ مَرْيَمَ ذٰلكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدونَ . كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلونَ﴾**.

وروى: الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي ـ وحسنه ـ، وابن ماجه؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لمَّا وقعت بنو إسرائيل في المعاصي؛ نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، ذٰلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، وكان رسول الله ﷺ متكئاً

فجلس، فقال: «لا؛ والذي نفسي بيده؛ حتى تأطروهم على الحقِّ أطراً».

هٰذا لفظ أحمد والترمذي.

ولفظ أبي داود: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أوَّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجلُ يلقى الرجلَ فيقول: يا هٰذا! اتَّقِ الله ودع ما تصنع؛ فإنه لا يحلُّ لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذٰلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذٰلك؛ ضرب الله قلوب بعضهم ببعض»، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَروا مِنْ بَني إسْرائيلَ عَلى لِسانِ دَاودَ وعيسى بنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿فاسِقونَ﴾، ثم قال: «كلا؛ والله لَتأمُرُنَّ بالمعروف، ولَتنهَوُنَّ عن المنكر، ولَتأخُذُنَّ على يد الظالم، ولَتأطُرُنَّه على الحق أطراً، ولَتَقْصُرُنَّه على الحق قصراً».

زاد في رواية له: «أو لَيَضْرِبَنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننَّكُم كما لعنهم».

وفي هٰذا الحديث أبلغ ردٍّ على التبليغيِّين الذين لا يبالون بالنهي عن المنكر ولا يعدُّونه من واجبات الإسلام.

وقد زادوا على ما ذكره الله عن بني إسرائيل بزيادات من الغيِّ والضلال، وهي تجنُّبهم الصراحة بالنهي عن المنكر بشدَّة، ومنعهم من ذٰلك بعنف، وتعطيلهم جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد النهي عن المنكر.

وفي هٰذا أوضح دليل على مخالفتهم لطريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو وظيفة الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة.

وإنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للأمر بالمعروف: الذي أساسه

وأصله التوحيد ومتابعة الرسل، وفروعه الأقوال الطيِّبة والأعمال الصالحة، وللنهي عن المنكر: الذي أساسه وأصله الشرك والبدع، وفروعه الأقوال الخبيثة وأنواع الفسوق والعصيان.

وبالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعلو كلمة الله، ويظهر دينه، وإذا تُرِك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ضعُف الإسلام، وظهر الباطل وأهله.

قال ابن عقيل في «الفنون»: «من أعظم منافع الإسلام وآكد قواعد الأديان: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتناصح؛ فهٰذا أشقُّ ما يحمله المكلَّف؛ لأنه مقام الرسل، حيث يثقل صاحبه على الطباع، وتنفر منه نفوس أهل اللَّذَّات، ويمقته أهل الخلاعة، وهو إحياء السنن وإماتة البدع» انتهى.

وقد جمع الله تبارك وتعالى بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات كثيرة من القرآن، وجمع بينهما رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة ثابتة عنه، فأبى التبليغيُّون أن يجمعوا بينهما، ولم يبالوا بالتفريق بين ما جمع الله ورسوله بينهما، فصاروا بهٰذا مشابهين لليهود الذين قال الله فيهم:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وتَكْفُرونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إلَّا خِزْيٌ في الحَياةِ الدُّنْيا ويَوْمَ القِيامَةِ يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ العَذابِ ومَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ . أُولٰئِكَ الَّذينَ اشْتَرَوُا الحَياةَ الدُّنْيا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذابُ ولا هُمْ يُنْصَرونَ﴾.

فلا يأمن التبليغيُّون أن يكون لهم نصيب وافر من هٰذا الوعيد الشديد.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم».

رواه: الإمام أحمد، وأبو داود؛ من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي أصولاً كثيرة للتبليغيِّين سوى ما تقدَّم ذكره، وكلها من أصول الجهل والغي والضلال، وقد تركت ذكرها إيثاراً للاختصار، وهي في (ص ١١ ـ ١٤)، فمَن أحبَّ الوقوف عليها؛ فليراجعها في الكتاب الذي تقدَّم ذكره.

بل إنه ينبغي لمَن أشكل عليه أمر التبليغيِّين أن يطالع كتاب سيف الرحمٰن ابن أحمد من أوله إلى آخره؛ ليعلم ما عليه هٰذه الفرقة الشاذَّة من مزيد الجهل والضلال والبعد عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وقد ذكر سيف الرحمٰن بن أحمد في (ص ٥٦ ـ ٥٧) أنواعاً كثيرة من مشابهة التبليغيِّين للشيعة، و«من تشبَّه بقوم؛ فهو منهم».

وهٰذا ملخَّص ما ذكره سيف الرحمٰن بن أحمد عنهم:

قال: «ومما يلاحظ عليهم أن لهم الشبه بالشيعة في إخفاء السم في الدسم.

ولهم الشبه بالشيعة في إخفاء ما في كتبهم.

ولهم شبه بالشيعة في إخفاء كثير من عقائدهم المبعدة في الغلوِّ وفي التطرُّفات والخرافات النائية.

ولهم شبه بالشيعة بالتقيَّة باسم الحكمة والاحتياط، حيث إنهم يظهرون شيئاً ويخفون شيئاً، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، ويقولون شيئاً ويفعلون شيئاً، وينادون بالدعوة إلى الإجماعيات، ويتحمَّسون لكثير من الخلافيات.

ولهم شبه بالشيعة في البغض ونصب العداء لأهل الحق وعقيدة السلف.

ولهم شبه بالشيعة في كثير من التأويلات النائية عن طريق السلف

الصالح.

ولهم شبه بالشيعة في قربهم للحكايات والخرافات وتعظيم النسبة إلى أكابرهم وإلى مشايخهم.

ولهم شبه بالشيعة في بعدهم عن النصوص وعن العلم بالنّصوص ـ نصوص الكتاب والسنة ـ؛ فالذاكر الشيعي على العموم جاهل، وهٰذا التبليغيُّ كذٰلك على العموم جاهل.

ولهم شبه بالشيعة في تحديد علمهم وعلم طائفتهم في كتبهم المعروفة عندهم دون غيرها من الكتب ودون غيرهم من علماء المسلمين.

ولهم شبه بالشيعة بمنع أتباعهم عن البحث وطلب الحق عند غيرهم.

ولهم شبه بالشيعة؛ بجعل معظم الدين محصوراً في المناقب والمثالب وتعظيم الأكابر.

ولهم شبه بالشيعة في المقدرة على المغالطات والمبالغات.

ولهم شبه بالشيعة في المقدرة على النفاق وإظهار التوحيد وإخفاء الإشراك، بل النداء بالتوحيد وترويج الإشراك. انظر كتاب «نشر الطيب» للمصنف أشرف علي التهانوي».

ثم قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد: «وممَّا يُعرف عن هٰؤلاء أنهم يتواضعون ويتظاهرون بالتواضع فوق العادة، ولكنَّ تواضعهم هٰذا ليس إلا تصنُّعاً؛ فإنهم يسرُّون لهم ومعهم فقط، ويرون السيادة الدينية لهم وهم أهلها في زعمهم، والذي ينازعهم فيها؛ فهو ضال وفاتن، وهٰذا الشيء قد تأصَّل في قرارة نفوسهم، ولذا يبتعدون ويبعدون الناس عن كل مصلح ومخلص، ولذا يرون أن لا طاعة لأحد عليهم إلا لكبرائهم.

وحسبما بلغني عن بعض الثقات أنهم يرون أن لا طاعة لولاة الأمور عليهم، ولـذا يبيحون الغش والخديعة والتزوير، وفعلاً يستغلُّ دهاتهم بلههم باسم التبليغ في التجارات المنحرفة والتزوير ومخالفة القوانين وتعدُّد الجوازات لشخص واحـد على أساس الكذب والزور. . . إلى آخر ما هنالك من المخالفات.

ولـذا يعرف عن هٰؤلاء أنهم يتربَّصـون بالحكومة السعودية والجامعة الإسلامية والحركة الوهَّابية والغريزة الجهاديَّة ـ أي: لإعداد العدة واستعمال القوة لإعلاء كلمة الله ـ؛ يتربَّصون بها الدوائر ـ عليهم دائرة السوء ـ، وذٰلك كله لإعجابهم ببدعتهم، وغفلة الناس عن بدعتهم هٰذه ومداها.

ولقد صدق مَن قال: إن يهود هٰذه الأمة هم الشيعة، وإن يهود أهل السنة هم المقلدون الجامدون، وخاصة أمثال هٰؤلاء التبليغيِّين الذين يناصرون الجهل والتقليد الجامد وعبادة الكبراء وتعظيمهم والخضوع لهم، ويروِّجون البدعة في المسلمين، ويوجبون على المسلمين ما لم يوجبه الله، ويشرعون لهم ما لم يشرعه الله ورسوله.

وقد قال رسول الله ﷺ: «مَن وَقَّرَ صاحِبَ بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام».

وقال ﷺ: «إنَّ الله احتجر التوبة على كل صاحب بدعة». «صحيح الجامع الصغير»».

قلت: إنما صحَّح الحديث الأخير، وأما الأول؛ فإنه قد ذكره في «الأحاديث الضعيفة»، وقد روي نحوه من قول الفضيل بن عياض.

ثم قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد: «ومما يعرف عن هٰؤلاء أنهم إذا أرادوا إسناد القول وتدعيمه؛ قالوا: قال كبراؤنا! ولا يخفى خطورة هٰذه الكلمة

وأمثالها عند أهل العلم».

ثم قال الأستاذ: «نكتة عجيبة: حكى لي حاج أن نشاط القاديانيين والتبليغيِّين ممنوع في مصر، ولكن نشاط الاثنين مسموح في إسرائيل، بل إن القاديانيِّين لهم مركز دائم في إسرائيل كما أن التبليغيِّين لهم تجوُّلات شبه دائمة في إسرائيل، وأن القاديانيِّين لهم المقر الأول بقرية قاديان في الهند، والمقر الثاني لهم بربوة بباكستان، ولكن نشاطهم في صورة مراكز ومساجد منتشرة في شتى البلدان والقارات، وكذلك التبليغيُّون لهم المقر الأول بقرية نظام الدين بدلهي ـ الهند، والمقر الثاني لهم بقرية رائيوند بمقربة من لاهور بباكستان، ولكن نشاطهم في صورة تجوُّلات وأربعينيات وحلقات وحكايات منتشرة كذلك في شتى البلدان والقارات بالشكل المذكور، وأن القاديانيِّين يخضعون لأكابرهم كما أن التبليغيِّين يخضعون لأكابرهم خضوعاً لا يقل عن درجات العبادة والعياذ بالله؛ فما أوضح الشبه بين وصف الجماعتين!

فالقاديانيُّون يعادون الجهاد بمعنى إعداد العدة واستعمال القوة.

وكل اعتماد الاثنين على نشاط الكلام والحركة التجوالية.

وكلتا الاثنتين تفرغان جهودهما على الاختلاس، والاختناس، والاصطياد، والتزلُّف إلى الحكام وأصحاب الاعتبار وذوي النفوذ، واجتذابهم إلى أنفسهم، مع التجنُّب عن كل صراحة، وقبولهم على جميع علاتهم، وتركهم على حالهم، وموالاتهم على كل ذلك، وموالاة كل حكم وحكومة، والاجتناب بشدة عن كل سياسة علنية.

وكذلك فإن مولد الاثنتين ومنشأهما ومصدر الانطلاقتين ومأرزهما هي القارة الهندية فقط.

وكذلك فإن القاديانيِّين مبنى ديانتهم الجهل والإيمان بالخرافات

والحكايات، وكذلك التبليغيُّون مبنى ديانتهم الجهل والإيمان بالخرافات والحكايات والإكثار منها، وحب الجهل والجهلاء، وترجيح جهلائهم على علماء المسلمين، ومحاربة العلم والعلماء.

فما أوضح الشبه بين الاثنتين!

ولكن الفرق بينهما أن القاديانيين كفار مرتدُّون بالإجماع، لا شكَّ في كفرهم وارتدادهم، والتبليغيُّون مسلمون وفي عداد المسلمين.

ومعلوم أن هٰؤلاء يتدرَّجون بالناس ـ ولا سيما أصحاب الفطر السليمة ـ يتدرَّجون بهم باسم التوحيد والدين والزهد وعدم الترف والورع والتبليغ والتقوى وحب الصالحين، إلى تعظيم الأكابر والبدع والخرافات والجهل المطبق والتقليد الجامد والمسلك الجمودي والتشبُّث بفروع الفقه الحنفي والوقوع في الشبك التصوفي . . . إلى آخر ما هناك، وهٰذا قليل جدّاً من كثير جدّاً».

قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد: «وظني أن هذا القدر المذكور يكفي لتفهمهم ومعرفتهم ومعرفة خطورتهم ومعرفة مدى خطورتهم وأبعادها المترامية دينيّاً وخُلقيّاً وسياسيّاً».

انتهى المقصود من كلامه، ولقد أجاد وأفاد في بيان حال التبليغيِّين والتحذير منهم، فجزاه الله خير الجزاء، وكثَّر في المسلمين من أمثاله.

وقد ردَّ كثير من العلماء على التبليغيِّين، وبيَّنوا أخطاءهم وضلالاتهم وخطرهم على الإسلام والمسلمين، وقد رأيت من الكتب والرسائل المؤلَّفة في ذٰلك عدداً كثيراً، ومن أهمها كتاب الأستاذ سيف الرحمٰن أحمد الذي تقدَّم ذكره والنقل منه.

وبعض الذين ردُّوا على التَّبليغيِّين قد صحبوهم سنين كثيرة، وخرجوا

معهم في سياحاتهم التي هي من محدثات الأمور، ثم لما رأوا ما في دعوتهم وأعمالهم من البدع والضلالات والجهالات؛ فارقوهم، وحذَّروا منهم ومن سياحتهم وأعمالهم المبتدعة.

وأما ما ذكره السائل من كثرة الأقوال في التبليغيِّين بين مؤيِّد لهم ومستنكر لأعمالهم.

فالجواب عنه أن يُقال: إن الصواب مع المستنكرين لأعمالهم؛ لأنها من المحدَثات التي ليس عليها أمر النبي ﷺ.

وقد روى: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ».

قال النووي في «شرح مسلم»: «قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتدٍّ به».

قال: «وهٰذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ؛ فإنه صريح في ردِّ كلِّ البدع والمخترعات».

وقال أيضاً: «وهٰذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به» انتهى.

وفي هٰذا الحديث أوضح دليل على المنع من محدَثات التبليغيِّين وأعمالهم التي ليس عليها أمر النبي ﷺ.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، وأهل «السنن»؛ عن العرباض بن سارية

رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وصححه أيضاً: ابن حبان، والحاكم، والذهبي، وقال ابن عبدالبر: «حديث ثابت صحيح».

وفي هٰذا الحديث أوضح دليل على المنع من محدَثات التبليغيِّين وأعمالهم التي هي من محدثات الأمور ولم تكن من سنة رسول الله ﷺ ولا من سنة الخلفاء الراشدين وإنما هي من بدع محمد إلياس الديوبندي الجشتي الكاندهلوي ثم الدهلوي؛ فهو المؤسس لجماعة التبليغ في الهند، وقد خطَّط لهٰذه البدعة، ووضع أصولها الستة بإشارة من شيخيه في الطرق الصوفية، وهما: رشيد أحمد كنكوهي الديوبندي الجشتي النقشبندي، وأشرف علي التهانوي الديوبندي الجشتي.

ذكر ذٰلك الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٧ ـ ٨) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية».

وذكر في (ص ٤ ـ ٥) ما ملخصه: أن نسب هٰذه الجماعة التبليغية يتَّصل بالشيخ سعيد نورسي الكردي الملقَّب بـ (بديع الزمان)، المولود في سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف من الهجرة، والمتوفى في سنة تسع وسبعين وثلاث مئة وألف من الهجرة على وجه التقريب؛ فهو صاحب هٰذه الفكرة البدعية والواضع لأصولها الستة، ولكن شاء الله أن تخمد هٰذه الحركة وتتلاشى هٰذه الفكرة بتركيا قبل أن تأخذ انطلاقها البارز الشامل.

قال الأستاذ: «والظاهر أن الشيخ إلياس الهندي لما أتى إلى الحجاز؛

سمع بهٰذه الفكرة، فاقتبسها إلى الهند، فالفكرة بتركيا، والنماء والترعرع والتطبيق والانطلاق بالهند» انتهى.

ومن الأحاديث الدالَّة على المنع من محدَثات التبليغيِّين قول النبي ﷺ في خطبته: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

رواه: الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه، والدارمي؛ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

وقد رواه النسائي بإسناد جيد، ولفظه: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وفي هٰذا الحديث النص على أن المحدَثات كلها شر وضلالة، وأنها في النار.

ومعنى قوله: «وكل ضلالة في النار»: أن العمل بالمحدَثات يؤدي بأصحابه إلى النار.

ويدلُّ على ذٰلك قول النبي ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

رواه: الترمذي، وابن وضاح، ومحمد بن نصر المروزي، والحاكم، والآجري؛ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقال الترمذي: «حسن غريب».

وروى الطبراني في «الصغير» نحوه من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي حديث جابر وما ذُكر بعده من حديث عبدالله بن عمرو وأنس رضي الله عنهم أبلغ تحذير من بدع التبليغيِّين.

ومَن لم ينته عن الانضمام إليهم والخروج معهم؛ فلا يأمن أن يكون له نصيب وافر من الوعيد الذي جاء ذكره في حديثي عبدالله بن عمرو وأنس رضي الله عنهم.

وإذا عُلِم هٰذا وما تقدَّم ذكره من أول الجواب إلى آخره؛ فليعلم أيضاً أن التأييد للتَّبليغيين خطأ وتأييد للأباطيل التي قد ذُكِرت عنهم، وما وقع من ذلك من العامة وغيرهم من المنسوبين إلى العلم؛ فسببه الانخداع بالتبليغيِّين وتحسين الظن بهم والاغترار بظاهر أقوالهم وما يموِّهون به عليهم من أن الخروج معهم وعلى طريقتهم من الجهاد في سبيل الله، ولا يعلمون أنهم في غاية البعد من الجهاد الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وهو الجهاد المشتمل على الدعاء إلى التوحيد، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده، والنهي عن الشرك وذرائعه وما يقرِّب إليه من الأقوال والأعمال، والنهي أيضاً عن البدع والمخالفات وجميع المنكرات.

فهٰذا هو الجهاد على الحقيقة... والتبليغيُّون في غاية الإفلاس من هٰذا الجهاد الشرعي، وإنما يتعلَّقون بمجرَّد الاسم الذي لا مسمَّى له ولا حقيقة تحته، وإنما هو كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه؛ لم يجده شيئاً.

وغاية جهاد التبليغيِّين ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد: أنهم يتدرَّجون بأصحاب الفطر السليمة باسم التوحيد والدين والزهد وعدم الترف والورع والتبليغ والتقوى وحب الصالحين إلى تعظيم الأكابر والبدع والخرافات والجهل المطبق والتقليد الجامد والمسلك الجمودي والوقوع في الشبك

التصوفي . . . إلى غير ذلك مما ذكره الأستاذ عنهم من الإيمان بالخرافات والحكايات والإكثار منها، وحب الجهل والجهلاء، وترجيح جهلائهم على علماء المسلمين، ومحاربة العلم والعلماء.

فهذا هو حاصل جهاد التبليغيِّين وثمرته، ومَن كانوا بهذه الصفة؛ فلا خير فيهم ولا في الانضمام إليهم والخروج معهم.

وأيُّ خير يُرجى من أناس لا يعرفون توحيد الألوهيَّة، ولا يرون الكفر بالطَّاغوت، ولا يرون النهي عن المنكر، ويعادون أئمة العلم والهدى من أهل التوحيد وأنصار السنة، وخصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب، ويحاربون كتبهم المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه وإلى إخلاص العبادة لله وحده وعلى النهي عن الشرك وذرائعه وعن البدع والخرافات وأنواع الضلالات والمنكرات؟!

وقد حصل من بعض أكابرهم السب القبيح في كتبهم لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

وحصل من بعض أمرائهم إحراق مجموعة التوحيد المسماة بـ «الجامع الفريد» لمَّا أهداها له بعض الخارجين معه، وكان المُهدي للكتاب يظن أن الأمير يُسَرُّ بهذه الهدية الثمينة، فكانت المقابلة على حسن الصنيع بالمنكر الفظيع، وهو إحراق كتب التوحيد، عامل الله هذا الأمير والذين يسبُّون شيخ الإسلام بعدله.

وأيضاً؛ فأي خير يرجى من الانضمام إلى أناس يرابط أكابرهم على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض من أهل القبور، ويزعمون أن لأكابرهم حظّاً من مجالسة النبي ﷺ يقظة لا مناماً؟!

وأيضاً؛ فأي خير يُرجى من الانضمام إلى أناس قد جعلوا لهم أصولاً من

أصول الغي والضلال يدعون الناس إليها، ومنها ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر، ومنها تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وبصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، ومنها التجنُّب بشدة والمنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت ومن الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذلك بأنه يورث العناد لا الصلاح؟!

وأيضاً؛ فأي خير يُرجى من الانضمام إلى أناس يعمرون مجالسهم واجتماعاتهم في المساجد بإلقاء البيانات عمَّا يزعمونه من حصول الكرامات لهم وما يزعمونه أيضاً من الخرافات والمنامات وغير ذلك من الدعاوى الكاذبة التي هي من تضليل الشيطان لهم وتلاعبه بهم، وإذا جاءهم عالم من علماء أهل التوحيد يريد أن يعظهم، ويدعوهم إلى الخير، ويبيِّن لهم توحيد الألوهيَّة الذي يجب عليهم التمسُّك به، ويحذرهم من الشرك والبدع، ويبيِّن لهم وجوب الكفر بالطاغوت ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ منعوه من الكلام؛ إن كانت لهم قدرة على منعه، وإن لم يقدروا على منعه؛ انفضُّوا عنه، ولم يستمعوا إلى شيء من كلامه؟!

وقد وقع منهم هٰذا الفعل السيىء مع أحد كبار العلماء من أهل المدينة حين ذهب إليهم في الهند، ووقع مثل ذٰلك منهم مع غيره.

وأيضاً؛ فأي خير في الانضمام إلى جماعة قد عُرف عن شيوخهم وأكابر علمائهم أنهم من الصوفية، وأنهم يبايعون أتباعهم على الأخذ بطرقهم التي هي من طرق الغي والضلال؟!

وهٰذا قليل من كثير من ضلالاتهم وأباطيلهم التي قد يجهلها أو يتجاهلها بعض المؤيِّدين لهم.

وإنه لينطبق على المؤيِّدين لهم قول الشاعر:

يُقْضى عَلى المَـرْءِ في أَيَّامِ مِحْنَتِهِ حَتَّى يَرَى حَسَنـاً مَا لَيْسَ بالحَسَنِ

وأمـا ما ذكره السائل أنه قرأ فتوى من الشيخ محمد بن إبراهيم تتضمَّن التوقُّف في أمر التبليغيِّين.

فالجـواب عنه أن يُقال: إن للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى جواباً صدر منه قبل وفاته بسبع سنين، وقد صرَّح فيه أن جمعية التبليغيِّين جمعية لا خير فيها، وأنها جمعية بدعة وضلالة، وهٰذا نصُّ جوابه:

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر. . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقَّيت خطاب سموكم رقم (٣٧ / ٤ / ٥ / د) في ٢١ / ١ / ٨٢هـ ومـا برفقـه، وهـو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبدالحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبدالسلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها (كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية)، وكذٰلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم.

وأعرض لسموكم أن هٰذه جمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة، وبقـراءة الكتيِّبـات المـرفقـة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه، ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها، ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ص / م / ٤٠٥ في ٢٩ / ١ / ٨٢هـ».

وهٰذا الجواب مذكور في (ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨) من الجزء الأول من «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى».

وإذا عُلم ما في جواب الشيخ محمد بن إبراهيم من الردِّ على التبليغيِّين والذم لجمعيتهم والتصريح بأنها جمعية بدعة وضلالة وأنه لا خير فيها؛ فليعلم أيضاً أنه لم يأت في «مجموع فتاوى الشيخ محمد» شيء يخالف هٰذا الجواب.

وقد ذكر لنا أنه قد سُئل عنهم قبل جوابه الذي تقدَّم ذكره بعشر سنوات، فأجاب بأن أمرهم لم يتبيَّن له، ثم لمَّا تبيَّن له أنهم أهل بدعة وضلالة؛ صرَّح بأنه لا خير فيهم، وأن جمعيتهم جمعية بدعة وضلالة.

فهٰذا هو الثابت عن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى، والعمدة عليه لا على ما كان قبله.

وأما قول السائل: هل أنصحه بالخروج مع التبليغيِّين في داخل البلاد ـ أي: البلاد السعودية ـ أو في خارجها أم لا؟

فجوابه أن أقول: إني أنصح السائل وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من أدناس الشرك والغلوِّ والبدع والخرافات أن لا ينضمُّوا إلى التبليغيِّين، ولا يخرجوا معهم أبداً، وسواء كان ذٰلك في البلاد السعودية أو في خارجها؛ لأن أهون ما يُقال في التبليغيِّين أنهم أهل بدعة وضلالة وجهالة في عقائدهم وفي سلوكهم، ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فلا شكَّ أن السلامة في مجانبتهم والبعد عنهم.

ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

فَلا تَصْحَبْ أخا الجَهْلِ ... وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جاهِلٍ أَرْدى ... حَليماً حينَ آخاهُ

يُقـاسُ الـمَـرْءُ بالـمَـرْءِ إذا مـا هُــوَ مَاشـاهُ

وقال آخر ـ وأحسن فيما قال ـ:

وَمَا يَنْفَعُ الجَـرْبـاءَ قُرْبُ صَحيحَةٍ إليهـا ولٰكِنَّ الصَّحيحـةَ تَجْـرَبُ

وقد تقدَّم الحديث الذي فيه النصُّ على أن أهل البدع كلهم في النار، وأنه لا ينجو من النار إلا فرقة واحدة، وهم الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

فلا يأمن الذين ينضمُّون إلى التبليغيِّين ويخرجون معهم في سياحاتهم المبتدعة أن يكون لهم نصيب من الوعيد الشديد الذي تقدَّم ذكره في حديثي عبدالله بن عمرو وأنس رضي الله عنهم.

وقد كان السلف الصالح يحذِّرون من أهل البدع، ويبالغون في التحذير منهم، وينهَوْنَ عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم، ويأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم.

قال الشيخ إسماعيل بن عبدالرحمٰن الصابوني في «عقيدة أهل السنة والجماعة»: «ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالآذان ووقرت في القلوب؛ ضرَّت وجرَّت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة».

قال: «واتفقوا مع ذٰلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم،

والتقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ بمجانبتهم ومهاجرتهم» انتهى.

وروى ابن وضَّاح عن إبراهيم: أنه قال: «لا تجالسوا أصحاب البدع، ولا تكلِّموهم؛ فإني أخاف أن ترتدَّ قلوبكم».

وروى أيضاً عن الأوزاعي: أنه قال: «كانت أسلافكم تشتدُّ عليهم ألسنتهم، وتشمئزُّ منهم قلوبهم، ويحذِّرون الناس بدعتهم».

وروى أيضاً؛ قال: «أخبرني غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد ابن الفرات: إياك أن يكون لك من أهل البدع أخٌ أو جليسٌ أو صاحب؛ فإنه جاء في الأثر: «مَن جالس صاحب بدعة؛ نُزِعَت منه العصمة، ووُكِل إلى نفسه، ومَن مشى إلى صاحب بدعة؛ فقد مشى في هدم الإسلام»، وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضةً ولا تطوُّعاً، وكلَّما زادوا اجتهاداً وصوماً وصلاة؛ ازدادوا من الله بعداً؛ فارفض مجالسهم، وأذلَّهم، وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلَّهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده».

وذكر أبو محمد البربهاري في «شرح السنة» عن سفيان الثوري: أنه قال: «مَن أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة؛ خرج من الله تعالى، ووكل إليها»؛ يعني: البدع.

وذكر عن الفضيل بن عياض: أنه قال: «من عظَّم صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام».

وروى أبو نُعيم في «الحلية» عن الفضيل بن عياض: أنه قال: «مَن أحبَّ صاحب بدعة؛ أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه».

وعنه أيضاً: أنه قال: «من أعان صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم

الإسلام».

وعنه أيضاً: أنه قال: «مَن جلس إلى صاحب بدعة؛ فاحذره، ولا تأمن صاحب بدعة على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمَن جلس إليه؛ ورَّثه الله العمى».

«وإذا عَلِم الله من رجل أنه مبغضٌ لصاحب بدعة؛ رجوت أن يغفر الله له وإن قلَّ عمله؛ فإني أرجو له؛ لأن صاحب السنة يعرض لكل خير، وصاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله عمل وإن كثر عمله».

وعنه أيضاً: أنه قال: «علامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة، وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وهم ينهون عن أصحاب البدعة».

وروى ابن الجوزي عن الفضيل بن عياض: أنه قال: «مَن جلس إلى صاحب بدعة؛ فاحذروه».

وروى أيضاً عن سفيان الثوري: أنه قال: «مَن سمع من مبتدع؛ لم ينفعه الله بما سمع، ومَن صافحه؛ فقد نقض الإسلام عروة عروة».

وكلام السلف ومَن بعدهم من أئمة الخلف في التحذير من أهل البدع والأمر بمجانبتهم ومجانبة مَن يميل إليهم كثيرٌ جدّاً، وفيما ذكرته ها هنا كفاية لمن كان حريصاً على سلامة دينه من البدع...

والله المسؤول أن يريني وإخواني المسلمين الحقَّ حقّاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل.

﴿رَبَّنا لَا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾.

تنبيه: من توقَّف في أمر التبليغيِّين، وظنَّ بهم الظن الحسن؛ فليقرأ كتاب القائد محمد أسلم الباكستاني المسمَّى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»؛ فقد ذكر عن مشايخهم الكبار من الأقوال الباطلة والعقائد الفاسدة ما تشمئز منه قلوب أهل الإيمان والعقائد السليمة.

وقد ذكر مبدأ الفكرة التبليغيَّة وأصلها في (ص ٤٥ ـ ٤٦)، ثم قال: «وهنا نكتة هامَّة وملحوظة تلفت النظر وتدعو إلى التفكير والتريُّث، وهي: كيف يكون صلاح المسلمين في شيء تحقَّقت الأكذوبة والخيانة العلمية في مبدئه وأساسه؟! كيف؟! وكيف؟! ألا والله لن يصلح آخر هٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها» انتهى.

وهٰذا آخر ما تيسَّر إيراده، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

حرِّر في ٢٢ / ٩ / ١٤١٠هـ

●●●●●

القَوْلُ البَلِيْغ

في التَّحذيرِ من جماعة التَّبليغ

القِسمُ الثَّاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن القسم الثاني من كتاب «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» قد اشتمل على فصول كثيرة في بيان ما عليه كثير من مشايخ التبليغيِّين وكبرائهم من الشرك والبدع والضلالات والجهالات، وفي ذكر أصولهم الستة ونقدها.

وقد ذكرت في آخر الكتاب رسالتين لبعض المفتونين بجماعة التبليغ، وذكرت أيضاً مقالاً لآخر من الذين اغترُّوا بجماعة التبليغ وانخدعوا بدعاويهم الكاذبة، وقد رددت على ما في الرسالتين والمقال من الأباطيل.

والله المسؤول أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وزلفى لديه في جنات النعيم.

●●●●●

الفصل الأول

في ذكـــر قصص من غرائب المنكـــرات التي وقعت من بعض أمـــراء التبليغيين وكبرائهم ومَن يظنُّ بهم الخير والصلاح منهم؛ فليتأملها أولو العقول السليمة؛ فإن فيها أبلغ تحذير من الركون إلى التبليغيين والانضمام إليهم.

وقد قال الله تعالى: **﴿فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾**.

وقال تعالى: **﴿ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدَىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ﴾**.

ومن الآيات التي تنطبق على مناهج التبليغيِّين وأعمالهم قول الله تعالى: **﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ . وإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبيلِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾**.

وقوله تعالى: **﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾**.

● القصة الأولى والثانية:

قصتان شركيَّتان: إحداهما وقعت من أمير جماعة التبليغ في زماننا ـ وهو المسمَّى إنعام الحسن ـ، والقصة الثانية وقعت من أحد كبار التبليغيِّين في زماننا

ـ واسمه عمر بالنبوري ـ، وذٰلك أن كُلاًّ من الرجلين وقع في نفسه أنه مسحور، ومن أجل هٰذا التوهُّم الشيطاني طلب كلٌّ منهما من بعض المشعوذين أن يعالجه، فعالج كلاًّ منهما بالشعوذة والتعاويذ المشتملة على الشرك الأكبر.

وقد جاء بيان ذٰلك في مذكِّرة أرسلت إليَّ من المدينة المنوَّرة، وهٰذا نصها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومَن والاه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد جاءني جميل إلياس ابن الشيخ منير الدين ومعه شير محمد الأميني الهنديان، وذكر لي جميل إلياس قصة ملخصها: أن الشيخ إنعام الحسن أمير جماعة التبليغ قد شكَّ أنه مسحور، وقد عالجه أحد تلاميذ جميل من البنجاليين، وكان الشيخ إنعام لا يعرف أنه تلميذ جميل إلياس، وبدأت قصة العلاج هٰكذا:

قال البنجالي لإنعام الحسن: اخلع جميع ما عليك من اللباس وابقَ كما خرجت من بطن أمك!

وكان في غرفة، وحوله ستارة مربعة، وفي أركان الغرفة أزيار فخارية فيها ماء، فدس في كل زِيْر مادة لونها أحمر عند تحريكها تصبغ، وفي كل زِيْر شجرة مَوْز.

فقال البنجالي للشيخ إنعام: سأقرأ ثم أنفخ عليك، وعندما تحس بنفخي؛ اقطع أشجار الموز واحدة بعد الأخرى.

وبعد القراءة والنفخ رُفعت الستارة، وعمل ما طلب منه البنجالي من قطع الأشجار، وظن الشيخ أن الماء قد احمرَّ من خروج السحر من جسده إلى الأزيار، وظن أنه قد برأ من السحر، وأخبر أصحابه وأحبابه وأصدقاءه ففرحوا بذلك وهنؤوه.

وبعده قال البنجالي للشيخ: إن السحر يمكن أن يعود إليك في أي وقت، وأريد أن أصدَّه عنك إلى الأبد بتعاويذ تكون معك دائماً لا تفارقك.

ثم أعطاه إياها، وفيها شرك بواح، ومما كتب فيها: «بحق فاطمة»، و«بحق الغوث الأعظم عبدالقادر»، وغير ذلك، وهذا التعويذ محفور على النحاس، وقد قرأه الشيخ إنعام الحسن، ووضعه في جيبه، وفي ظنه أنه عوفي في جسده بهذا الشرك الصريح، وأنه يحميه مدى الدهر!!

ثم إن عمر بالنبوري ـ وهو يعتبر لسان الدعوة التبليغية الناطق ـ قال: يا شيخ إنعام! إني مسحور كذلك؛ فما رأيك؟ أأعالج عند البنجالي؟

فقال له الشيخ إنعام: إني قد جرَّبت علاجه، وهو ماهر في فنِّه، فتعالج أنت عنده مثلما فعلت أنا.

فطلب الشيخ عمر البنجاليَّ المعالج، وقال له: إني مسحور؛ فعالجني.

فنظر إليه وفحصه وقال له: إنك مسحور، وقد سُحِرت من أجل أن يخرج التأثير من كلامك فيسمع الناس كلامك ولا يتأثَّرون به.

فقال الشيخ عمر: والله؛ إن كلامك لصحيح، قبل السحر كان الناس يتأثَّرون بكلامي جدّاً، وبعده كأنهم لا يسمعون كلامي ألبتة، بل إنَّه لا يتأثر ولا واحد منهم، فعالجني يا أخي وقد أخبرتني بمرضي.

فقال له المعالج: عليك أن تطعم ستين مسكيناً لمدة أربعين يوماً من

المساكين الذين يعكفون على المقابر.

فقال الشيخ عمر: هٰذا لا أستطيعه، وإنما أدفع إليك النقود، وتدبَّر أنت المساكين.

وأعطاه لكل مسكين خمس روبيات، وبعد ذٰلك ظن بالنبوري أنه قد شفي من السحر.

ثم إن المعالج أخبره أن العمارة التي اشتراها الشيخ عمر في بلدة بمبي ـ وتشتمل على ثمان عشرة غرفة ـ فيها جنٌّ، فصدَّقه، وقال: والله؛ إن أم العيال قد شافته، وبنتي رأته كذٰلك.

فقال المعالج: هٰذا الجن لا بُدَّ له من تعاويذ تصنع من النحاس، وقيمة التعويذ مئتا روبية، ولكل غرفة تعويذ من تلك التعاويذ الشركية.

فأعطاه المبلغ المطلوب، وأخذ التعاويذ، واحتفظ بها؛ ظانّاً أنها طردت الجن وحمت العمارة منه»!!

وهٰذه القصة أنقلها عن جميل إلياس، وليست هٰذه الأحوال بعيدة عنهم حسب معرفتي بهم، وأرجِّح صدقه، حيث لا مصلحة له في التقوُّل عليهم، وأحوال القوم تصدِّقه.

فانظر واعتبر أيها المسلم بحال مَن يدَّعي قيادة الدعوة في الأمة وهو يأتي هٰذا الشرك العظيم الذي لا يغفر الله لصاحبه بلا توبة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتبه بخطه وشهد به محمد صدِّيق حاجي سليمان، خريج دار العلوم بديوبند الهند، عضو تبليغي سابق لمدة عشر سنوات تقريباً» انتهى كلامه.

فليعتبر المسارعون إلى الانضمام إلى جماعة التبليغ بما ذكره محمد

صدِّيق عن أمير جماعتهم إنعام الحسن، وعن لسان الدعوة التبليغية عمر بالنبوري؛ من استعمال التعاويذ الشركية والاستشفاء بالشعوذة والأحوال الشيطانية! وإذا كانت هٰذه حال أميرهم وكبرائهم؛ فالأحرى بعوامهم أن يكونوا أسوأ حالاً من علمائهم وكبرائهم.

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من الانضمام إليهم وتكثير سوادهم، ولا يغترَّ بالجهال الذين استدرجهم الشيطان وأوقعهم في حبائلهم، وليعلم المؤمن أن الخير كل الخير في التمسُّك بالكتاب والسنة واتباع ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، وأن الشرَّ كلَّ الشرِّ في الأخذ بالبدع واتباع أهلها ـ ومنهم الصوفية وأذنابهم من التبليغيِّين ـ.

ولقد أحسن الراجز حيث يقول:

وَكُلُّ خَيْرٍ في اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ ... وكُلُّ شَرٍّ في ابْتِدَاعِ مَنْ خلف

القصة الثالثة والرابعة والخامسة من بدع التبليغيين وضلالاتهم ذكرهن أحد المشايخ المدرسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة في مذكِّرة أرسلها إليَّ:

● القصة الثالثة:

فأما القصة الثالثة؛ فإنه ذكر عن أحد الثقات السعوديين أنه شهد على سعيد أحمد الهندي رئيس جماعة التبليغ في المملكة أنه ماتريدي وأنه ينكر علوَّ الله على خلقه.

قال الشيخ الذي أرسل إليَّ المذكرة: «وقد حصلت لي مع الشاهد المذكور قصة، وهي أنه جاءني مستنكراً الكلام في جماعة التبليغ! فقلت له: إنهم متصوفة وماتريدية لا يصفون الله بصفة العلو. فقال: وما الدليل على ذلك؟

فقلت له: اذهب بنفسك، وحاول أن تقف على الواقع. فذهب الرجل، وبعد أيام عاد إليَّ وهو يقول: إن ما ذكرته من كونهم لا يعترفون بعلوِّ الله واستوائه على عرشه صحيح. فقلت له: وكيف عرفت ذٰلك؟ قال: ذهبت إلى رئيس الجماعة سعيد أحمد الذي كان يثق بي تمام الثقة؛ لأني من تلاميذه ومريديه، فقلت له: إني لست في شك من عقيدتنا، وهي أن الله في كل مكان، وليس هو في السماء، ولكن؛ بماذا نردُّ على الذين يقولون: إن الله في السماء. فقال: اتركهم واثبت على عقيدتك؛ فهي الحق».

قلت: وهٰذه طامة كبرى من عقائد التبليغيِّين، وهي إنكار علو الله على خلقه، وهٰذا هو مذهب الجهمية الذين كفَّرهم كثير من علماء السلف وتبرَّؤوا منهم.

وقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية»:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في عَشْرٍ مِنَ العُلَماءِ في البُلْدَانِ
والـلَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكاهُ عَنْـ ـهُمْ بَلْ حَكاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرانِي

يعني: أن خمس مئة من العلماء صرَّحوا بتكفير الجهمية.

وقد ذكر عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة» كثيراً من أقوال العلماء في تكفيرهم، وذكرها غيره من الأئمة الذين صنَّفوا في السنة والردِّ على الجهميَّة.

فليعتبر المسارعون إلى الانضمام إلى جماعة التبليغ بما ذُكر عن رئيس جماعتهم في المملكة العربية السعودية أنه يعتقد أن الله في كل مكان وليس هو في السماء! وهٰذا كفر صريح؛ لمناقضته للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أن الله تعالى مستوٍ على عرشه، فوق جميع المخلوقات، وأنه مع الخلق بعلمه واطلاعه وإحاطته، ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**

في السَّماواتِ ولا في الأرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلكَ ولا أَكْبَرُ﴾، وأنه: ﴿يَعْلَمُ مَا في البَرِّ والبَحْرِ ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلَّا يَعْلَمُها ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ﴾.

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من الانضمام إلى التبليغيين الذين ينكرون علوَّ الله على خلقه، ويزعمون أنه في كل مكان، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

● القصة الرابعة:

وأما القصة الرابعة من بدع التبليغيِّين وضلالاتهم؛ فهي ما جاء في مذكرة الشيخ المدني الذي تقدَّمت الإشارة إليه، وهي أن أحد الثقات السعوديين شهد عنده؛ قال الشيخ: «وكان قد أحبَّ الجماعة ـ أي: التبليغيِّين ـ، وصار من دعاتهم قريباً من ثلاث سنين، ثم فارقهم عندما رأى رؤساءهم في إحدى الليالي ـ وبدون أن يشعروا به ـ رآهم وهم يذكرون في منتصف الليل على الطريقة الصوفية المعروفة: هُو! هُو! هُو! وكان ذٰلك في مسجدهم في العوالي بالمدينة، وهو الذي يسمُّونه مسجد النور».

● القصة الخامسة:

وقد ذكرت في أول الجواب قصة من نوع هٰذه القصة، وهي ما ذكره بعض العلماء أن رجلاً من طلبة العلم في المدينة المنورة خرج مع التبليغيِّين إلى الحناكية، وأميرهم أحد رؤساء جماعة التبليغ، وفي أثناء الليل رأى طالب العلم أحد الجماعة من الهنود يهتزُّ ويقول: هُو! هُو! هُو! فأمسكه، فترك الحركة وسكت، وفي الصباح أخبر طالب العلم أمير الجماعة بما فعله الهندي التبليغي ـ ظانّاً أن الأمير سينكر على الهندي ـ فأنكر الأمير على طالب العلم إنكاره على الهندي! وقال له بغضب شديد: أنت صِرْتَ وهابيّاً! والله؛ لو كان لي من الأمر شيء؛ لأحرقت كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب، ولم أترك على وجه

الأرض منهـا شيئـاً! ففارقهم طالب العلم حين سمع هٰذا الكلام السيىء من أميرهم؛ لأنه عرف عداوتهم لأئمة العلم والهدى من أهل التوحيد وأنصار السنة، وعرف محاربتهم لكتبهم المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه وإلى إخلاص العبـادة لله وحـده، والنهي عن الشـرك والبـدع والخرافات وأنواع الضلالات والمنكرات والتحذير منها ومن أهلها.

قلت: وفي هاتين القصتين أبلغ تحذير لذوي العقول من الانضمام إلى جمـاعـة التبليغ، والاغتـرار بهم وبمـا يزعمـونـه من المكـاشفات والكرامات والمنامات، التي هي حاصل بياناتهم التي يعمرون بها مجتمعاتهم ويتَّخذون منهـا فخـوخاً لصيد السذَّج ونقلهم من دائرة السنة وعلومها إلى دائرة التصوُّف وأنواع البدع والضلالات والجهالات.

وقد اغترَّ بهم بعض الطلاب في المدارس والمعاهد، فخرجوا معهم، وتركوا طلب العلوم الشرعية، وآثروا الجهل والهوى على العلم والهدى، ويا لها من خسارة! ما أعظمها!

● **القصـة السـادسـة:**

قصـة إحراق «الجامع الفريد»، وفيها دليل على ما يكنُّه التبليغيُّون من بغض العقيدة السلفية وبغض أهل التوحيد وكتبهم ورسائلهم.

وقد جاء في مذكرة الشيخ المدني الذي تقدَّمت الإشارة إليه: أن أحد الثقـات السعـوديين شهـد عنده على عبدالرزاق المصري الصوفي الملقب: الكـويتي؛ قال: «وكـان لسان جماعة التبليغ، وأشهر قادتها بعد سعيد أحمد الهندي الصوفي؛ شهد عليه أنه أحرق «الجامع الفريد» المشتمل على مجموعة من الكتب والرسائل في بيان التوحيد والدعوة إليه والتحذير من الشرك والبدع، وذٰلك بمرأى من الشاهد، عندما أهدى الكتاب إلى الصوفي التبليغي؛ ظانّاً أنه

يفرح بهٰذه الهدية الثمينة، فكان الأمر بالعكس، ولم يقتصر التبليغي على كراهته للكتاب وما فيه من أصول السنة، بل بادر إلى إحراقه؛ ليشفي غيظه وحقده على العقيدة السلفية وأهلها؛ بإحراق ما وقع في يده من كتب أهل السنة، ولما رأى السعودي ما فعله الصوفي من مقابلة الهدية بإحراق الكتاب؛ فارقهم، وكانت هٰذه الحادثة موعظة له وحافزاً على مفارقة التبليغيِّين والبعد عنهم».

● القصة السابعة:

وقعت لمحمد بن عبدالله بن محمد الأحمد الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بالمدينة المنورة مع جماعة من التبليغيِّين، وقد كتب الأستاذ في قصته معهم مذكرة أرسلت إليَّ من المدينة المنورة.

وقد جاء في هٰذه المذكرة: أن الأستاذ المذكور ذهب مع جماعة التبليغ إلى مدينة حجاج البحر بجدة لإرشاد الحجاج وتوجيههم.

قال: «وكان الأمير في هٰذه الرحلة أحد الباكستانيين، ويساعده أحد المصريين؛ لجهل الأمير باللغة العربية! وفي اليوم الأخير من هٰذه الرحلة طلب مني الأمير توجيه كلمة إلى الحجَّاج بعد صلاة العصر، وحيث إني حديث عهد بالخروج مع هٰذه الجماعة؛ فقد طلب الأمير من مساعده توجيه كلمة إليَّ.

فقال المساعد: يجب عليك أن تتجنَّب في حديثك الكلام في ثلاثة أشياء:

الأول: الكلام في السياسة؛ لأن سبب فشل دعوة الإخوان المسلمين هو الكلام في السياسة.

الثاني: الكلام في الشركيَّات وأنواع البدع؛ لأن سبب انحسار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو الاهتمام الزائد في ذٰلك.

الثالث: الكلام في الأحكام والفتوى؛ لأن للإفتاء دائرة معروفة في المملكة العربية السعودية.

فقلت: إذاً؛ ماذا أقول؟!

قال: تكلَّم عن الإيمان وأثره؛ فإنه الأصل والمعوَّل عليه.

فاستعنت بالله، وجعلت موضوع كلامي مطلع سورة المؤمنون؛ من قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ إلى قوله: ﴿**الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾، ومع ذٰلك؛ فقد غادر أكثر هٰذه الجماعة المكان، وبقيت مع الحجيج برهة من الزمن، ومنذ ذٰلك الحين وصلتي بهم مقطوعة.

٥ / ١ / ١٤٠٧هـ».

● القصة الثامنة والتاسعة:

ذكرهما أحد العلماء في مذكرة كتبها في بيان ما عليه التبليغيُّون من النفرة من الكلام في بيان العقيدة السلفية:

وذكر فيها أن أحد كبار العلماء في المدينة المنورة ألقى موعظة في مسجد التبليغيِّين في المدينة، وهو الذي يسمونه مسجد النور، فانفضَّ التبليغيُّون، وخرجوا من المسجد، ولم يستمعوا إلى كلامه وموعظته.

وذكر أيضاً أن العالم المشار إليه ألقى موعظة في مسجد صياف في الحرة الشرقية بالمدينة، فانفضَّ التبليغيُّون ولم يستمعوا إلى كلامه وموعظته.

● القصة العاشرة:

قصة أحد كبار العلماء في المدينة المنورة، حينما ذهب إلى المقر الرئيسي للتبليغيِّين بدلهي في الهند، وأراد أن يلقي عليهم دروساً في بيان العقيدة السلفية وتوحيد الألوهيَّة والتحذير من الشرك والبدع، وليبيِّن لهم وجوب

الكفر بالطاغوت ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأظهروا له الجفاء ومنعوه من الكلام في مقرِّهم، ولما سألهم عن قبر إمامهم محمد إلياس الذي وضع الخطة التبليغيَّة ـ وكان قبره في زاوية مسجدهم ـ؟ قالوا: إنه يبعد عن دلهي بمسافة مئة كيلومتر.

● القصة الحادية عشرة:

ذكرها أحد مندوبي الدعوة بالليث في مذكرة كتبها بيده وأرسلت إليَّ من المدينة المنورة.

وقد قال في هٰذه المذكرة: «إن الجماعة التبليغية تعلِّم الدين بطريقة الصوفية».

قال: «وما هي إلا نحلة من نحل الصوفية، يفسرون (لا إلٰه إلا الله) بتوحيد الربوبية، ويتَّهمون الصحابة بأنهم لا يعرفون التوحيد».

ثم قال: «دخلت على مدرس تبليغي في الصف السادس الابتدائي وهو يدرس موضوع محبَّة خلفاء الرسول ﷺ، فلما وصل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: إن عمر بن الخطاب لما وقعت المجاعة والقحط في زمنه؛ كتب إلى أمراء الأمصار يطلب منهم مدد الأرزاق. ثم قال هٰذا المدرس التبليغي: إن عمر بن الخطاب فتن في دينه بسبب فعل الأسباب».

قال كاتب المذكرة: «فالرجل في قصته هٰذه يتهم عمر بن الخطاب بأنه لا يعرف التوحيد، وهٰذا منكر؛ لأن عمر بن الخطاب أعرف منا بالتوحيد، ومنه نتعلَّم التوحيد، وأراد التبليغيُّ في هٰذه القصة أن يقول: إن فعل الأسباب شرك وليس من الدين! وهٰذه دندنة الصوفية: الأخذ بالخوارق والعلم اللَّدُنِّي».

قال: «وحدثني مَن أثق بقوله أن هٰذا الرجل يقول للطلاَّب: إذا حصل

لأحدكم حريق أو غرق؛ فلا يصيح، ولا يدعو الناس؛ لأن الدعاء هنا شرك! وبكلامه هٰذا ينفي فعل الأسباب! ويقول للطلاب: كونوا أولياء؛ تنجحوا بدون مذاكرة. ويقول أيضاً: اذهبوا إلى المقابر، وتذكَّروا موتاكم، وصلوا عند المقبرة».

● القصة الثانية عشرة:

ذكرها أحد العلماء في المدينة النبوية في مؤلَّف له ذكر فيه كثيراً من المنكَرات التي يفعلها التبليغيُّون وحذَّر منها ومن التبليغيِّين، وذكر فيها شهادة أحد الثقات الأثبات السعوديين على مجموعة من دعاة جماعة التبليغ أنهم دخلوا في معسكر لتدريب المجاهدين الأفغان، وكان هٰذا المعسكر في الباكستان، بقرب مدينة بشاور، وهو تحت قيادة محمد ياسر خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فاستقبلهم القائد ظانّاً أنهم قد جاؤوا ليشاركوهم في الجهاد، ولكنه فوجىء بقولهم: إنما جئنا ليخرج معنا المجاهدون ويسيحوا معنا في الأرض من أجل الدعوة، وليتعلَّموا الإيمان، وطلبوا من القائد أن يسمح للمجاهدين بالخروج معهم، وتردَّدوا إليه أياماً، فأصدر أوامره بمنعهم من دخول المعسكر.

● القصة الثالثة عشرة:

ذكرها الشيخ أحمد بن صالح بن ثابت الحسامي في كتاب أرسله إلى بعض المشايخ بتاريخ ٢١ / ٩ / ١٣٩٣هـ، وقال فيه: «أحيطكم علماً بما أني ذهبتُ إلى الرياض لزيارة الإخوان والتجوُّل في المساجد في آخر شهر رجب، حتى ذهبت إلى مسجد المنتزه قرب المطار، وكان مني أن وضحت دعوة النبي ﷺ؛ كيف بدأ يدعو، وأول ما بدأ في دعوته إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ، وحذَّر من جميع ما يعبد من دون الله، فعندما وضحت العقيدة الإسلامية؛ اعتدى عليَّ

مجمـوعـة، منهم أربعـة أنفـار لا أعرف أسماءهم، وإنما يسمون من جماعة التبليغ، فمسكني أحـدهم وقـال لي: أنت شيطان ناطق! أنت بضد الإسلام والمسلمين! أنت تريد تخرب جماعة التبليغ! وأخذوا فيوز المكرفون».

● القصة الرابعة عشرة:

قصـة الشيخ أبي سعيد محمد بن عبدالله اليربوزي أمير السلفيين في بلجيكا مع جماعة التبليغ هناك، وقد ذكر قصته معهم في تقرير أعدَّه في ٢٤ / ٩ / ١٤٠٨هـ، وقد أرسله الشيخ أبو عمر مصطفى بن خضر الأينكولي إلى أحد المشايخ في المدينة بتاريخ ٢٤ / ٦ / ١٤٠٩هـ، فأرسل الشيخ المدني إليَّ صورة منه، وهٰذا نص التقرير:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ﷺ.

وبعد:

نظراً إلى طلب بعض الإخـوان السعـوديين بيان مشـاهداتي وآرائي في جماعة التبليغ؛ أجبتُ على ذٰلك مرتباً بعض ملاحظاتي فيها على النحو الآتي:

كنت أنا وشخص آخر في سنة ١٩٧٠م أول من خرج للتبليغ مع حافظ بيك الذي مرَّ ببلجيكا بعد رجوعه من الحج مع جماعة التبليغ، والشخص الآخر هو الأخ عبدالقادر عمر قوش أمير هٰذه الجماعة حاليّاً في بلجيكا، ورغم أني كنتُ من قبلُ أنتمي إلى جماعة نشيطة بتركيا؛ إلا أنَّني أقدِّر حتى الآن جماعة التبليغ التي تخرج إلى الشوارع والمقاهي لدعوة جميع المسلمين، ولكني ذاك الوقت لم تكن لي معلومات في قضايا التوحيد؛ لذا لم تتكوَّن لي مَلَكة تمكِّنني

من الحكم عليهم في مسائلهم الاعتقادية والعملية، وعملهم الوحيد الذي كنت أقدِّره فيهم هو الإيثار على أنفسهم.

وفي عام ١٩٧٢م خرجت معهم للتجول إلى إنكلترا وفرنسا وشمال إفريقيا، وذٰلك لمدة ثلاثة أشهر؛ علماً بأن هٰذا الخروج لم يكن برضى أهلي.

وفي نهاية هٰذا السفر قدمت إلى تركيا لخدمة التجنيد، ومكثتُ فيها سنتين، ورجعتُ إلى بلجيكا سنة ١٩٧٤م، وكان في شهر ستة خروجي معهم مرة أخرى، فخرجت إلى باكستان والهند عن طريق إنكلترا لمدة أربعة أشهر، وكذٰلك لم يرض أهلي لهٰذا السفر؛ إلا أن اعتقادي بصحة هٰذا العمل لم يعطني فرصة للتفكُّر في عدم رضى والديَّ.

وفي هٰذه المرة تعرَّفت ببعض الإخوان السعوديين والبحرينيين، ومعاشرتي معهم كانت تساعدني على تعلُّمي اللغة العربية منهم، لكنَّ بعض الأشخاص من كبراء هٰذه الجماعة كانت تحذِّرني منهم، فكانوا يقولون: لا تجلس مع هٰؤلاء؛ لأنهم وهَّابيون، وعقائدهم تخالف عقيدة أهل السنة، وليس عندك معرفة أيضاً في الدين؛ فلذا سيضلونك.

ورغم أن هٰذه الكلمات كانت تخوِّفني، فكنت أتساءل: وما هي عقائدهم الضالة؟ وفي مدة قصيرة بارتباطي معهم عرفت أشياء كثيرة، وفهمت أن هٰؤلاء الإخوان كانوا يتكلَّمون عن التوحيد فقط، ويطعنون في مسائل الشرك، وهٰذه الجماعة ـ أي: التبليغ ـ كانت لا تحب أهل التوحيد؛ إلا أن سوقهم الإخوان الحجازيين والخليجيين للتبليغ كان لإرجاعهم عن عقيدتهم الصحيحة، وذٰلك عن طريق إظهار سلوكهم الحسنة، أحسست ذٰلك الحال بعد معاشرتي لهٰؤلاء الإخوان.

فعندما رأت هٰذه الجماعة أن بعض آرائي قد تغيَّرت، وبدأتُ أخالف

مذهبهم الحنفي ببعض أعمالي؛ تركوني وحدي؛ لأن الذين أكرموني ورغَّبوني في التبليغ ظنُّوا أني سأؤثر على الأتراك الخارجين معنا! ورجعت من الهند إلى بلجيكا بذٰلك السبب، والإخوان ببلجيكا بدؤوا يتعاملون معي بمعاملة باردة، وإن كانوا لا يظهرون بذٰلك.

وأخيراً بدأت أقطع ارتباطي مع هٰذه الجماعة، ورغم ذٰلك كنت أعاملهم معاملة جيدة، إلى أن جاءت حادثة الاجتماع في ٢٨ رجب سنة ١٤٠٢هـ.

ونـظراً إلى إعلان هٰذا الاجتماع مبكراً ببلجيكا، فكنا ننتظر أناساً كثيراً لاشتراكهم فيه، وأخيراً جاء ذٰلك اليوم، وأنا كذٰلك كنت أودُّ أن أستفيد استفادة كثيرة من هٰذا الاجتمـاع، ولـذا قبـل الاجتماع ذكرت مرغباً للإخوان بأن هٰذا الاجتماع اجتماع كبير، وسيشترك فيه كثير من الأتراك أيضاً، وعلينا أن نشترك جماعة كذٰلك، وبهٰذا سنجد فرصة للكلام مع الناس عن التوحيد.

ويوم الثاني منه جئنا مثنى مثنى إلى الموضع، وكلنا تكلَّمنا مع المخاطبين عن التوحيد بما لدينا من العلم، وكنا نحاول أن نلفتهم إلى غاية خَلْقِنا التي هي العبادة؛ لأن عند خروجي مع هٰؤلاء ـ وخاصة مع مشايخهم ـ لم أر أحداً منهم تكلَّم عن التوحيد.

وبالطبع أمرنا هٰذا قد رُئي من بعض المراقبين، فلذا بدؤوا يحيطون حولي ويسألوني بعض الأسئلة، ويقولون مثلاً: لماذا تشوِّش عقول الناس بالأشياء التي لا يفهمـونهـا، فتفسـد عقـول المسلمين الصـافية بآراء ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب الباطلة؟! فأخذوا يتَّهموني بهٰذه الأشياء والتهم!

وأخيراً جاء عبدالقادر عمر قوش أميرهم ببلجيكا، فأخذني إلى الخارج، وكان يعرفني تمام المعرفة؛ لخروجي معه أول مرة بجماعة التبليغ كما ذكرت ذٰلك فيما سبق، فقال لي موجهاً بعض الأسئلة: يا أبا سعيد! يقولون بأنك من

جماعة التكفير؛ فهل هٰذا صحيح؟ فقلت له: مَن قال لك هٰذا؟ فقال لي: لا أعرف؛ إنما كلٌّ يقولون بأنك تكفِّر المسلمين. فقلت مجيباً له: تكفير المسلمين حفظنا الله منه، ونحن برآء من ذٰلك؛ فهل يمكنك أن تعطيني مثالاً عليه؛ فكيف أكفرهم؟! فأجاب على الفور قائلاً: تكفر أهل التصوف. فأجبتُ عليه قائلاً: أتقصد هٰؤلاء الذين يدعون غير الله ويستغيثون بغيره؟ فالله يكفِّرهم ولست أنا بمكفِّر. فذهب وتركني بدون أن يردَّ عليَّ.

وأردت أن أدخل إلى الداخل مرة ثانية، وهٰذه المرة لم يسمحوا لي بالدخول، فكأنهم أحاطوا المدخل، وبدأت أنتظر في مكاني، فبدؤوا يطردون إخواني إلى الخارج واحداً واحداً، وبعد نصف ساعة جميع الإخوان كانوا خارج الباب.

وقد أخذوا من بين هٰؤلاء الإخوان شخصاً إلى مشايخهم، وأمسكوه في الداخل، واسم هٰذا الأخ هو مصطفى، ثم طردوه موجهين إليه بتهم كثيرة.

وبالطبع؛ بعد ساعة أو ساعتين رجعنا إلى المسجد، وسمعنا بالغد أنهم ضربوا شخصاً يسمى بـ (فاروق حنيف) حتى الفجر؛ ظانِّين بأن له ارتباطاً بنا، وقد كتب هٰذا الأخ قصته بنفسه، وها هي ملصقة بهٰذا التقرير.

والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر في

٢٤ / ٩ / ١٤٠٨هـ ببلجيكا

إعداد

محمد أبو سعيد اليربوزي»

● **القصة الخامسة عشرة:**

قصة فاروق حنيف مع جماعة التبليغ، وقد كتبها فاروق بيده كما ذكر ذٰلك أبو سعيد اليربوزي في تقريره الذي تقدم ذكره، وهٰذا نصها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم:

في الاجتماع المنعقد لجماعة التبليغ يوم السبت ٢٨ رجب ١٤٠٢هـ الموافق ٢٢ مايو أيار ١٩٨٢م، وحيث الحشود والوفود تجتمع في مدينة شارلوروا، قرَّرت الذهاب هنالك لملاقاة بعض الإخوة الباكستانيين القادمين من دانمارك لحضور اللقاء، وتم بحمد الله التقائي بهم في قاعة التجمع، واستمعنا معاً إلى بيانات مشايخ التبليغ وغير ذٰلك طيلة يوم السبت إلى صلاة العشاء، وبعد انقضاء الصلاة؛ قمت مع أمير جماعة التبليغ في دانمارك لنذهب إلى المكان الذي حطُّوا فيه رحالهم، وأثناء ذٰلك اعترضني القادري أميرهم في الدار البيضاء، فظننت أنه سائلي سؤالاً عابراً، ومضى صديقي دون أن يشعر بتخلُّفي عنه.

فسألني القادري قائلاً: كيف تجد قلبك تجاه العمل الذي نقوم به والخروج في سبيل الله؟ فأجبته بأني غير مطمئن لطريقة هٰذا الخروج. فاستفسرني عن سبب ذٰلك؟ فأجبته قائلاً: إني أفضل أن يكون خروجي أربعة أشهر لتعلُّم العربية والحديث والفقه في الدين، ولا أرغب الاستماع إلى الخرافات والمنامات التي لا شأن لي بها. فأجابني على الفور بقوله: إذاً؛ في قلبك نفاق. فقلت له: هل أنت مطَّلع على قلبي؟! فأجاب أن نعم! فقلتُ له: ما دمتَ بهٰذه المنزلة؛ فأنت ربِّي؛ لأنه هو وحده المطَّلع على القلوب؛ كما قال تعالى: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾**. فقبض من يدي بقوة، فقلتُ له: إليك عني. فقال لي: ورد في الحديث: «مَن رأى منكم منكراً؛ فليغيِّره

بالعصا». فبادرته قائلاً: اتَّق الله! لا تحرِّف حديث النبي ﷺ، وإنما قال ﷺ: «مَن رأى منكم منكراً؛ فليغيِّره بيده...» الحديث.

فلم يصبر آنذاك، حتى جرَّني إليه بقوة، ولم يدع لي فرصة لآخذ نعليَّ، فأخذني إلى حجرة صغيرة، وطلب مني أوراقي، كأنه رجل مخابرات، فسلَّمته أوراقي، فأخذها وانصرف بعد أن خلَّف مَن يحرسني.

ثم عاد بعد حوالي ثلاث ساعات مع رجل آخر، فأخذاني إلى مكان خلفيٍّ في الخارج، خالٍ عن حركة الناس، فربطوا يديَّ من وراء ظهري، وانهال عليَّ القادري ضرباً وركلاً وجرّاً للحيتي وضرباً برأسي على الجدار، وأذكر من بين ما كان يُقال لي أثناء التعذيب: «من أين جئت بسيارة مشحونة بالسلاح؟»! ثم انصرف بعد أن خلَّف مَن يحرسني!

وبعد ربع ساعة تقريباً عاد إليَّ القادري مع رجل أردني وآخر مغربي يصحبهم الهامي التونسي أميرهم بفرنسا، وعادوا إلى ضربي وتعذيبي تحت نظر الهامي ورعايته، وجاؤوا بمهزلة أخرى، وذٰلك قولهم لي: إنهم وجدوا سيارة مشحونة بالسلاح، وإن لي ارتباطاً بها، وغير ذٰلك من الترَّهات التي لا يصدقها عاقل، فبادرتهم بقولي أن لا علاقة لي بهٰذا على الإطلاق، وإن كان ما تزعمونه حقّاً؛ فأخبروا الشرطة التي تحقِّق في هٰذا.

واستمرُّوا في تعذيبي دون أن يحصلوا مني على نتيجة، ثم هدَّدوني بالكهرباء، فقلت: إني أفوض أمري إلى الله؛ إنه بصير بالعباد، وألبسوني ثوباً ويداي مقيَّدتان كما سبق، وأخذوني إلى مكان أعلى في حجرة ضيقة، حيث هنالك آلة لتوليد الكهرباء، وأجلسوني على حديدة، والعجلة من وراء ظهري، وأخذ بلحيتي يجرها حتى أقرَّ بما ورائي من سوء كما ادَّعوا.

ثم قفل الباب، وظللت وحيداً على تلك الحالة سوى واجهة أنظر من

خلالها الناس وينظرون إليَّ، ومن حين لآخر يأتي مَن يتولَّى إذايتي ويقوم بتعذيبي، حتى أدركني الفجر وأنا على ذٰلك، فصلَّيت بعينيَّ وأنا على تلك الحال حتى طلعت الشمس.

وحوالي الحادية عشرة جاءني القادري، ونصحني بالابتعاد عن المسلمين، وأخذني لأغسل ما أصابني أثناء تعذيبي من التشويه حتى بعد الثانية عشرة ناولني أوراقي وأطلق سراحي مكرِّراً نصحه لي بالابتعاد عن المسلمين.

وهٰكذا يا أحبابي الكرام يكون إكرام المسلم(١)، ولا حول ولا قوة إلا

---

(١) يشير إلى أخد الأصول الستة من أصول التبليغيِّين، وهو ما زعموه من (إكرام المسلم)، وهم على العكس من ذٰلك مع أهل السنة المنابذين لبدعة التبليغ وغيرها من البدع والمحدثات في الدين.

وفي قصتهم مع فاروق حنيف أوضح دليل على أن إكرام المسلم المتمسك بالسنة لا وجود له عند التبليغيين.

ويدل على ذٰلك أيضاً بغضهم وعداوتهم لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب، ومحاربتهم لكتبهم، وتمنيهم إحراقها وإزالتها عن وجه الأرض؛ كما تقدم التنبيه على ذٰلك في أول هٰذه الرسالة.

وقد تقدم في القصة الثالثة عشرة أن طائفة من التبليغيِّين اعتدوا على الحسامي لما تكلَّم في بيان التوحيد والتحذير من الشرك.

وتقدم في القصة الرابعة عشرة أنهم أنكروا على اليربوزي لما تكلَّم في بيان التوحيد، وقالوا له: إنَّك تفسد عقول المسلمين بآراء ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب!! ثم طردوه من مجتمعهم، وطردوا معه جميع الذين ينتسبون إلى السنة.

فلنتأمل هٰذه القصص؛ ففيها دليل على بغض التبليغيِّين للسنة وأهلها، وفي اعتدائهم على بعض أهل السنة، وإهانتهم، وطردهم من مجتمعاتهم؛ دليل على أن إكرام المسلم المتمسك بالسنة لا وجود له عند التبليغيِّين، وأنهم إنما جعلوا إكرام المسلم أصلاً من أصول بدعتهم؛ ليصيدوا به السذَّج الذين ينخدعون لظواهر أقوالهم التي يُراد بها الخديعة للأغبياء واستدراجهم إلى قبول البدع والجهالات والإعراض عن السنة وأهلها.

بالله، وإليه المشتكى، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وجاء في خاطري وأنا خارج المكان أن أذهب إلى الشرطة، وأخبرهم بما جرى لي مع هٰؤلاء، ولكني فضَّلت الصمت؛ مراعاةً لمصلحة الإسلام والمسلمين.

التوقيع: فاروق حنيف»

قلت: في هٰذه القصة أوضح بيان لما كان عليه التبليغيُّون من بغض أهل السنة والعقيدة السلفية، وما كان عليه بعض أمرائهم من الفظاظة والغلظة على الضعفاء من أهل السنة، ومجاوزة الحد في ظلم من تمكَّنوا من ظلمه والاعتداء عليه من غير جرم ولا سبب سوى كراهته لخرافات التبليغيِّين ومناماتهم وما يزعمونه من الكرامات التي لا حقيقة لها، وإنما هي من تلاعب الشيطان بهم وتلبيسه عليهم في اليقظة والمنام؛ كما فعل ذٰلك بأسلافهم من جهلة الصوفية وضلَّالهم.

وإن الجلود لتقشعرُّ مما فعله الظلمة من أمرائهم مع المسلم الضعيف المسمَّى بـ (فاروق حنيف) من أنواع التعذيب والضرب الشديد، وما وجَّهوه إليه من الافتراء والأكاذيب والتهم التي لا صلة له بها، وسيقف الجميع بين يدي حكم عدل، يأخذ للمظلوم حقَّه من الظالمين، ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَموا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ**﴾.

وقد حرَّم الله الظلم على نفسه، وجعله محرَّماً بين عباده، وحرَّم إيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا وشدَّد في ذٰلك، وحرَّم أيضاً رميهم بما هم برآء منه من الخطايا والآثام وشدَّد في ذٰلك:

فقال تعالى: ﴿**والَّذينَ يُؤْذونَ المُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبوا فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً**﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطيئةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَريئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً﴾.

وروى الطبراني بإسناد جيِّد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به؛ حبسه الله في نار جهنم، حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه».

وروى: الإمام أحمد، وأبو داود، والطبراني؛ عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «من رمى مسلماً بشيء يريد شينه به؛ حبسه الله على جسر جهنَّم حتى يخرُجَ ممَّا قال».

وروى: الإمام أحمد، والطبراني أيضاً؛ عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟». قالوا: بلى. قال: «فخياركم الذين إذا رُؤوا؛ ذُكِر الله تعالى. ألا أخبركم بشراركم؟». قالوا: بلى. قال: «فشراركم المفسدون بين الأحبَّة، المشاؤون بالنميمة، الباغون للبرآء العنت».

وروى الإمام أحمد أيضاً عن عبدالرحمٰن بن غنم رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه.

قال ابن منظور في «لسان العرب»: «(العَنَت): دخول المشقَّة على الإنسان ولقاء الشدة، يُقال: أعنت فلان فلاناً إعناتاً: إذا أدخل عليه عنتاً؛ أي: مشقَّة. و(البرآء): جمع بريء» انتهى.

وإذا عُلِم ما جاء في الآيتين وحديثي أبي الدرداء وسهل بن معاذ من التشديد والوعيد لمن رمى مسلماً بشيء ليس فيه ليعيبه به؛ فلا يأمن القادري والهامي وأعوانهما الذين تكالبوا على فاروق حنيف واستضعفوه وعذَّبوه أشد العذاب ورموه بما هو بريء منه من الترَّهات والإفك والبهتان أن يكون لهم

نصيب وافرٌ ممَّا جاء في الآيتين والحديثين من الوعيد الشديد.

وفي القصة أيضاً ما وقع من القادري من التحريف في حديث الأمر بتغيير المنكــر، حيث قال: «ورد في الحــديث: «من رأى منكم منكــراً؛ فليغيِّره بالعصا»»، وهٰذا من الكذب على رسول الله ﷺ والتحريف لكلامه!

وقد تواتر عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن كذب عليَّ متعمِّداً؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

ورواه الإمـام أحمد، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لا يقول أحدٌ عليَّ باطلاً ـ أو: ما لم أقل ـ؛ إلا تبوَّأ مقعده من النار».

إسناده ثلاثي على شرط الشيخين.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، وابن ماجه؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تَقَوَّل عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

وروى ابن ماجه عن أبي قتادة رضي الله عنه؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على هٰذا المنبر: «إياكم وكثرة الحديث عني؛ فمن قال عليَّ؛ فليقل حقّاً أو صدقاً، ومَن تقوَّل عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

وروى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ قال: قال نبي الله ﷺ: «إنَّ من أعظم الفرى: أن يدَّعي الرجل إلى غير أبيه، أو يُري عينيه في المنام ما لم تريا، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل».

فليتأمل المتهاونون بالتقوُّل على رسول الله ﷺ ما جاء في هٰذه الأحاديث

من الوعيد الشديد لمن قال على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ولا يأمنوا أن يكون لهم نصيب وافرٌ منه.

● القصة السادسة عشرة:

قصة ذبح طائفة منهم لأولادهم الذكور اعتماداً منهم على الأحلام الشيطانية!

وقد ذكر هٰذه القصة الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٣٩) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغيَّة»، فقال ما ملخصه:

«وإن من غريب مضار الجهل ما حدث بالهند وباكستان من بعض أهل الدين والصلاح والتقى، حيث رأوا في المنام أنهم ذبحوا ـ أو يذبحون ـ بعض أولادهم الذكور خاصة، فلما أصبحوا؛ ظنُّوا منامهم إلهاماً وأمراً وابتلاءً لهم من الله، فقاموا وأنجزوا ما أُمِروا به في زعمهم، فذبحوا أبناءهم من أصلابهم كما يُذبح الكبش مطَّرحاً وهو ينظر، وأحسنوا ذبحتهم في زعمهم، واحتسبوهم، وأحسنوا احتسابهم في زعمهم؛ فيا لهول المنظر! ويا لفظاعة الجهل!

ولما أخذوا ونوقشوا؛ قالوا: لم نأت إمْراً، ولم نحدث نكراً، وإنما أنجزنا ما أُمِرنا به، واتَّبعنا فيه سنة سيدنا إبراهيم عليه السلام! ولا يعلمون أن منام الأنبياء وحيٌ، ومنام الصلحاء بشائر أو أضغاث أحلام ومجرَّد رؤيا منام أو إضلال شيطان.

والسبب في جهلهم هٰذا وأمثاله قيادتهم الدينية، فهي المسؤولة عن جهل الأتباع».

إلى أن قال: «ولم نسمع بمثل هٰذه الأحداث في البلاد العربية، فيا لكارثة

العقول وزيغ القلوب! ويا لضياع الدين والدنيا معاً! فإنا لله وإنا إليه راجعون» انتهى.

وإذا كانت هٰذه الكارثة من أفعال الموصوفين بالدين والصلاح والتقى من التبليغيِّين؛ فما الظن بمن هو دونهم في هٰذه الخصال؟!

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من الاغترار بالتبليغيِّين، والانضمام إليهم؛ فإنهم أهل بدع وضلالات وجهالات، ولا خير فيهم.

وأما قول الأستاذ سيف الرحمٰن: «إن قيادة التبليغيِّين هي المسؤولة عن جهل الأتباع، وأنها هي السبب في جهل الذين ذبحوا أولادهم اعتماداً على الأحلام الشيطانية».

فجوابه أن يُقال: من المعلوم عند العقلاء أن البنيان إذا كان مؤسساً على شفا جرفٍ هار؛ فأساسه أقرب إلى الانهيار من فروعه، وبيان هٰذا أن قيادة التبليغيِّين مؤسسة على البدع والجهل والضلال؛ فلا فرق إذاً بين القادة والأتباع في جهلهم لكثير من أحكام الشريعة.

وقد ذكرت في القصة الأولى عن أمير جماعة التبليغيِّين في زماننا ـ وهو المسمى إنعام الحسن ـ أنه استعمل الشعوذة والأحوال الشيطانية والتعاويذ المشتملة على الشرك الأكبر في العلاج من السحر الذي ظنَّ أنه قد أصيب به.

وذكرت في القصة أيضاً أن إنعام الحسن أمر عمر بالنبوري الذي يعتبر لسان الدعوة التبليغية الناطق أن يستشفي من السحر الذي ظنَّ أنه قد أصيب به بمثل ما استشفى به إنعام الحسن من الشعوذة والتعاويذ الشركية والأحوال الشيطانية.

وإذا كان الجهل قد بلغ بأمير جماعة التبليغ ولسان دعوتهم الناطق إلى

استعمال التعاويذ المشتملة على الشرك الأكبر في العلاج والاستشفاء بالشعوذة والأحوال الشيطانية؛ فلا يُستكثر من بعض أتباعهم أن يبلغ بهم الجهل إلى أن يذبحوا أولادهم اعتماداً على الأحلام الشيطانية.

ولا شكَّ أنَّ الـــذي فعله إنعــام الحسن وعمــر بالنبـوري من الشـرك والاستشفاء بالشعوذة والأحوال الشيطانية أعظم بكثير من ذبح الأولاد؛ لأن الشرك أعظم الظلم وأكبر الكبائر وأشد المحرَّمات تحريماً، وقد أخبر الله تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وهذا يدل على أن ذبح الأولاد أهون من الشرك؛ لأن ذبحهم من الذنوب الداخلة في قول الله تعالى: ﴿ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾، وأما الشرك؛ فإنه مقطوع لصاحبه بعدم المغفرة:

لقول الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

ولقـولـه تعـالى: ﴿إنَّـهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ومَأْواهُ النَّارُ﴾.

وفي الحـديث الصحيح عن عبـدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك». قال: قلتُ له: إن ذلك لعظيم. قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «ثم أن تزاني حليلة جارك».

رواه: الإمــام أحمـد، والبخـاري، ومسلم، وأبـو داود، والتـرمـذي، والنسائي.

وفي رواية: «فأنزل الله عزَّ وجلَّ تصديقها: ﴿والَّذينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ ولا يَقْتُلونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً﴾».

فالواجب على إنعام الحسن وعمر بالنبوري أن يتوبا ممَّا وقع منهما من الشرك والتعلُّق بالشعوذة والأحوال الشيطانية؛ فإن الله تعالى يتوب على مَن تاب صادقاً من أي ذنب كان.

* * * * *

ومن الشركيَّات التي ذُكرت عن بعض مشايخ التبليغيِّين أنهم كانوا يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويقرُّون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية.

ذكر ذٰلك عنهم الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٤٧) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية».

وذكر أيضاً أن شيخهم الشيخ زكريا شيخ الحديث عندهم وبمدرستهم ببلدة سهارنفور بالهند كان يأتي إلى المدينة المنوَّرة، ويرابط عند قبر النبي ﷺ بالجانب الشرقي من القبر، ونحو الأقدام الشريفة، ويذهب في المراقبة عدة ساعات؛ كما شاهده الكثيرون.

ويقول قائلهم: إن لجماعتنا وأكابرنا حظ وصول في مجالس النبي ﷺ يقظة لا مناماً.

ثم ذكر عن مؤلف منهم أنه قال في (ص ١٤٩) من مؤلَّفه:

يا شَفيعَ العِبادِ خُذْ بِيَدي ... أَنْتَ في الاضْطِرارِ مُعْتَمَدي
لَيس لي مَلْجَأ سِواكَ أَغِثْ ... مَسَّني الضُّرُّ سَيِّدي سَنَدي
غَشَّنِي الدَّهْرُ يا ابنَ عَبْدِالله ... كُنْ مُغيثاً فأَنْتَ لِي مَدَدي
لَيْسَ لي طَاعَةٌ ولا عَمَلُ ... بَيْدَ حُبِّيك فَهُوَ لي عَتَدي
يا رَسولَ الإلٰهِ بابُكَ لي ... مِنْ غَمامِ الغُمومِ مُلْتَحَدي

جُدْ بِلُقْيَاكَ فِي المَنَامِ وكُنْ ... سَاتِراً للذُّنوبِ والفَنَدِ
أَنْتَ عَافٍ أَبَرُّ خَلْقِ اللهِ ... ومُقِيلُ العِثَارِ واللَّدَدِ
رَحْمَةٌ للعِبَادِ قاطِبَةً ... بَلْ خُصوصاً لِكُلِّ ذِي أَوَدِ

وقد اشتملت هذه الأبيات على أنواع كثيرة من الشرك الأكبر، وهي شبيهة بقصيدتي البردة والهمزية للبوصيري؛ فإن كلًّا من الشاعرين قد صرف خالص حقِّ الله تعالى عن الله وجعله للنبي ﷺ.

وقد روى الإمام أحمد بأسانيد جيدة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما شاء الله وشئت. فقال: «جَعَلْتَني لله عَدْلاً؟! بل ما شاء الله وحده».

وإذا كان النبي ﷺ قد أنكر على الرجل الذي أشركه مع الله في المشيئة؛ فكيف بمن صرف للنبي ﷺ أشياء كثيرة من خصائص الألوهيَّة، فجعل النبي ﷺ معتمداً له في الاضطرار، وملجأ ومستغاثاً من الضر والشدائد، وسنداً ومدداً وملتحداً وساتراً للذنوب والفند، وعافياً ومقيلاً للعثار؟!

وقد كان المشركون الأولون أقل شركاً من صاحب الأبيات التي تقدم ذكرها؛ لأن الله تعالى أخبر عن المشركين الأولين أنهم كانوا يشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة:

فقال تعالى: **﴿فإذا رَكِبُوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكونَ﴾**.

وقال تعالى: **﴿وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعونَ إلَّا إيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وكَانَ الإنْسانُ كَفوراً﴾**.

وأما صاحب الأبيات؛ فإنه قد أشرك بالله تعالى في حالتي الرخاء

والشدَّة، وما علم المسكين أن الله تعالى قد حرَّم الجنة على المشركين وأوجب لهم النار:

فقال تعالى: **﴿وَقَالَ المسيحُ يا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدوا اللهَ رَبِّي وربَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ومَأْواهُ النَّارُ ومَا للظَّالِمينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾**.

وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلكَ لِمَنْ يَشاءُ ومَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظيماً﴾**.

وفي الآية الأخرى: **﴿ومَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً﴾**.

وروى: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَن مات وهو يجعل لله ندّاً؛ دخل النار**».

فلينتبه المفتونون بالقبور والتمائم والتعاويذ الشركيَة والشعوذة والأحوال الشيطانية من التبليغيِّين وغيرهم لهٰذا الوعيد الشديد لمَن أشرك بالله، ولا يستهينوا به، ولا يأمن الواقعون في أي نوع من الشرك أن يكون لهم نصيب وافر من الوعيد الشديد للمشركين.

وقد قال الله تعالى: **﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلى اللهِ ومَنْ عادَ فَأُولٰئكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدونَ﴾**.

وقد ذكر القائد ميان محمد أسلم الباكستاني في (ص ١٣) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها»: أن شيخ التبليغيِّين محمد إلياس كان يجلس في أكثر الأحيان خلف قبر عبدالقدوس الكنكوهي[1]، وكان

(١) ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه «الإمام السرهندي» (ص ١١٨) أن الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي رئيس الطريقة الجشتية الصابرية كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود والسكر والاضطراب والفناء والاستغراق، وكان من أصحاب السماع والمواجيد، ومن الدعاة المتحمِّسين لها.

يجلس في الخلوة قرب قبر نور سعيد البدايوني، ويصلي بالجماعة هناك[1].

وذكر في (ص ٢٧) عن الشيخ سردار محمد الباكستاني: أنه قال: «ضللت في جماعة التبليغ عشر سنوات تقريباً، وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ في ذٰلك الوقت قريباً من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس في محلة نظام الدين مقر الجماعة بدهلي، فكنا نجلس حول قبره وقتاً طويلاً في حالة المراقبة، ساتري الرؤوس».

قال: «وكان الشيخ محمد يوسف يقول: إن صاحب هٰذا القبر شيخنا محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلُّق به.

وكذٰلك كنا نجلس أيضاً على قبر الشيخ عبدالرحيم راي فوري في هيئة المراقبة.

وكان الشيخ محمد يوسف يجلس مراقباً عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال إقامته في المدينة المنورة».

قال الشيخ محمد أسلم: «هٰذه الطريقة معروفة بين مشايخ جماعة التبليغ، وهم يعملون عليها بالكثرة».

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «قول محمد يوسف: «إن صاحب هذا القبر ـ يعني: أباه محمد إلياس ـ يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلُّق به»: هٰذا يسمَّى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف استمداداً.

وقد تقدَّم أن الشيخ عبدالكريم المنصوري السلجماسي لما أعطاني

---

(١) «سوانح محمد يوسف» (ص ١٣٥).

الـطريقة التجانية؛ أمرني إذا جلست لذكر الله تعالى أن أتصوَّر صورة الشيخ أحمد التجاني أمامي وعمود من نور يخرج من قلبه ويدخل في قلبي؛ يعني أنه ينوِّر قلبي ويشرح صدري ويؤهِّله للفيوض.

وهٰذا كفر صريح.

وقد أخبرني الثقات أن عليّاً أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع، لا يتكلَّم ساعتين وأكثر، فاستغـربت هٰذا الأمـر، وفهمت أنـه استمداد، ولم أكن أعلم أن هٰـذا شائع عندهم في طريقتهم، إلى أن كشفه محمد أسلم جزاه الله خيراً.

فهٰذا شرك بالله تعالى، واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربِّه، وقد رأيت في كتاب «كشَّاف القناع في شرح الإقناع» ـ من أشهر كتب فقه الحنابلة ـ ما نصه:

قال الشيخ رحمه الله: من اتَّخذ وسائط بينه وبين الله؛ كفر إجماعاً. والمراد بالشيخ هنا هو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية[1].

---

(١) قلت: كلام شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية الذي ذكره صاحب «شرح الإقناع» مذكور في رسالة لشيخ الإسلام تسمى «الواسطة بين الخلق والحق»، وقد طُبعت مفردة، وطُبعت أيضاً ضمن «مجموعة التوحيد»، وفي (ص ١٢١ ـ ١٣٨) من المجلد الأول من «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية».

وقد قال فيها ما نصه: «مَن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار؛ فهو كافر بإجماع المسلمين».

وقال فيها أيضاً ما ملخصه: «ومَن سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين؛ إن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه؛ كالحجَّاب الذين بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقـه؛ فالله إنمـا يهدي عباده ويرزقهم بتوسُّطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الـوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منه، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى

ومن المعلوم أن الله تعالى هو الذي يمدُّ عباده بالأرزاق الحسيَّة كالطعام والشراب وقوة البدن، وبالأرزاق المعنوية؛ كهداية القلوب وتنويرها وشرح الصدور والتجلِّيات لها، ولكن الله تعالى لا يحتاج إلى واسطة يتوسَّط بينه وبين خلقه في منحهم تلك الأرزاق؛ لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصالحين.

فالملائكة يستغفرون للمؤمنين، ويسألون الله لهم الرحمة، ولا يستطيعون أن يعطوهم مثقال ذرة من ذٰلك ولا أقل.

والأنبياء يعلِّمون أممهم، ويبلِّغونهم رسالة ربهم، ولا يستطيعون أن يعطوا أحداً منهم مثقال ذرَّة من الهداية ولا أقل من ذٰلك؛ لأن الهداية بيد الله وحده.

قال الله تعالى لسيد الأنبياء: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾.

وطرائق المتصوفة يشبه بعضها بعضاً في ضلالاتها وشركها، وقول محمد يوسف: إن أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل عليه من الله تعالى على حسب ارتباط المريدين به وقوة إخلاصهم واستمدادهم أدهى وأمرّ مما تقدَّم وزيادة وضوح لهٰذا النوع من الكفر» انتهى[1].

ومن الشركيات التي ذُكرت عن بعض مشايخ التبليغيين ما ذكره محمد أسلم الباكستاني في (ص ٣٣) من كتابه الذي تقدَّم ذكره، ونقله من الكتاب المسمَّى «سيرة محمد يوسف»[2]: أنه قال في الشيخ محمد زكريا هٰذه العبارة

= الملك من الطالب للحوائج، فمَن أثبتهم وسائط على هٰذا الوجه؛ فهو مشرك كافر يجب أن يُستتاب، فإن تاب، وإلا قتل» «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ١٢٤ - ١٢٦ / ١).

(١) «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم» (ص ٧٦ - ٧٧).

(٢) هٰذا الكتاب لمحمد الثاني الحسني، رئيس تحرير «مجلة رضوان الشهرية» (لكناو - =

المنكرة، وهي قوله:

«ويعامل الله معه معاملة خاصة، بحيث كل شيخ ومُرَبٍّ طرأ عليه الموت، يودع الشيخ خلفاءه ومسترشديه، وهٰؤلاء يرفعون إلى الشيخ زكريا من إشارة غيبية، أو لكون ثقة شيخه ومربيه على الشيخ زكريا واعتمادهم عليه، فيجعلون أمور تكميلهم وتربيتهم وهدايتهم ومشورتهم في أيدي الشيخ زكريا».

قلت: ما ذكر في هٰذه الجملة من اعتماد خلفاء الشيخ ومسترشديه على الشيخ زكريا وجعل أمور تكميلهم وتربيتهم وهدايتهم في يد الشيخ؛ فكله من الشرك الأكبر.

ومن الشرك الأكبر أيضاً ما ذكره محمد أسلم عن الشيخ محمد زكريا،

= الهند)، وقد قدم له أبو الحسن الندوي. ذكر ذٰلك محمد أسلم في (ص ٢٣) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها».

وذكر عنه أنه قال في (ص ٢٦): «أنا قبلت المسؤولية أن أساعد السيد محمد الثاني الحسني، وأوجه إليه التوجيهات الكاملة الحاصلة من تجربتي، وأقرأ ما يكتبه لفظاً لفظاً وكلمة كلمة، وبهٰذه الطريقة أساهم في تأليف هٰذا الكتاب».

انتهى كلام الندوي، وقد أقر ما ذكره محمد يوسف من الشرك الأكبر الذي وقع من الشيخ زكريا، وهٰذا مبلغه من العلم.

ومن أفكار الندوي التي ذكرها عنه محمد أسلم في (ص ٢٣) أنه قال: «الدنيا رآها المتنوِّرون، لكني رأيتها أكثر منهم، ومع هٰذا أقول بطريقة المبايعة الجشتية النقشبندية القادرية السهروردية وأعمل عليها» انتهى.

فلينتبه المفتونون بأبي الحسن الندوي لما وقع منه من إقرار بالشرك الأكبر الذي ذُكر في قصة زكريا مع مرشد الندوي، وما ذكره عن نفسه أنه يقول بالطرق الأربع من طرق الصوفية ويعمل عليها، وقد وقع منه غير ذٰلك من المنكرات التي ذكرها محمد أسلم وتقي الدين الهلالي في كتابيهما؛ فليراجعهما المفتونون بالندوي؛ ليعرفوا حقيقة أمره، وأنه من المفلسين غاية الإفلاس من علم التوحيد والسنة.

حيث قال في (ص ٣٤): «زيارة قبر الشيخ عبدالقادر راي فوري مرشد الشيخ أبي الحسن الندوي».

ثم ذكر عن الشيخ محمد زكريا أنه قال: «كان الشيخ عبدالقادر يشتاق إلى أن يستمع القرآن مني، لكن ما سنحت الفرصة، فاهتممت بختم القرآن كله عند قبره، فسافرت إلى باكستان لتكميل هٰذه الرغبة خاصة، وكان الشيخ عبدالقادر يتفكر في راحتي وسعادتي دائماً، وقد ظهر هٰذا الآن، بحيث كانت الأيام الثلاثة التي قضيتها عند قبره، صار جوُّ هٰذا المكان الحار الشديد معتدلاً بتصرُّف الشيخ لثلاثة أيام»[1].

وقد ذكر هٰذه القصة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ٨٣) من كتابه المسمى بـ «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»، بسياق فيه زيادة على ما ذكره محمد أسلم، ووضع للقصة هٰذا العنوان: «تصرف الشيخ عبدالقادر الراي بوري مرشد أبي الحسن الندوي في الكون بزعمهم»[2].

ثم قال: «زعم زكريا الكاندهلوي أن الشيخ عبدالقادر المذكور كان يحب أن يسمع منه القرآن، فلم يتيسر له ذٰلك حتى مات. قال زكريا: فذهبت إلى قبره لأقرأه عليه ليسمعه ميتاً إذ لم يسمعه وهو حي، وكان جوُّ تلك القرية التي دُفن فيها عبدالقادر شديد الحرِّ لا يُطاق حرُّه، فصار جوُّ هٰذا المكان معتدلاً لا برد فيه ولا حرَّ لمدة ثلاثة أيام بتصرُّف الشيخ عبدالقادر، فلما ختمت القرآن وانصرفت؛ عاد حارّاً كما كان».

قال محمد تقي الدين الهلالي: «هٰذا كلام فيه كفر وضلال، فأما الضلال؛ فقراءة القرآن عند القبر، وأما الكفر؛ فزعمه أن عبدالقادر تصرَّف في الجو فجعله بارداً لمدة ثلاثة أيام» انتهى كلام تقي الدين الهلالي.

(١ و ٢) «حياة محمد يوسف» (ص ١٠٠).

قلت: إذا كانت هٰذه الأمور الشركية قد راجت على الشيخ زكريا الذي يصفونه بأنه ريحانة الهند وبركة العصر والمحدث الكبير وشيخ الحديث وشيخ المشايخ والمشرف الأعلى لجماعة التبليغ وأعلم الناس عندهم. . . وراجت أيضاً على أبي الحسن الندوي الصوفي التبليغي الذي قد اغترَّ به كثير من المنتسبين إلى العلم، وظنُّوا أنه من كبار العلماء في زماننا، وهو في الحقيقة من المفلسين من علم التوحيد والسنة، وراجت أيضاً على غيرهما من مشايخ التبليغيِّين وأكابرهم، فلم يروا بها بأساً؛ فلا تسأل عن حال أتباعهم من السذَّج الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون؛ فهٰؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى: **﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذوا الشَّياطينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾**.

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر خرافة ذكرها الندوي في بعض كتبه وراجت عليه، وذٰلك مما يدل على أنه من أجهل الناس بالسنة.

ويأتي أيضاً كلام الأستاذ سيف الرحمٰن في الندوي وفي علمه بعد الكلام على الأصل الثالث من أصول التبليغيِّين إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر القائد محمد أسلم في كتابه المسمى «جماعة التبليغ» قصصاً كثيرة من الشركيات والبدع والأباطيل والتُّرهات والمزاعم الكاذبة التي وقعت من بعض الأكابر من مشايخ التبليغيِّين، وقد ذكرتُ نموذجاً من الشركيات التي ذكرها عنهم؛ ليعتبر بذٰلك المخدوعون بجماعة التبليغ، وتركت ذكر كثير منها خشية الإطالة، فمَن أحبَّ الوقوف عليها؛ فليراجع كتاب محمد أسلم من أوله إلى آخره؛ فسوف يجد فيه ما تقشعرُّ منه جلود أهل الإيمان وتشمئز منه قلوبهم.

ومن التُّرهات التي ذكرها محمد أسلم عن كبار التبليغيِّين أنهم قالوا: إن مدرسة ديوبند أسسها النبي ﷺ، وإنه كان يأتي إلى هٰذه الدار أحياناً مع أصحابه

وخلفائه لتدقيق حساب المدرسة[1].

وهٰذه الطامة مذكورة في (ص ٥ ـ ٦) من كتاب محمد أسلم.

وقد قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي بعد ذكر هٰذه الطامة في (ص ١٦ ـ ١٧) من كتابه المسمى بـ «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»: «اقرؤوا أيها الناس، واعجبوا كيف يؤسس النبي ﷺ مدرسة تحارب سنته وتنبذ هديه، فهي ماتريدية في العقائد، حنفية في المذهب، أسست على معصية الرسول والتفرق في الدين، لا يرضاها رسول الله ﷺ ولا الخلفاء الراشدون المهديُّون ولا أبو حنيفة رحمه الله؛ لأن عقيدة أبي حنيفة التي رواها عنه الثقات بعيدة كل البعد من الماتريدية والتقليد والتفرق، ولكن؛ إذا لم تستح؛ فاصنع ما شئت، وقل ما شئت».

ثم ذكر الهلالي بعض أقوال الماتريدية في الإيمان، وهي من أقوال أهل البدع، وذكر مخالفة أبي حنيفة لأقوالهم.

إلى أن قال: «والماتريدية يقولون: إن الله تعالى ليس فوق العرش بذاته، وأبو حنيفة يكفِّر مَن يقول بهٰذا القول كما في «الفقه الأكبر» وغيره».

قال الهلالي: «ولماذا يحضر النبي ﷺ لتدقيق الحساب؟! هل نزلوا بالنبي ﷺ حتى جعلوه حاسباً لهم نفقات المدرسة؟! وكفى بهٰذا سوء أدب مع النبي ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ماذا يبلغ الجهل والتقليد والتعصُّب بأهله؟!» انتهى كلامه.

قلت: ما جاء في هٰذه القصة الخرافية فهو من أعظم الافتراء على رسول الله ﷺ وعلى خلفائه وأصحابه، وقد تواتر عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن كذب

---

(١) «توحيد خالص» للدكتور عثماني (ص ١٠٤).

عليَّ متعمداً؛ فليتبوأ مقعده من النار».

فلا يأمن الذين افتروا على رسول الله ﷺ وعلى خلفائه وأصحابه أن يكون لهم نصيب وافـر من هٰذا الوعيد الشديد، وكذٰلك الذين يعتقدون صحة هٰذه الخرافة من التبليغيِّين وغيرهم لا يأمنوا أن يكون لهم نصيب وافر من الجزاء على هٰذه الفرية العظيمة.

ومن الطامات التي ذكرها محمد أسلم في (ص ٦) من كتابه عن الشيخ قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند: أنه قال في كتابه «تحذير الناس» (ص ٥): «إن الأنبياء يمتـازون بين أمتهم بعلمهم، أمـا الأعمال؛ ففي أكثر الأحيان يساويه أتباعه في الظاهر، بل يتفوَّقون عليه في العمل».

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ١٩ - ٢٠) من كتابه الذي تقدَّم ذكره: «أما زعمه أن أتباع الأنبياء يساوون الأنبياء في العمل، بل يفوقونهم؛ فهو من الطوامِّ الكبرى والضلالات العظمى».

إلى أن قال: «من زعم أنـه زاد على عمل النبي ﷺ؛ فهو ضالٌّ فاسد الاعتقـاد؛ لأن ما زاده يبعده من الله، وهو في الحقيقة نقصان وخذلان؛ فإن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وكل حركاته عبادة لا تساويها عبادة؛ فكلام هٰذا القائل ضلال وهوس أصيب به» انتهى.

ومن الطامات أيضاً ما ذكره محمد أسلم في (ص ٦): «أن الشيخ محمد قاسم النانوتوي شكا إلى مرشده حاجي إمداد الله، فقال: كلما وضعت السبحة في يدي؛ ابتليت بمصيبة، وبلغ الثقل بحيث كأنه وضع عليَّ أحد صخرات، كأن وزن كل صخرة مئات مَنٍّ[1]، ووقف اللسان والقلب؟ فقال الحاج إمداد

(١) قال الجوهري وغيره من أهل اللغة: «المنُّ: رطلان».

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «المنُّ: الذي يوزن به». =

الله: إنَّ هٰذا فيضان النبوَّة على قلبك، وهٰذا هو الثقل الذي يحسُّه النبي ﷺ وقت الوحي، فيستخدمك الله لعمل كان يفعله الأنبياء»[1].

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ٢٠) من كتابه: «هٰذا الكلام خبيثٌ، بلغ في الضلال والكذب والاستخفاف بالأنبياء إلى حدٍّ لا يحتاج إلى تعليق» انتهى.

ومن أكبر مشايخ التبليغيين ودجَّاليهم حسين أحمد مؤلف كتاب «الشهاب الثاقب»، وقد ذكره محمد أسلم في (ص ٧) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»، وقال: «إنه حنفيٌّ ديوبندي جشتي».

قال: «وهو شيخ الحديث، ورئيس التدريس في دار العلوم بديوبند».

قال: «والديوبنديون يسمونه شيخ الإسلام، وهو من كبار مشايخ جماعة التبليغ».

ثم نقل عنه كلاماً سيئاً ذكره في (ص ٦) من كتابه «الشهاب الثاقب»، طاش فيه عقله، وغلب عليه شيطانه وهواه، فأقذع في سب شيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وما ينقم منه إلا أنه كان شديداً على القبوريين والصوفية وغيرهم من المتلوثين بالشرك والبدع والأحوال الشيطانية التي قد تشبَّث بها حسين أحمد وغيره من كبار مشايخ التبليغ وغلبت عليهم، وقد ذكرتُ نموذجاً من ذٰلك في صفحات مما تقدم قريباً، وسيأتي ذكر نماذج أخر من أقوالهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة إن شاء الله تعالى.

= وقال ابن سِيْدَه: «المنُّ: كيل أو ميزان».

قلت: وهو في عرف بعض أهل زماننا يبلغ مئات من الأرطال، نحواً من خمس مئة رطل.

وقد أعاد محمد أسلم ذكر هٰذه الجملة في (ص ١٥)، وقال: «مئة طنٍّ».

(١) «سوانح قاسمي» (١ / ٢٥٨ - ٢٥٩).

وقد قيل:

كُلُّ العَداواتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُها إلَّا عَداوَةَ مَنْ عَادَاكَ في الدِّينِ

وهٰكذا كانت حال حسين أحمد؛ لأنه إنما تسلَّط على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وجازف في سبه، وأقذع في ذٰلك؛ من أجل ما كان بينهما من الخلاف في الدين.

فأما شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؛ فإنه كان متمسِّكاً بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم، وكان من الأئمة المصلحين الذين بذلوا جهدهم في تجديد الدين ونشر السنة، وكان محارباً للشرك ووسائله وللبدع وأهلها.

وأما حسين أحمد؛ فإنه كان من المتلوثين بالشرك والبدع والعقائد الفاسدة. فكان مع شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في طرفي نقيض، وكانت حال كل منهما في الدين مخالفة لحال الآخر؛ فلهٰذا تسلَّط على شيخ الإسلام، وبالغ في سبِّه وسبِّ أتباعه والافتراء عليهم، وسيقف معهم بين يدي حكم عدل يأخذ للمظلومين حقوقهم من الظالمين المعتدين.

وقد ذكر محمد أسلم كلام الشيخ حسين أحمد وإقذاعه في سبِّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في (ص ٧) من كتابه الذي تقدَّم ذكره، ثم أتبع ذٰلك بمناقشته والردِّ عليه وتفنيد كلامه، وذكر في غضون ذٰلك جملاً من الشركيات والبدع والعقائد الفاسدة التي كان الشيخ حسين أحمد يعتقدها ويجادل بالباطل في تأييدها ومعارضة المنكرين لها من أهل التوحيد والسنة، وذكر أيضاً مفتريات افتراها على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وعلى أتباعه من المتمسكين بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها في باب الأصول والعقائد، وفنَّد كلامه ومعارضته لهم بالأباطيل والتُّرَّهات، فجزى الله

محمد أسلم خير الجزاء.

وهـذا نصُّ الجملة التي أقذع فيها الشيخ حسين أحمد في سب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى؛ قال:

«اعلموا أن محمد بن عبدالوهاب ظهر أمره في أوائل القرن الثالث عشر في نجـد، وكـانت له عقائد فاسدة، ونظريات باطلة؛ فلذلك قتل وقاتل أهل السنة، وأجبرهم أن يطعنوا بعقائده ونظرياته، وكان يستحلُّ نهب أموالهم، ويظن في قتلهم أجراً وثواباً، سيما أهل الحجاز؛ فإنه آذاهم أشد الإيذاء، وكان يسبُّ السلف الصالح، ويأتي في شأنهم بغاية سوء الأدب، وقد استشهد كثير منهم على يديه، والحاصل أنه ظالمٌ باغٍ سفَّاك فاسق، ولذلك أبغضته العرب أشد من اليهود والنصارى. . . » إلى آخر ما قاله مترجماً وملخَّصاً.

انتهى ما ذكره محمد أسلم عن الشيخ حسين أحمد مما طاش فيه عقله واستحوذ عليه شيطانه وهواه.

وقد ذكر هذه الجملة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ٢٣ ـ ٢٤) من كتابه «السراج المنير»، ثم قال:

«هذا كلام شيطان رجيم، جاحد للحق، ناصر للباطل، وقد أكذبه الله وأظهر للناس جميعاً مخرقته، فبارك في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى انتصرت وشاعت وذاعت في كل مكان، وهي مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله، وزعمه أن دعوة الشيخ كان فيها أذى لأهل الحجاز كذب وزور؛ فإن أهل الحجاز هم الذين منعوا أهل نجد من الحج اثنتي عشرة سنة، إلى أن جاء نصر الله، ووقعت الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل، فانهزم أهل الباطل في وقت قصير جدّاً، وكانت الدولة لأهل التوحيد، وهذا الأمر شاهدته أنا بنفسي.

فإن كان هدم القباب والقضاء على الأوثان فيه أذى للمشركين؛ فلا زالوا

في أذى؛ فإن هدم القبور المبنية وإبطال عبادتها هو الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ».

ثم ذكر الشيخ الهلالي حديث أبي الهياج الأسدي؛ قال: قال لي علي ابن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته».

ثم قال الشيخ الهلالي: «فإن قتل أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب المشركين، وهدموا أوثانهم؛ فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ، **﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾**.

وحسبه خزياً أن يسجِّل عليه هذا السب الخبيث لأهل العلم والإيمان، **﴿وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبى الدَّارِ﴾**» انتهى.

قلت: أما زعم الشيخ حسين أحمد أن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب كانت له عقائد فاسدة؛ فهو من إفك حسين وافترائه على شيخ الإسلام؛ لأن عقائد شيخ الإسلام كانت مبنيَّة على ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وما كان بهذه الصفة؛ فهو من العقائد السليمة، ولا يقول: إنه من العقائد الفاسدة؛ إلا أهل الزيغ، الذين أعمى الله بصائرهم، وطبع على قلوبهم، فانقلبت عندهم الحقائق، حتى صاروا يرون الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، ومن هؤلاء حسين أحمد وغيره من أكابر جماعة التبليغ ومشايخهم المرموقين عندهم.

وأما قول حسين أحمد: إن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب «قتل وقاتل أهل السنة»، وإنه «كان يستحلّ نهب أموالهم، ويظنُّ في قتلهم أجراً وثواباً»، وإنه «كان يسبُّ السلف الصالح، ويأتي في شأنهم بغاية سوء الأدب»، وإنه «قد استشهد كثير منهم على يديه»، وإنه «ظالم باغٍ سفَّاك».

فالجـواب أن يُقال: كل هٰذا من إفك حسين أحمد وافترائه على شيخ الإسلام، عامل الله حُسيناً بعدله.

وأما قوله: إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب «آذى أهل الحجاز أشدَّ الإيذاء».

فجوابه أن يُقال: هٰذا مما يشهد الواقع بأنه كذب وافتراء على الشيخ؛ لأن الشيخ مات في سنة ست ومئتين وألف من الهجرة، وكانت مكة وغيرها من بلاد الحجاز تحت ولاية غالب بن مساعد الشريف في ذٰلك الوقت، وإنما استولى أهل نجد على مكة وغيرها من بلاد الحجاز في سنة سبع عشرة ومئتين وألف من الهجرة، وذٰلك بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بإحدى عشرة سنة، وبهٰذا يعلم أن الشيخ حسين أحمد كان يفتري على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويرميه بأشياء من العظائم التي كان الشيخ بريئاً منها، ولا يبالي بما يترتَّب على الكذب والبهتان من اللعن والوعيد الشديد.

ثم إن الشيخ حسين أحمد قد جمع في كلامه السيىء بين الافتراء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبين قلب الحقيقة الواقعة في زمن الشيخ وبعد زمنه بسبع سنين، وهي ما وقع في تلك السنين من شريف مكة من الاعتداء على أهل نجد وغيرهم من رعية الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، والمبالغة في إيذائهم بالغارات عليهم والقتل فيهم والنهب والسلب منهم، حتى مكَّنهم الله منه ومن جنوده في بلد الخُرْمة، فهزموهم شرَّ هزيمة، وذٰلك في آخر سنة اثنتي عشرة بعد المئتين والألف من الهجرة، وبعد هٰذه الوقعة طلب الشريف من الإمام عبدالعزيز أن يصالحه، فصالحه الإمام، وأذن الشريف لأهل نجد في الحج، وكان قد منعهم منه قبل ذٰلك عدة سنين، ثم إن الشريف نقض العهد، واستمرَّ على نقضه إلى أن مكَّن الله أهل نجد منه ومن جنوده، فاستولوا على مكة وغيرها

من بلاد الحجاز، وذلك في سنة سبع عشرة بعد المئتين والألف من الهجرة.

ومن له إلمام بما ذكره الثقات من المؤرِّخين عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعن المخالفين له؛ يعلم يقيناً براءة الشيخ مما لفَّقه عليه حسين أحمد من الافتراء وقلب الحقيقة.

وقد قال الله تعالى: **﴿إنَّما يَفْتَري الكَذِبَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ وأُولٰئكَ هُمُ الكَاذِبونَ﴾**.

وقال تعالى: **﴿والَّذينَ يُؤْذونَ المُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبوا فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتاناً وإثْماً مُبيناً﴾**.

وأما قول حسين أحمد: إن العرب «أبغضت شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أشد من اليهود والنصارى».

فجوابه أن يُقال: هٰذا من المجازفة والتوسُّع في الكذب وقلب الحقائق؛ لأن من المعلوم عند العقلاء من ذوي العدل والإنصاف أن شيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب كان محبوباً عند أهل التوحيد والسنة من أهل نجد وغيرهم، وإنما أبغضه المشركون من القبوريين وغيرهم، وأبغضه المنافقون وأهل البدع الذين هم سلف الشيخ حسين أحمد، وقالوا فيه ما ليس فيه مما هو كذب وافتراء، وقد كان المشركون والمنافقون يبغضون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد البغض، ويقولون فيهم ما ليس فيهم مما يرون أنه عيب ونقيصة، فللشيخ محمد ابن عبدالوهاب أسوة برسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وللشيخ حسين أحمد أسوة بأعداء رسول الله ﷺ وأعداء أصحابه، وعند الله تجتمع الخصوم، **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَموا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ﴾**.

ومن العقائد الفاسدة التي ذكرها محمد أسلم عن الشيخ حسين أحمد ونقلها من (ص ٤٥) من كتابه «الشهاب الثاقب»: قوله: «إنا نتوسل بالأنبياء، بل

برجـال شجـرة التصـوف؛ كالجشتية والنقشبنـدية ومـا سواهمـا من مشـايخ السلاسل».

قال: «والوهابية لا يتوسَّلون».

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على هٰذه الجملة في (ص ٢٦) من كتـابـه «السراج المنير»، فقال: «المبتدعون يتوسلون بالذوات، وتوسلهم فاسد، والموحِّدون يتوسَّلون إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وبمحبتهم واتباعهم لرسوله الكريم، ونصرهم لشريعته، وتمسُّكهم بسنته، وهٰذا هو التوسل الصحيح الذي علَّمنا إياه رسول الله ﷺ حين حكى لنا قصة أصحاب الغار وتوسُّل كل واحد من الثلاثة بعمله: فالأول: توسَّل إلى الله ببر الوالدين، والثاني: توسَّل إلى الله بالتعفُّف عن الزنا، والثالث: توسل إلى الله بالإحسان إلى الأجير. وهٰذا الحديث ثابت في «الصحيحين» من رواية عبدالله بن عمر، وشجرة التصوف لا وجود لها في الكتاب والسنة ولا في سير الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين؛ فهي شجرة الزقوم طعام الأثيم، إلا من وحَّد الله منهم واتَّبع الرسول ﷺ؛ فعسى أن يغفر له اختراع هٰذا الاسم المبتدع» انتهى.

ومن العقائد الفاسدة التي ذكرها محمد أسلم عن الشيخ حسين أحمد: قوله: «إن الأنبياء أحياء عندنا حياة حقيقية غير برزخية».

قال: «والوهابية الخبيثة مخالفون لنا في ذٰلك».

يقول: «إن محمد بن عبدالوهاب النجدي وأتباعه يعتقدون إلى الآن أن حياة الأنبياء كانت في المدة التي قضوها في الدنيا، وبعد ذٰلك هم وأتباعهم سواء في الموت»[1].

---

(١) «الشهاب الثاقب» (ص ٤٥).

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ٢٦ - ٢٧) من كتابه «السراج المنير»: «قوله: «إن الأنبياء عنده أحياء حياة حقيقية غير برزخية»: كذب وبهتان، لم يقله أحدٌ قبله؛ لأن الحياة حياتان، لا ثالثة لهما إلا حياة أهل الجنة، فالحياة الدنيوية مضادة للموت، والحياة البرزخية تجتمع مع موت الجسد؛ لأنها حياة روحية، أما حياة أهل الجنة؛ فهي أفضل من الحياتين السابقتين، لا موت فيها ولا مرض ولا حزن.

وقد زاد هٰذا الدجّال حياة رابعة لا وجود لها إلا في خياله الفاسد.

وهو الذي أفتى في الهند بأن استقلال باكستان غير جائز شرعاً؛ يعني: في شرع الشيطان؛ يريد أن يبقى المسلمون في الهند تحت حكم أعدائهم الوثنيين! هٰذا هو الشرع عنده، وكل ذٰلك فعله تملُّقاً وخضوعاً للوثنيين وطعناً في المسلمين.

أفيكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ﴾؟! ويكذِّب أبا بكر الصديق في قوله: «مَن كان يعبد محمداً؛ فإن محمداً قد مات، ومَن كان يعبد الله؛ فإن الله حيٌّ لا يموت»؟! أم يكذِّب الآيات كعادته في خبطه خبط عشواء في ليلة ظلماء؟!» انتهى.

قلت: يلزم على قول حسين أحمد: «إن الأنبياء أحياء حياة حقيقية غير برزخية» لوازم باطلة:

منها: أن يكون الأنبياء يمشون على الأرض مثل غيرهم من الأحياء، ويأكلون، ويشربون، ويحتاجون إلى قضاء الحاجة مثل غيرهم من الأحياء، وأن يكونوا ظاهرين بين الناس يراهم الناس ويجالسونهم ويتعلمون منهم، وكل من هٰذه الأمور باطل معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل، والقول بها أو بشيء

منها هَوَسٌ وهذيان لا يصدر من أحد له أدنى شيء من العقل.

ومن اللوازم الباطلة التي تلزم على قول حسين أحمد أيضاً: أن يكون قبر النبي ﷺ خالياً من جسده الشريف، وكذٰلك قبور سائر الأنبياء، وهٰذا معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل، ولا يقول به إلا مَن هو مصاب في عقله.

ومن اللوازم الباطلة أيضاً ما يترتَّب على هٰذا القول الباطل من تكذيب النصوص الدالة على موت النبي ﷺ وموت سائر البشر:

كقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ﴾.

وقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ متَّ فَهُمُ الخَالِدونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ﴾.

وقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعونَ﴾.

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ وإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾.

وقوله تعالى في سورة الرحمٰن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ . ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرامِ﴾.

فإذا كان حسين أحمد وغيره من مشايخ جماعة التبليغ المخرِّفين يرون أن الأنبياء أحياء حياة حقيقية، وأن لجماعتهم وأكابرهم حظّ وصول في مجالس النبي ﷺ يقظة لا مناماً، ويرون بطلان ما يعتقده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من أن حياة الأنبياء كانت في المدة التي قضوها في الدنيا،

وبعد ذٰلك هم وأتباعهم سواء في الموت؛ فماذا يجيبون به عن هٰذه النصوص الدالَّة على أن الموت عامٌّ للأنبياء وغيرهم من سائر البشر؟! وماذا يجيبون به عن الأحاديث الكثيرة التي جاءت في موت النبي ﷺ ودفنه؟! وما ثبت عنه أنه قال: «أنا أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة»؟!

وإذا لم يكن لهم جواب صحيح عن الآيات التي تقدَّم ذكرها، وعن الأحاديث الدالة على موت النبي ﷺ ومكثه في قبره إلى يوم القيامة؛ فالواجب عليهم الرجوع إلى الحقِّ الذي يدلُّ عليه الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اعتقاد موت الأنبياء وغيرهم من سائر البشر، واعتقاد أن الأنبياء وغيرهم من الأموات لا يزالون في قبورهم إلى يوم القيامة، وأن أول من ينشق عنه القبر رسول الله ﷺ؛ فهٰذا هو الاعتقاد الصحيح، وما خالفه؛ فهو من العقائد الفاسدة التي زيَّنها الشيطان لأوليائه من الصوفية والتبليغيِّين.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبيلِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذوا الشَّياطينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾.

فهٰذه الآيات تنطبق على التبليغيِّين الذين يزعمون أن الأنبياء أحياء حياة حقيقيَّة، وأن لجماعتهم وأكابرهم حظَّ وصول في مجالس النبي ﷺ يقظة لا مناماً.

وأما قول حسين أحمد: «إن الوهابية خبيثة...».

فجوابه أن يُقال: هٰذا الوصف إنما ينطبق على المتلوِّثين بالشرك والبدع والعقائد الفاسدة من مشايخ التبليغيِّين وغيرهم من أهل الشرك والبدع والعقائد الفاسدة، ومنهم الشيخ حسين أحمد وأضرابه من التبليغيِّين؛ فهٰؤلاء أحقُّ بالصفة السيئة التي وصف بها أهل التوحيد والسنة، وليست من صفاتهم، وإنما هي من صفاته وصفات مَن كان على شاكلته.

ومن الملفَّقات التي ذكرها محمد أسلم عن الشيخ حسين: أنه قال في (ص ٦٥) من كتابه «الشهاب الثاقب»: «وقد يسمع من الوهابية أنهم يمنعون عن القول بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله منعاً باتّاً، وينفرون من أهل الحرمين، ويستهزئون بهم ويسخرون منهم».

والجواب أن يُقال:

أما قوله: «وقد يسمع من الوهابية أنهم يمنعون عن القول بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله منعاً باتّاً»؛ فإنه كلام يحتمل أحد وجهين:

أظهرهما: أن حسين أحمد أراد أن أهل نجد كانوا يمنعون من الصلاة والسلام على النبي ﷺ منعاً باتّاً.

فإن كان أراد هٰذا؛ فهو كذَّاب أفَّاك؛ لأن من عقائد أهل نجد أن صلاة الفرض والنافلة لا تصحُّ إلا بالصلاة على النبي ﷺ في التشهُّد الذي يكون التسليم من الصلاة بعده.

وفي قولهم بأن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير ركن من الأركان التي لا تصحُّ الصلاة بدونها أبلغ ردٍّ على مَن زعم أنهم يمنعون من الصلاة على النبي ﷺ منعاً باتّاً.

ومن عقائد أهل نجد أيضاً أن الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ له فضل

عظيم، ولا سيما في يوم الجمعة؛ لأن النبي ﷺ قد أمر أمته أن يكثروا من الصلاة عليه في يوم الجمعة، وكانوا يكثرون من الصلاة على النبي ﷺ في جميع الأوقات، ولا سيما عند ذكر اسمه ﷺ، ويتقرَّبون إلى الله تعالى بكثرة الصلاة والتسليم عليه، ويرون أن ذٰلك من أفضل الأعمال، وكانوا يكثرون من الصلاة والسلام عليه في كتبهم ورسائلهم؛ كما هو ظاهر معروف عند كل من اطَّلع على كتبهم ورسائلهم، فمَن زعم عنهم خلاف هٰذا؛ فهو من الأفَّاكين المفترين.

ويحسن أن أذكر ها هنا قصة ذكرها بعض المؤرخين، وهي أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن آل سعود رحمه الله لما استولى على مكة ودخلها أول مرة بعد استيلائه عليها، وذٰلك في أول جمادى الأولى من سنة **١٣٤٣**هـ؛ جاء أعيان أهل مكة يسلِّمون عليه، وأرادوا تقبيل يده على حسب ما اعتادوه مع الأشراف، فمنعهم الملك من تقبيل يده، وقال: إن المصافحة عادتنا، كما كان النبي ﷺ وأصحابه يفعلون ذٰلك، وأما عادة تقبيل اليد؛ فقد جاءتنا من الأجانب؛ فهٰذا ما يفعله الأعاجم بملوكهم! ولما سمعه أعيان أهل مكة يقول هٰذا القول؛ أعجبهم ذٰلك منه، وجعل بعضهم يقول لبعض: أسمعتُم أنه يصلي على النبي ﷺ بعكس ما فهمنا من قبلُ أنه يكرهه عليه الصلاة والسلام؟!

الوجه الثاني: أن يكون حسين أحمد أراد أن أهل نجد كانوا يمنعون من العمل في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بالكيفية التي ذكرها، وهي أن يقول القائل: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله!

والمنع من هٰذه الكيفية في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لم أره في شيء من كتب المحقِّقين من أهل نجد، وعلى فرض وجوده في بعض كتبهم؛ فله وجه صحيح، وهو أن رسول الله ﷺ قد علَّم أمَّته كيفية الصلاة والسلام عليه، فيُقْتَصَر على ما جاء عن النبي ﷺ في ذٰلك، ولا يُتَعَدَّى إلى غيره من

الألفاظ التي لم ترد عنه ﷺ.

فأما كيفيَّة الصلاة عليه؛ فقد جاء بيانها فيما رواه: كعب بن عجرة، وأبو حميد الساعدي، وأبو سعيد الخدري، وأبو مسعود الأنصاري؛ رضي الله عنهم: أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي ﷺ: كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وقد اتَّفق البخاري ومسلم على حديثي كعب بن عجرة وأبي حميد الساعدي، وانفرد البخاري بإخراج حديث أبي سعيد، وانفرد مسلم بإخراج حديث أبي مسعود.

وأما كيفية السلام على النبي ﷺ؛ فقد جاء بيانها في أحاديث التشهُّد التي رواها عدد من الصحابة عن النبي ﷺ، وقد جاء فيها أن رسول الله ﷺ علَّم أصحابه أن يقولوا: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

وقد اتَّفق البخاري ومسلم على حديث ابن مسعود في التشهد، وانفرد مسلم بإخراج حديثي ابن عباس وأبي مسعود الأشعري في ذٰلك.

وقد أحدث أهل البدع كيفيَّات كثيرة في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وألَّفوا في ذٰلك مؤلَّفات كثيرة، وكثير من الكيفيَّات التي أحدثوها لا تخلو من الشرك والغلوِّ والإطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، وما كان بهٰذه الصفة؛ فإنه لا يجوز العمل به، ويتعيَّن المنع منه.

فإن كان حسين أحمد أراد أن أهل نجد كانوا يمنعون من الكيفيَّات التي أحدثها أهل البدع في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وهي مما يشتمل

على الشرك والغلو والإطراء؛ فهٰذا مما يُمدحون به، ومن ذمهم على المنع من ذٰلك؛ فهو المسيء المذموم.

وأما ما ذكره حسين أحمد عن أهل نجد أنهم «ينفرون من أهل الحرمين ويستهزئون بهم ويسخرون منهم».

فجوابه أن يقال:

أما ما ذكره من الاستهزاء بأهل الحرمين والسخرية منهم؛ فهو من الكذب والبهتان الذي افتراه أهل الإفك على أهل نجد.

وأما النفرة منهم؛ ففيها تفصيل بين أهل الخير وأهل الشر منهم: فأما أهل الخير من أهل الحرمين وغير أهل الحرمين من سائر أهل الأمصار؛ فإن أهل الخير من أهل نجد يوالونهم ويوادُّونهم وينزلونهم في منزلة الإخوة لهم، وأما أهل الشر من أهل الحرمين وغيرهم؛ فإن أهل الخير من أهل نجد ينفرون منهم ويبغضونهم ويحذِّرون منهم ومن أعمالهم السيئة.

والأصل الذي يعتمد عليه أهل نجد في هٰذا الباب هو ما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن أوثق عُرى الإيمان أن تحبَّ في الله وتبغض في الله».

رواه: الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، وابن أبي شيبة، والبيهقي في «شعب الإيمان».

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحبُّ في الله، والبغض في الله».

وقد جاء في هٰذا الباب أحاديث كثيرة ذكرتها في كتابي المسمَّى «تحفة

الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران»؛ فلتراجع هناك.

ومما ذكره محمد أسلم عن حسين أحمد أنه قال في (ص ٦٥) من كتابه «الشهاب الثاقب»: «والوهابية النجدية يعتقدون وينادون على مرأى ومسمع: أن القول: يا رسول الله! استعانة بغير الله، وهٰذا شرك».

والجواب أن يُقال: إن كلام حسين أحمد في هٰذه الجملة يدلُّ على أنه كان لا يرى بأساً بدعاء النبي ﷺ، وينكر أن يكون دعاؤه والاستعانة به شركاً، وهٰذا من جهله بالتوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأمره أن يدعو الناس إليه وإلى إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، وينهاهم عن الشرك والالتجاء إلى غير الله، ومن الشرك دعاء الأموات؛ كقول القائل: يا رسول الله! أغثني. أو: أنا في حسبك... ونحو هٰذا من العبارات التي يستعملها كثير من المفتونين بالموتى وإشراكهم مع الله في الدعاء وغيره من أنواع العبادة.

وقد أمر الله عباده بتوحيده، ونهاهم عن الشرك به، في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر تبارك وتعالى أن دعاء غيره ضلال، وأن الذين يدعونهم من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء، ولا يملكون لهم ضرّاً ولا نفعاً، والآيات في هٰذا كثيرة جدّاً:

ومنها قول الله تعالى: ﴿وأَنَّ المَساجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحداً﴾.

فنهى تبارك وتعالى أن يُدعى معه أحد، وهٰذا يعمُّ الملائكة والأنبياء وغيرهم من سائر الخلائق.

قال ابن جرير: «يقول تعالى: ﴿وأَنَّ المَساجِدَ للهِ فَلا تَدْعوا﴾ أيها الناس ﴿مَعَ اللهِ أَحداً﴾، ولا تشركوا به فيها شيئاً، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة».

وقال ابن كثير: «يقول تعالى آمراً عباده أن يوحِّدوه في محالِّ عبادته، ولا يُدعى معه أحد ولا يُشرك به... (ثم ذكر عن قتادة أنه قال:) أمر الله نبيَّه ﷺ أن يوحِّدوه وحده» انتهى.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَدْعو رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِهِ أَحداً﴾.

وفي هٰذه الآية أوضح دليل على أن دعاء غير الله شرك، وفيها أبلغ ردٍّ على حسين أحمد وغيره من الذين يزعمون أن دعاء غير الله ليس بشرك.

والآيات في النهي عن دعاء غير الله كثيرة جدّاً، وقد تركتُ ذكرها خشية الإطالة، وما جاء فيها من النهي عن دعاء غير الله يعمُّ دعاء العبادة ودعاء المسألة، ومن دعاء المسألة طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجُّه إليهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وهٰذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً؛ فضلاً لمن استغاث به أو سأله» انتهى.

وقد قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في الرد على حسين أحمد: «ويلك يا مشرك! فإذا لم يكن: (يا رسول الله!) عبادة؛ فأين العبادة؟! فإذا قلت: يا الله! ارحمني! فقد عبدت الله، وإذا قلتَ: يا رسول الله! أغثني! فقد عبدت الرسول وكفرتَ بالله، والرسول بريء منك» انتهى.

ومن اعتداء حسين أحمد على أهل نجد ومناصرته للشرك والبدع ما ذكره عنه محمد أسلم: أنه قال في (ص ٦٧) من كتابه «الشهاب الثاقب»: «الوهابية الخبيثة ترى أن الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ خير الأنام وقراءة «دلائل الخيرات» و«قصيدة البردة» و«القصيدة الهمزية»، وجعلها ورداً: أمر قبيح جدّاً».

والجواب أن يُقال:

أما الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ على الوجه المشروع الذي علَّمه رسول الله ﷺ أمَّته؛ فهو من الأعمال الصالحة التي يعملها أهل نجد، ويحافظون عليها، ويتقرَّبون بها إلى الله تعالى، وقد تقدَّم بيان ذٰلك في الردِّ على قول حسين أحمد: «إن الوهَّابية يمنعون عن القول بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله منعاً باتّاً»؛ فليراجع، ومن زعم أن أهل نجد كانوا يمنعون من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على الوجه المشروع الذي علمه رسول الله ﷺ أمته؛ فهو كذَّاب أفَّاك.

وأما الصلاة على النبي ﷺ على الوجوه المبتدَعَة التي لا تخلو من الشرك والغلوِّ والإطراء؛ فهي من الأمور التي يجب المنع منها؛ لما فيها من المحادَّة لله ولرسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين، والمنع منها من محاسن الأعمال؛ كما لا يخفى على مَن نوَّر الله قلبه بنور العلم والإيمان.

وأما قراءة «دلائل الخيرات» وقصيدتي «البردة» و«الهمزية»، وجعلها ورداً؛ فهو أمر قبيحٌ جدّاً؛ لما في هٰذه الثلاث من الغلوِّ والإطراء الذي كان رسول الله ﷺ ينهى عنه ويشدِّد فيه، بل إن قصيدتي «البردة» و«الهمزية» قد اشتملتا على الشرك الأكبر، الذي هو أعظم الظلم وأقبح المنكرات وأشدُّ المحرَّمات تحريماً، فلا يجعل هاتين القصيدتين و«دلائل الخيرات» ورداً إلا مَن هو مفتونٌ بالشرك والبدع والغلو والإطراء.

وقد قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في الردِّ على حسين أحمد: «أما دلائل الجهالات والضلالات الذي سمَّيته «دلائل الخيرات»؛ ففيه ضلالات كثيرة:

منها قوله في ثلاثة مواضع: «اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد عدد معلوماتك

وأضعاف ذٰلك».

وقوله: «اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء».

وقوله: «اللهم ارحم سيدنا محمداً حتى لا يبقى من الرحمة شيء، اللهم بارك على سيدنا محمد حتى لا يبقى من البركة شيء».

فجعل معلومات الله معلومات محدودة، وعدل عن الصلاة التي علَّمها النبي ﷺ جميعَ المسلمين، واقتصر عليها أصحابه والتابعون لهم بإحسان، وأحدث بدعة، وألَّف كتاباً يُتلى كما يُتلى القرآن، وابتدع زيادة: «سيدنا».

ولله درُّ الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني إذ يقول في مدح شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهَّاب:

وَحَرَّقَ عَمْداً للدَّلائلِ دَفْتَرا ... أَصابَ فَفيها ما يَجِلُّ عَنِ العَدِّ
غُلُوٌّ نَهى عَنْهُ الرَّسولُ وفِرْيَةٌ ... بلا مِرْيَةٍ فاتْرُكْهُ إِنْ كُنْتَ تَسْتَهْدي
أَحاديثُ لَا تُعْزَى إلى عَالِمٍ فَلا ... تُساوي فُلَيْساً إِنْ رَجَعْتَ إِلى النَّقْدِ
وصَيَّرَها الجُهَّالُ للذِّكْرِ(١) ضَرَّةً ... تَرى دَرْسَها أَزْكى لَدَيْهِمْ مِنَ الحَمْدِ
لَقَدْ سَرَّني مَا جاءَني مِنْ طَرِيقِهِ ... وكُنْتُ أَرى هٰذي الطَّرِيقَةَ لي وَحْدي(٢)»

---

(١) المراد بالذكر ها هنا: القرآن، ويدل على ذٰلك قوله في آخر البيت: «ترى درسها أزكى لديهم من الحمد»؛ أي: من الفاتحة؛ يعني أن الجهال صيَّروا «دلائل الخيرات» مثل الضرة للقرآن؛ يعتنون بقراءتها ودرسها أعظم مما يعتنون بقراءة القرآن ودرسه، والضرَّتان في الأصل هما امرأتا الرجل، كل واحدة منهما ضرَّة لصاحبتها، والذين يعتنون بقراءة «دلائل الخيرات» ودرسها ويعرضون عن القرآن قد جعلوا «الدلائل» ضرة للقرآن، وذٰلك هو الضلال البعيد.

(٢) قد نقلت هٰذه الأبيات من «تاريخ الشيخ حسين بن غنَّام الأحسائي»، وهو المسمى «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وقد اقتصر الهلالي على ذكر ثلاثة أبيات وترك البيتين الثاني والثالث فلم يذكرهما، وقد ذكرتهما إتماماً للفائدة.

قال الهلالي: «وأما «البردة» و«الهمزية»؛ ففيها من الشرك والضلال ما لا يرتضيه إلا كل مشرك دجَّال؛ فمنها قوله:

يا أكْـرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ ألـوذُ بِهِ　　سِواكَ عِنْدَ حُلولِ الحادِثِ العَمِمِ

وقوله:

فَإنَّ مِنْ جُودِكَ الـدُّنْيا وضَـرَّتَهـا　　ومِنْ عُلومِـكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والقَلَمِ

فماذا بقي لله تعالى؟! قاتل الله الغلاة المشركين.

وفي «الهمزية» قوله:

يَا رَحِيمـاً بالـمُـؤْمنينَ إذا ما　　ذَهِلَتْ عَنْ أبْنَـائِهـا الـرُّحَمـاءُ
يَا شَفيعـاً في المُـذْنِبينَ إذا أشْفَـ　　ـقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْـبِـهِ الـبـرآءُ
جُدْ لِعـاصٍ ومـا سِوايَ هُوَ الـ　　ـعـاصي ولٰكِنَّ تَنْكيرِيَ اسْتِحْياءُ
وتَـدارَكْـهُ بالـعِـنـايَةِ ما دامَ لهُ　　بالـذِّمـامِ مِنْـكَ ذمـاء

وهٰذا شرك صريح وبهتان قبيح، لا يستسيغه إلا كل قلب مريض؛ مثل قلب حسين أحمد نصير الشرك والوثنية» انتهى.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»: «وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله:

يَا أكْـرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ ألـوذُ بِهِ　　سِواكَ عِنْدَ حُلولِ الحَادِثِ العَمِمِ

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله، فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقُّوا الله ورسوله أعظم مشاقَّة، وذٰلك أن الشَّيطان أظهر لهم هٰذا الشرك العظيم في قالب محبَّة النبي ﷺ وتعظيمه، وأظهر لهم

التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه، وهٰؤلاء المشركون هم المتنقِّصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشدَّ النهي، وفرَّطوا في متابعته، فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه، ولا سلَّموا له، وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ؛ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاة مَن عمل به، ومعاداة مَن خالفه، فعكس أولٰئك المشركون ما أراد الله ورسوله علماً وعملاً، وارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله؛ فالله المستعان» انتهى كلامه رحمه الله.

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» قول البوصيري:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيا وَضَرَّتَها ... ومِنْ عُلومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والقَلَمِ

ثم قال: «فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، وكل ذٰلك كفر صريح!

ومن العجب أن الشيطان أظهر لهم ذٰلك في صورة محبَّته عليه السلام وتعظيمه ومتابعته، وهٰذا شأن اللعين، لا بدَّ أن يمزج الحقَّ بالباطل؛ ليروج على أشباه الأنعام، أتباع كل ناعق، الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق».

إلى أن قال: «وبالجملة؛ فالتعظيم النافع هو: التَّصديق بما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عمَّا عنه نهى وزجر، والموالاة والمعاداة والحب والبغض لأجله، وتحكيمه وحده، والرضى بحكمه، وأن لا يُتَّخذ من دونه طاغوت يكون التحاكم إلى أقواله، فما وافقها من قوله ﷺ؛ قبله، وما خالفها؛ ردَّه، أو تأوَّله، أو أعرض عنه» انتهى.

ومن اعتداء حسين أحمد على أهل التوحيد من أهل نجد ما ذكره عنه

محمـد أسلم: أنه قال في (ص ٦٧) من كتابه «الشهاب الثاقب»: «والوهَّابية يضيِّقون نطاق الشفاعة إلى حدٍّ يوصلونها إلى منزلة عامة».

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على حسين أحمد، فقال في (ص ٢٩) من كتابه «السراج المنير»: «ليس الموحِّدون هم الذين ضيَّقوا نطاق الشفاعة، بل الله تعالى هو الذي ضيَّقه، فقال: ﴿وَلا يَشْفَعونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضى﴾، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ ورَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾، وقال: ﴿وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ ويَرْضى﴾؛ أي: يأذن للشافع ويرضى عقيدة المشفوع له» انتهى.

قلت: قد جاء في تضييق نطاق الشفاعة وأنها خاصة بأهل التوحيد والإخلاص أحاديث كثيرة:

منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هٰذا الحديث أحدٌ أول منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إلٰه إلا الله خالصاً مِن قِبَل نَفْسِهِ».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري.

وفي رواية للبخاري: «خالصاً من قلبه أو نفسه».

وفي رواية لأحمد: «شفاعتي لمَن شهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصاً، يصدق قلبُه لسانَه ولسانُه قلبَه».

ومنها حديث أبي هريرة أيضاً؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوة مستجابة، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم

القيامة؛ فهي نائلة إن شاء الله مَن مات من أمَّتي لا يشرك بالله شيئاً».

رواه: الإمـام أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

ومنها حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطاني الله عزَّ وجلَّ أنْ قال: يا محمد! أدخل من أمَّتك مِن خلق الله عزَّ وجلَّ مَن شَهِدَ أنْ لا إلٰه إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذٰلك».

رواه الإمام أحمد، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

ومنها حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوتيتُ خمساً (فذكر الحديث، وفيه:) وقيل لي: سَلْ تُعْطَهْ. فاختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي؛ فهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى مَن لم يشرك بالله شيئاً».

رواه: الإمام أحمد، والدارمي؛ بأسانيد صحيحة.

وفي رواية لأحمد: «وهي نائلة منكم إن شاء الله مَن لقي الله عزَّ وجلَّ لا يشرك به شيئاً».

ومنها حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الشفاعة، وفي آخره: «ثم يشفع الأنبياء في كلِّ مَن كان يشهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصاً، فيخرجونهم منها»؛ أي: من النار.

رواه الإمام أحمد.

قال الحافظ ابن حجر في الكلام على الحديث الأول من حديثي أبي هريرة رضي الله عنه: «قوله: «مَن قال: لا إلٰه إلا الله»: احترازٌ عن المشرك. وقوله: «خالصاً»: احترازٌ من المنافق» انتهى.

وذكر العيني في «عمدة القاري» عن ابن بطَّال: أنه قال: «فيه دليل على

أن الشفـاعة إنما تكون في أهل الإخلاص خاصة، وهم أهل التوحيد، وهٰذا موافق لقوله عليه الصلاة والسلام: «لكل نبي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة؛ فهي نائلة إن شاء الله تعالى مَن مات من أمَّتي لا يشرك بالله شيئاً»» انتهى.

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: «الأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة كلها تبيِّن أن الشفاعة إنما تكون في أهل لا إلٰه إلا الله».

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي تقدَّم ذكره، ثم قال: «فبيَّن أن المخلص لها من قبل نفسه هو أسعد بشفاعته ﷺ من غيره ممَّن يقولها بلسانه وتكذِّبها أقواله وأعماله».

قال: «والشفـاعـة سببهـا توحيد الله، وإخلاص الدين والعِبادة بجميع أنـواعها له، فكل مَن كان أعظم إخلاصاً؛ كان أحقَّ بالشفاعة، كما أنه أحقُّ بسائر أنواع الرحمة؛ فإن الشفاعة من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحدٌ إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله مَن يرحم من عباده، وأحقُّ الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكلُّ مَن كان أكمل في تحقيق إخلاص لا إلٰه إلا الله علماً وعقيدة وعملاً وبراءة وموالاةً ومعاداةً؛ كان أحقَّ بالرحمة، فبيَّن أن مدار الأمر كله على تحقيق كلمة الإخلاص، وهي لا إلٰه إلا الله، لا على الشرك بالتعلُّق بالموتى وعبادتهم كما ظنَّه الجاهليون» انتهى ملخَّصاً، وهو في (ص ٤١٠ و٤١٤ و٤١٥) من المجلد الرابع عشر من «مجموع الفتاوى».

وإذا عُلِم أن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله للشافع أن يشفع، وأنها لا

تكون إلا لمن رضي الله قوله وعمله من أهل التوحيد والإخلاص له؛ فليعلم أيضاً أن أقوال أهل التوحيد من أهل نجد في إثبات الشفاعة ونفيها إنما تدور على اعتقاد ما جاء في ذٰلك من الآيات والأحاديث الصحيحة.

فهم يثبتون الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص، وينفونها عمَّن عداهم ممَّن نفاها الله ورسوله عنهم، وهم في هٰذا الأصل متَّبعون وليسوا بمبتدعين، ومَن اعترض عليهم من أهل البدع، وزعم أنهم يضيِّقون نطاق الشفاعة؛ فإنما هو في الحقيقة يعترض على الآيات والأحاديث التي يعتمد عليها أهل التوحيد في إثبات الشفاعة لمن يستحقُّها ونفيها عمَّن لا يستحقُّها، وما تضمَّن الاعتراض على الآيات والأحاديث؛ فهو قول سوء، يجب ردُّه على قائله.

ومن الأقوال الباطلة التي ذكرها محمد أسلم عن حسين أحمد ونقلها من (ص ٦٧) من كتابه «الشهاب الثاقب»: قوله في ذم الوهَّابية: «وهم يعتقدون أن النبي ﷺ ليس له أي نصيب من العلوم الباطنية والأسرار الحقَّة لأحكام الشريعة».

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على هٰذا القول الباطل، فقال في (ص ٣٢ ـ ٣٤): «ماذا تريد يا هٰذا بـ(العلوم الباطنية) و(الأسرار الحقيقية)؟! أتريد شطحات المتصوِّفة وكفرهم وأكاذيبهم؛ كقول الحلَّاج: «ما في الجبة إلا الله»! وقول الزنديق ابن عربي الحاتمي:

«الـرَّبُّ عَبْـدٌ والـعَبْـدُ رَبٌّ ... يَا لَيْتَ شِعْـرِي مَن الـمُـكَـلَّفْ
إنْ قُلْتَ عَبْـدٌ فَذاكَ حَقٌّ ... أَوْ قُلْتَ رَبٌّ أَنَّـى يُكَـلَّفْ»!

وقول أبي يزيد البسطامي: «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»! وقول التيجانيين عن شيخهم في «جواهر معانيهم»: إنه قال: «إن القطب الفرد الغوث هو الخليفة عن الله في جميع مملكته، فلا تتحرَّك ذرَّة في العالم إلا بإذنه»! فقد جعلوا هٰذا

القُطيب المكذوب لا تأخذه سنة ولا نوم؛ لأن الذي يأخذه النوم والتعب والغفلة والمرض لا يستطيع أن يمسك قارورة ماء دون أن تسقط من يده وتتكسَّر، والله تعالى لا يحتاج إلى خليفة ولا نائب؛ لأنه لا يمرض ولا يغيب ولا يشغله شأن عن شأن، والنبي ﷺ قد أغناه الله عن هٰذه الأباطيل، ونزَّهه عن خيالات المتصوِّفة وضلالهم» انتهى المقصود من كلامه ملخصاً.

ومن الأباطيل التي اعترض بها حسين أحمد على الوهَّابية وذكرها عنه محمد أسلم في كتابه «جماعة التبليغ» قوله في (ص ٦٧) من كتابه «الشهاب الثاقب»: «والوهَّابية يعتقدون أن نفس ذكر ولادة النبي ﷺ أمرٌ قبيح وبدعة، وقياساً على هٰذا يرون أذكار الأولياء أمراً قبيحاً».

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على هٰذا الاعتراض، فقال في (ص ٣٤): «مقصوده أن يعيب على أهل السنة إنكارهم لبدعة المولد المأخوذة من النصارى في أواسط القرن الرابع الهجري، أخذها منهم أبو القاسم العزفي من أهل سبتة، ولم يأخذها من بعيد؛ فإن سبتة مجاورة للأندلس، وأهلها نصارى.

فيقال له: هٰذا المولد المقتَبَس من النصارى؛ مَن أحدثه؟ هل هو سنَّة أو بدعة؟ هل فعله رسول الله ﷺ أو الصحابة أو التابعون أو الأئمة المجتهدون أو أهل الحديث ـ كالسفيانين وعبدالله بن المبارك ومالك وأحمد والبخاري ومسلم ـ؟ حاشاهم من ذلك.

ثم ذكر الهلالي قصيدة له أكثر من أربعين بيتاً سماها القصيدة الحمزية، وقال: «نظمتها في شيخ الموالد الدجَّال المشرك المدعو حمزة إمام مسجد في الدار البيضاء، وقد قال في أثناء القصيدة:

وَمَا لَكَ في المَوالِدِ مِنْ دَليلٍ ... مِنَ القُرْآنِ والسُّنَنِ العَوالي

وَمَــا لَكَ في الصَّحـابَـةِ مِنْ إمـامٍ ولا في التَّــابعينَ ذَوي الكَمــالِ
وَبَـعْــدَهُمُ الفُحــولُ ذَوو اجْتِهــادٍ حَمـاهُـمْ رَبُّهُمْ مِنْ ذي الخِــلالِ

وأما قول حسين أحمد: «وقياساً على هٰذا يرون أذكار الأولياء أمراً قبيحاً».

فقد قال الهلالي في الرد عليه: «مقصوده بأذكار الأولياء الأوراد التي يعطيها شيوخ التصوف أتباعهم ويسمونها أوراداً، وهي حال يربطون بها أتباعهم».

إلى أن قال: «ثمَّ يُقال لحسين أحمد مطية الاستعمار الهندي: هٰذه الأذكار التي نسبتها لأوليائك ـ أولياء الشيطان ـ: هل جاء بها النبي ﷺ وعلَّمها أمته وورثها إياهم، أم هي وحيٌ أنزل على أولٰئك الأولياء لا يعرفه النبي ﷺ؟

فإن قال: هي مما جاء به النبي ﷺ وورَّثها أمته؛ صار أخذ الإذن فيها بدعة، وإنما يعلم أهل العلم ألفاظها ومعانيها، ولا تحتاج إلى إذن؛ لأن الرسول ﷺ أعطاها أمته وأذن لها فيها.

ومن ضلالات المتصوِّفة أنهم يقولون: إن الذكر إذا أخذ بالإذن من الشيخ يكون أجره أعظم، وإذا لم يؤخذ الإذن فيه من الشيخ؛ يكون أجره أقل.

فمن ذٰلك قول التجانيين عن شيخهم ـ بزعمهم ـ: إن صلاة الفاتح لما أغلق إذا أُخذت بالإذن من الشيخ أو ممَّن أذن له الشيخ؛ تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، وإذا ذُكِرت بغير إذن؛ فهي كسائر الصلوات، لا فضل لها على غيرها!

فإذا أنكر الموحِّدون أوراد شيوخ التصوُّف؛ فإنما أنكروا البدع المحدَثة، فمتى أعطى أبو بكر الصديق ورداً؟! ومتى أعطى عمر ورداً؟! وكذٰلك يُقال في عُثمان وعلي وسائر الصحابة؟! وهل كانت في الصحابة طرق: طريقة بكرية،

وطريقة عمرية، وطريقة عثمانية، وطريقة علوية، وطريقة جابرية، وطريقة مسعودية؟! سبحانك هٰذا بهتان عظيم.

فحسين أحمد يعيب الموحِّدين لمحافظتهم على سنة النبي ﷺ ومحاربتهم البدع، فإذا عَيَّرنا بمحبة سنة النبي ﷺ وترك البدع؛ فقد مَدَحنا من حيث يريد ذمنا» انتهى.

وقد ذكرت في أول الكتاب نموذجاً من أذكار التبليغيِّين وأورادهم التي يعتنون بها ويحافظون عليها، وكلها من البدع التي ينطبق عليها قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾.

ومن أورادهم المبتدعة:

قولهم: «إلا الله» أربع مئة مرة.

و «الله الله» ست مئة مرة يوميّاً.

والأنفاس القدسية عشر دقائق يوميّاً، وتتحقَّق بالتصاق اللسان في سقف الفم والذكر بإخراج النفس من الأنف على صورة لفظ (الله).

والمراقبة الجشتية نصف ساعة أسبوعيّاً عند أحد القبور؛ بتغطية الرأس والذكر بهٰذه العبارة: (الله حاضري، الله ناظري).

ومن أذكار التبليغيِّين أيضاً أنهم يكررون كلمة (لا إلٰه) ست مئة مرة، ثم يكرِّرون كلمة (إلا الله) أربع مئة مرة، وهٰذا من الاستهزاء بالله وبذكره، وقد ذكرت في أول الكتاب أن الذكر على هٰذا الوجه يتضمَّن الكفر.

ومن أهم أورادهم وأذكارهم «دلائل الخيرات»، وفي هٰذا الكتيِّب من البدع والغلوِّ والإطراء ما هو معلوم عند أهل العلم، ومع هٰذا؛ فإن الصوفيين وأتباعهم من التبليغيِّين يعتنون بهٰذا الكتيِّب، ويحافظون على قراءته.

ومن الأذكار التي يعتني بها الصوفية وأتباعهم من التبليغيِّين إنشاد قصيدتي «البردة» و«الهمزية»، وفيهما من الشرك والغلو والإطراء ما لا يخفى على مَن نَوَّر الله قلبه بنور العلم والإيمان.

وبالجملة؛ فإن الأذكار والأوراد التي يعتني بها الصوفية والتبليغيُّون لا تخلو من الشرك والبدع والغلو والإطراء.

وما كان بهٰذه الصفة؛ فهو من أعظم المنكرات، التي يجب المنع منها؛ عملاً بما أمر الله به ورسوله ﷺ من إنكار المنكر والأخذ على أيدي المسيئين وأطرهم على الحق وقصرهم عليه، وعملاً أيضاً بأمر النبي ﷺ بردِّ المحدَثات والأعمال التي ليس عليها أمره، ومَن أنكر على أهل التوحيد إنكارهم للأذكار والأوراد المشتملة على الشرك والبدع والغلو والإطراء؛ فقوله هو المنكر في الحقيقة.

ومن الطامات التي ذكرها محمد أسلم في أواخر الأباطيل التي ذكرها عن حسين أحمد، والظاهر أنها من كلام حسين:

قال محمد أسلم: «يقول: «ليس فضل الأنبياء بأعمالهم، بل يفوقهم بعض أتباعهم في الأعمال»»[1].

قلت: قد تقدَّم نحو هٰذه الطامة في كلام قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند، وقد ردَّ عليه الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله؛ فليراجع ذٰلك فيما تقدَّم[2].

ومن ترَّهات حسين أحمد وافترائه على أهل التوحيد ما جاء في (ص ٥٣)

---

(١) «مجلة دينية بجنور» (يوليو ١٩٥٨ / ص ٣ / عمود ٣).

(٢) (ص ٧٣).

من كتابه «الشهاب الثاقب».

قال محمد أسلم: «إنه يقول قولاً سخيفاً أشبه بالكذب، لا يبالي بما قال، يقول في كتابه: «إن الوهَّابيَّـة يسيئون الأدب بحضرة النبي ﷺ، ويقولون: ليس له علينا إلا فضيلة قليلة، وليس له علينا حقٌّ ولا إحسان، ولا يفيدنا شيئاً بعد موته ﷺ. تقـول أكـابر الوهَّابية: إن عصاي هٰذه أنفع لنا من النبي ﷺ، أذود بها الكلاب، وأدفعهم بها، والنبي ﷺ لا ينفع شيئاً».

والجواب أن يُقال: هٰذا إفك مبين وبهتان عظيم.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلى الكَاذِبينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّما يَفْتَري الكَذِبَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِآياتِ اللهِ وأُولٰئِكَ هُمُ الكاذِبونَ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجـور، وإن الفجـور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتبَ عند الله كذَّاباً».

رواه: الإمـام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

قال: «وفي الباب عن أبي بكر الصديق وعمر وعبدالله بن الشخير وابن عمر رضي الله عنهم».

وروى: البزَّار، وأبو يعلى؛ عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يطبع المؤمن على كل خلة؛ غير الخيانة والكذب».

قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن على الخلال كلها؛ إلا الخيانة والكذب».

وروى الإمام أحمد أيضاً بإسناد صحيح عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: أنه قال في خطبته: «يا أيها الناس! إياكم والكذب؛ فإن الكذب مجانب للإيمان».

وإذا عُلِم أنَّ الكذب مجانب للإيمان، وأنه يهدي إلى الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار؛ فليعلم أيضاً أن الله تعالى قد حرَّم إيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، وشدَّد في ذٰلك:

فقال تعالى: **﴿والَّذينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبوا فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً﴾**.

وقال تعالى: **﴿ومَنْ يَكْسِبْ خَطيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَريئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً﴾**.

قال ابن كثير في الكلام على قوله تعالى: **﴿والَّذينَ يُؤْذونَ المُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبوا﴾**: «أي: ينسبون إليهم ما هم برآء منه، لم يعملوه ولم يفعلوه؛ **﴿فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً﴾**. وهٰذا هو البهت الكبير: أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقُّص لهم، ومن أكثر مَن يدخل في هٰذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقَّصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برَّأهم منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله تعالى قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهٰؤلاء الجهلة الأغبياء يسبُّونهم ويتنقَّصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً؛ فهم في الحقيقة منكَّسو القلوب، يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين» انتهى.

قلت: قد سلك حسين أحمد مع أهل التوحيد من أهل نجد مسلك الرافضة مع الصحابة؛ فقد ذكر عنهم من إساءة الأدب في حق النبي ﷺ ما لم يكن منهم أبداً، وذكر عنهم من الأقوال السيئة في حقِّ النبي ﷺ ما لم يقولوه أبداً، بل هم في غاية البراءة منه.

وهم بحمد الله على العكس مما رماهم به حسين أحمد؛ فهم يحبُّون رسول الله ﷺ غاية المحبَّة، ويعظِّمونه غاية التعظيم الذي يليق به، وهو التعظيم الذي ليس فيه شرك ولا شيء من الغلو والإطراء الذي كان رسول الله ﷺ ينهى عنه ويحذِّر منه، وكانوا يعظِّمون أمره ونهيه، ويهتدون بهديه، ويتَّبعون سنَّته وما كان عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم، ويدعون إلى ما دعا إليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله، ويبالغون في نصرته وموالاة مَن والاه ومعاداة مَن عاداه.

فهٰذه طريقة أهل التوحيد الذين يسميهم أعداؤهم الوهَّابية، وهي موجودة في كتبهم ورسائلهم، ولا يجهلها إلا مَن هو من أجهل الناس وأشدهم غباوة، ولا يتجاهلها إلا أهل الزيغ والضلال؛ مثل حسين أحمد ودحلان وأضرابهما من أهل الضلال الذين أعمى الله بصائرهم وصرف قلوبهم عن معرفة الحق وأهله.

فأما أهل العدل والإنصاف من علماء الأمصار؛ فإنهم يعرفون طريقة أهل التوحيد من أهل نجد غاية المعرفة، ويشهدون لهم بالعلم والفضل والهداية، وأنهم كانوا على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، بل قد شهد لهم بذٰلك العقلاء من كُتَّاب النصارى ومؤرِّخيهم، وقد ذكرتُ جملة من أقوال علماء المسلمين وكتَّاب النصارى في هٰذا الموضوع في كتابي المسمى «إيضاح المحجَّة في الرد على صاحب طنجة»؛ فلتراجع أقوالهم؛ فإن فيها أبلغ ردٍّ على أكاذيب حسين أحمد على أهل التوحيد من أهل نجد ورميه إياهم بما هم برآء منه ممَّا تقدَّم ذكره في كلامه.

وإنـه ليخشى على حسين أحمد ومَن وافقه على الكذب والافتراء على علماء أهل نجد أن يكون لهم نصيب وافر من الجزاء على الإثم والعدوان.

فقد روى الطبراني بإسناد جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به؛ حبسه الله في نار جهنَّم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه».

وروى: الإمام أحمد، وأبو داود، والطبراني؛ عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به؛ حبسه الله على جسر جهنَّم حتى يخرج ممَّا قال».

فليتأمَّل الباهتون لعلماء أهل نجد ما جاء في هٰذين الحديثين من الوعيد الشديد لمن عاب البرآء ورماهم بما ليس فيهم، وليحرصوا على الخروج من هٰذا المأزق بالتوبة النصوح إذا كانت التوبة ممكنة، قبل أن يُحال بينهم وبين التوبة، فلا يجدون لهم مخرجاً من الحبس في نار جهنَّم.

وقد ردَّ كلٌّ من محمد أسلم والشيخ محمد تقي الدين الهلالي على حسين أحمد:

فأما محمد أسلم؛ فإنه قال بعد ذكره لقول حسين أحمد: «إن الوهَّابية يسيئون الأدب بحضرة النبي ﷺ...» إلى آخر كلام حسين الذي تقدَّم ذكره: «قد رأينا كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء نجد، ما رأينا ذلك في كتبهم، ولم يحوِّل لها حسين أحمد ولا أحد من رفقائه وتلاميذه».

وأما الشيخ محمد تقي الدين الهلالي؛ فإنه قال في الرد على كلام حسين أحمد: «هٰذا الكلام الخبيث ناشىء عن جهل وعن اعتقاد خبيث، ثم إن هٰذا كذب وبهتان، إذ لم يقل أحدُ من الموحِّدين: إن عصاي هٰذه أنفع لي من النبي ﷺ، وإنما هٰذا من أكاذيب المشركين» انتهى ملخصاً من (ص ٤١ ـ ٤٢) من

«السراج المنير».

ومن مشايخ الصوفية الذي تعرَّضوا لسبِّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى أنور شاه الكشميري الحنفي الديوبندي الجشتي.

قال محمد أسلم في (ص ١٠) من كتابه «جماعة التبليغ»: «هٰؤلاء الفقهاء من أبناء ديوبند يخافون من الوهَّابية، ويرتعشون منها، ويسبُّون الإمام محمد بن عبدالوهاب عليه شآبيب رحمة الله.

يقول شيخ الجامعة الديوبندية السيد أنور شاه في كتابه(١): أما محمد بن عبدالوهاب النجدي؛ فإنه كان رجلاً بليداً، قليل العلم، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر، ولا ينبغي أن يقتحم في هٰذا الوادي إلا مَن كان متيقِّظاً متقناً عارفاً بوجوه الكفر وأسبابه» انتهى.

والجواب أن يُقال: إن البلادة حقّاً ما كان عليه أنور شاه من التمسُّك بالطريقة الجشتية، التي هي من بدع الصوفية، وجعلها عقيدة له بدلاً من عقيدة أهل السنة والجماعة الموروثة عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم.

وهٰذه العقيدة الصحيحة هي التي كان عليها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه رحمة الله عليهم؛ فقد كانوا متمسكين بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من التوحيد والسنة، وكانوا يدعون إلى التمسُّك بهٰذا الأصل العظيم، وينكرون على مَن خالفه من المشركين وأهل البدع والأهواء، ويحذِّرون منهم ومن طرقهم المخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ومن نظر في كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ورسائلهم، وكان

---

(١) «فيض الباري» (ص ١٧١ / ج ١).

من أهـل العلم والعـدل والإنصاف؛ علم يقيناً أنهم كانوا في غاية من النباهة والتيقُّظ والإتقان والتمسُّك بما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم، وعلم أيضاً أنهم كانوا متَّصفين بسعة العلم، وخصـوصـاً فيمـا يتعلَّق بأصـول الدين وفروعه، ولا عبرة بما يقوله أهل البدع والأهـواء فيهم، ومـا يختلقـونـه من الإفـك والبهتان الذي يقصدون به السبَّ والتنقُّص لهم؛ فإن أهل البدع والأهواء لا أمانة لهم، وليس عندهم من الدين والآداب الحسنة ما يردعهم عن الوقيعة في أهل التوحيد والسنة ورميهم بالعيوب التي ليست فيهم.

ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

حَسَـدُوا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنـالُـوا سَعْيَهُ فَالـقَـوْمُ أَعْـداءٌ لَهُ وخُـصـومُ
كَضَـرائِـرِ الحَسْنَـاءِ قُلْنَ لِوَجْهِـهـا حَسَـداً وبَـغْـياً إِنَّـهُ لَدَمـيمُ

وهٰذا الشعر مطابق لحال أنور شاه مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب غاية المطابقة؛ فإن أنور شاه قد حمله الحسد لشيخ الإسلام والبغي عليه على السب والـوقيعة فيه وعيبه بالعيوب التي ليست فيه، فصار مَثَل أنور شاه كمَثَل ضرائر الحسناء اللاتي يعبن وجهها الحسن بالدمامة.

ومما يطابق حال الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحال أنور أشاه أيضاً قول الشاعر:

لا يَضُـرُّ الـبَـحْـرَ أَمْسى زَاخِـراً أَنْ رَمَـى فِيهِ غُلامٌ بِحَـجَـر

وهٰـذا البيت ينـطبق شطره الأول على الشيخ محمـد بن عبدالوهاب، وينطبق شطره الأخير على أنور شاه.

وإذا عُلِم هٰذا؛ فليعلم أيضـاً أن كثيراً من علمـاء الدين في غير البلاد

النجديَّة قد شهدوا أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد أظهر التوحيد وجدَّد الدين ودعا إليه، واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته، وأثنوا عليه نظماً ونثراً، واعترف أيضاً كثير من العقلاء من كتَّاب النصارى ومؤرِّخيهم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه أرادوا تجديد الإسلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول.

وقد ذكرتُ جملة مما قيل في ذٰلك من النظم والنثر في كتابي المسمَّى «إيضاح المحجَّة في الرد على صاحب طنجة»؛ فليراجع هناك؛ فإنه مهمٌّ جدّاً، وفيه أبلغ ردٍّ على أنور شاه وعلى غيره من المفترين على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلى أتباعه والقائلين فيهم من النقائص والعيوب بما ليس فيهم، وسيجتمع الجميع عند حكم عدل، يأخذ للمظلومين حقوقهم من الظالمين، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

ومن الطامَّات التي ذكرها محمد أسلم عن بعض مشايخ التبليغيِّين ما ذكره في (ص ١١) عن الخواجه عثمان الهاروني: «أنه قال لمريده معين الدين الجشتي: انظر فوقك إلى السماء. فنظرت إلى السماء، فقال: إلى أين تنظر الآن؟ قلت: إلى العرش العظيم. ثم قال: انظر إلى الأرض. فنظرتُ إلى الأرض، فقال: إلى أين وصل نظرك؟ فقلت: إلى تحت الثرى... فجاء النداء من الغيب (الهاتف): قبلت معين الدين! ثم رحلت إلى المدينة المنوَّرة مع مرشدي لزيارة قبر النبي ﷺ، فلما زرت روضة النبي ﷺ، وسلَّمت عليه ﷺ؛ سُمِع صوتٌ من الروضة: وعليكم السلام يا قطب المشايخ بالبحر والبر، فلما جاء هٰذا النداء؛ قال عثمان الهاروني: بخٍ؛ قد انتهى عملك».

قلت: هٰذه القصة الخرافية مبنيَّة على الكذب والهوس والهذيان، ومن أقبح ما جاء فيها من الكذب زعم التبليغي الأفَّاك أنه نظر إلى العرش العظيم وإلى ما تحت الثرى، ومن أقبح ما جاء فيها من الكذب أيضاً زعمه أنَّ النداء جاء

من الغيب بقبوله، ومن أقبح ما جاء فيها من الكذب أيضاً زعمه سماع الصوت من الروضة بردِّ السلام عليه وتسميته قطب المشايخ بالبحر والبر.

وأما قول الهاروني لمعين الدين الجشتي: «بَخٍ! قد انتهى عملك»؛ فإنه يدلُّ بظاهره على أنه أراد سقوط العبادة والأعمال عن معين الدين بعد النداء الذي زعم أنه سمعه من الروضة، وهٰذا من أقوال الملاحدة الذين يزعمون أنهم إذا حصل لهم العلم والمعرفة؛ سقطت عنهم العبادة، ويحتجُّون بقول الله تعالى: ﴿**واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقينُ**﴾، ويقولون: معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل ذٰلك؛ سقطت العبادة.

ذكر ذٰلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ قال: «وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال، فإذا حصل لك حال تصوُّفي؛ سقطت عنك العبادة! وهٰؤلاء فيهم مَن إذا ظنَّ حصول مطلوبه من المعرفة والحال؛ استحلَّ ترك الفرائض وارتكاب المحارم، وهٰذا كفر».

قال: «وأما استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿**واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقينُ**﴾؛ فهي عليهم لا لهم؛ قال الحسن البصري: «إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت»، وقرأ: ﴿**واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقينُ**﴾، وذٰلك أن اليقين هنا الموت وما بعده باتفاق علماء المسلمين، فأما أن يُظَنَّ أن المراد: اعبده حتى يحصل لك إيقان، ثم لا عبادة عليك؛ فهٰذا كفر باتفاق أئمة المسلمين» انتهى المقصود من كلامه ملخصاً، وهو في (ص ٤١٧ ـ ٤٢٠) من الجزء الحادي عشر من «مجموع الفتاوى».

وقال ابن كثير في الكلام على قول الله تعالى: ﴿**واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقينُ**﴾: «يُستدلُّ بهٰذه الآية الكريمة على أن العبادة ـ كالصلاة ونحوها ـ واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، ويُستدلُّ بها على تخطئة مَن ذهب من الملاحدة

إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة؛ سقط عنه التكليف عندهم، وهٰذا كفر وضلال وجهل؛ فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحقُّ من التعظيم، وكانوا مع هٰذا أعبد الناس، وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين ها هنا الموت» انتهى.

وفي هٰذه القصة الخرافية وكثير من القصص المذكورة عن مشايخ التبليغيِّين مما تقدَّم ذكره وما سيأتي إن شاء الله تعالى دليلٌ على حماقة مشايخ التبليغيِّين وسخافة عقولهم، ودليل أيضاً على أن الشيطان قد تمكَّن منهم، وزيَّن لهم أعمالهم الباطلة، وتلاعب بهم غاية التلاعب:

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ومن الطَّامَّات التي ذكرها محمد أسلم في (ص ١٢) عن معين الدين الجشتي: «أن رجلًا جاءه للمبايعة، وقبَّل رجليه، فأجلسه الشيخ، فقال: إنِّي جئت لأكون مريدكم. فقال الخواجة معين الدين الجشتي: هل تفعل ما آمرك؟ فإن تقبل هٰذا الشرط؛ أجعلك مريدي. قال الرجل: أنا أعمل بكل ما تقول. فقال الخواجه: قد تعوَّدت على قراءة كلمة الإسلام (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)؛ فاقرأ مرة هٰكذا: (لا إلٰه إلا الله، جشتي رسول الله)، ولأجل أنه كان راسخاً في عقيدته؛ قرأ كما أمره الشيخ، فبايعه الخواجة، وأعطاه الخلعة، وأنعم عليه، ثم قال: إنما اختبرتك لأعرف مدى حبِّي وتقديري في قلبك، ما كنت قاصداً منك قراءة كلمة الإسلام بهٰذا الطريق، فيظهر من هٰذا صدق اعتقادك بي، وصرتَ الآن مريداً لي صادقاً، هٰكذا ينبغي للمريد أن يكون صادقاً في

جناب شيخه».

قال محمــد أسلم: «وهـذا غيض من فيض، وإلا؛ فكتب المشـايخ الجشتية مليئة بمثل هذه القصص والخرافات».

قلت: ما ذكر في هذه القصة عن معين الدين الجشتي أنه قال: إنه رسول الله! صريح في الردة عن الإسلام، وكذلك موافقة المريد له على القول بأنه رسول الله صريح في ردة المريد، ولا ينفع الجشتي زعمه أنه فعل ذلك على سبيل الاختبار للمريد على مدى حبه وتقديره في قلبه!

وقد قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في الرد على الجشتي ومريده: «قبَّح الله طريقة يتوقَّف الدخول فيها على الكفر بالله، وقبَّح الله شيخاً يأمر بذلك، ألم يجد ما يمتحن به إخلاصه إلا هذا؟! كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين، ولما سمع ذلك الكفر؛ رضي عنه، وقال: هكذا ينبغي للمريد أن يكون مع شيخه؛ يعني: إذا أمره بالكفر؛ كفر» انتهى كلام الهلالي، وهو في (ص **٤٣**) من كتابه «السراج المنير».

ومن الطامَّات التي ذكرها محمد أسلم في (ص **١٥**) عن الشيخ إلياس مؤسس جماعة التبليغ أنه كتب في خطاب أرسله إلى أعضاء جماعته: «إذا لم يرد الله أن يقوم أحد بعمل؛ فلا يمكن حتى الأنبياء أن يبذلوا جهودهم فيقوموا بشيء، وإذا أراد الله شيئاً؛ يقم أمثالكم الضعفاء بالعمل الذي لم يستطع الأنبياء»[١].

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على هذا القول الباطل، فقال في (ص **٥٢**) من كتابه «السراج المنير»: «هذا من تفضيل أصحابه على الأنبياء، وقد أجمع المسلمون من الصحابة فمَن بعدهم على أن الأنبياء أفضل

(١) «مكاتيب إلياس» (ص ١٠٧ ـ ١٠٨).

من غيرهم من المؤمنين، ولا يستطيع أحدٌ أن يساويهم؛ فكيف يكون أفضل منهم؟! وهٰذه جرأة عظيمة على الأنبياء، وللمتصوِّفة طوام كثيرة مثل هٰذا، وقد تقدَّم أنه روي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في «شطحاته»: «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»».

ومن الأقوال الباطلة التي ذكرها محمد أسلم عن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الحنفي الديوبندي الجشتي النقشبندي الذي هو من كبار مشايخ ديوبند ومن أكبر مشايخ الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ.

قال محمد أسلم نقلاً عن بعض مؤلفات التبليغيِّين: «لما توفي الحاج إمداد الله؛ كان ـ يعني: رشيد أحمد الذي هو من تلاميذ إمداد الله ـ يذكره دائماً ويقول: آه رحمة للعالمين... آه رحمة للعالمين».

قلت: قد أخطأ الكنكوهي خطأً كبيراً في وصف شيخه إمداد الله بالصفة التي وصف الله بها رسوله محمداً ﷺ وخصَّه بها دون غيره، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾؛ فهٰذه الصفة لا تصلح إلا للنبي ﷺ، ولا تصلح لغيره، إذ ليس أحد يدانيه في هٰذه الصفة، فضلاً عن أن يكون مساوياً له فيها؛ كما يفهم ذٰلك من كلام الكنكوهي الذي بلغ به الجهل والغلو في شيخه إمداد الله إلى أن وصفه بصفة النبي ﷺ، وجعله مساوياً له في عموم الرحمة للعالمين.

ومن هوس الكنكوهي وهذيانه ما ذكره عنه محمد أسلم في (ص ١٧) أنه قال: «كان وجه الشيخ إمداد الله المهاجر إلى مكة في قلبي ثلاث سنوات كاملة، وما فعلت شيئاً بغير إذنه».

وقال أيضاً: «كان في قلبي هٰذه السنوات رسول الله ﷺ، وما فعلت شيئاً بدون سؤالي عنه»[1].

---

(١) «أرواح ثلاثة» (ص ٢٩١).

قلت: ما ذكر في هٰذه الجملة من الهوس فإنما هو من تضليل الشيطان له، وتمكُّنه من إغوائه، بحيث كان الشيطان يخيِّل إليه أن وجه الشيخ إمداد الله كان في قلبه ثلاث سنوات كاملة، وأنه ما فعل شيئاً بغير إذنه، وكان الشيطان يخيِّل إليه أيضاً أن رسول الله ﷺ كان في قلبه هٰذه السنوات التي زعم أنها كانت له مع شيخه إمداد الله، وأنه ما فعل شيئاً بدون سؤال رسول الله ﷺ عنه!! ولا يخفى ما في هٰذا الكلام من مخالفة العقل الصحيح.

وعلى هٰذا؛ فإنه ينبغي أن تضمَّ هٰذه الجملة إلى أخبار الحمقى والمجانين.

ومن الطامَّات التي ذكرها محمد أسلم في (ص ١٧) عن مترجم الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي: أنه يقول: إنه سمع منه مرَّات أنه كان يقول: «اسمع الحق؛ هو الذي يقوله رشيد أحمد، وأقسم بالله أني لست بشيء؛ إلا أن الهداية والنجاة موقوفة على أتباعي في هٰذا الزمن»[1].

قلت: قد تحجَّر الكنكوهي واسعاً من الهداية والنجاة لمن أراد الله هدايته ونجاته من سائر أصناف الناس، فجعل ذٰلك موقوفاً على أتباعه دون غيرهم، وهٰذا من أبطل الباطل وأقبح الكذب، وهو يتضمَّن الكذب على الله تعالى، والقول عليه بغير علم، وذٰلك من أعظم المحرَّمات وأشدها تحريماً.

وكلام الكنكوهي في هٰذه الجملة لا يخلو من إحدى حالتين:

ـ إما أن يكون مغلوباً على عقله، فيكون كلامه هٰذا من الهذيان الذي يهذو به من فقد عقله، فلا يؤاخذ حينئذ بما تكلَّم به.

ـ وإما أن يكون عقله باقياً معه، فيكون حينئذ قد ادَّعى أمراً عظيماً من

---

(١) «تذكرة الرشيد» (ج٢ / ص ١٧).

علم الغيب الذي لا بدَّ أن يكون قد نزل فيه وحيٌ من الله تعالى!

ومن المعلوم عند كل مسلم عاقل أن الوحي قد انقطع عن الأرض بموت رسول الله ﷺ، فمَن ادَّعى بعده أن الوحي قد نزل عليه؛ فهو دجَّال من الدَّجَّالين الذين قال الله فيهم:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطينُ . تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أثيمٍ . يُلْقونَ السَّمْعَ وأَكْثَرُهُمْ كَاذِبونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وكَذٰلكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شياطينَ الإِنْسِ والجِنِّ يُوحي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً ولَوْ شاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلوهُ فَذَرْهُمْ ومَا يَفْترونَ . ولِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ ولِيَرْضَوْهُ ولِيَقْتَرِفوا مَا هُمْ مُقْتَرِفونَ﴾.

وهٰذه الآيات مطابقة لحال الكنكوهي الذي زعم أنه يسمع الحق وأن الهداية والنجاة موقوفة على أتباعه في هٰذا الزمان.

والظاهر من قوله: «إنه يسمع الحق»: أنه يدَّعي ما يدَّعيه بعض شيوخ الصوفية: أن قلوبهم تحدِّثهم عن الله تعالى، فيأخذون عنه بدون واسطة الرسول، ويقول بعضهم: حدَّثني قلبي عن ربِّي، ويظن أن الله تعالى هو الذي يناجيه، وإنما ذٰلك من الشيطان يتلاعب بهم ويضلُّهم ضلالاً بعيداً.

وأما زعم الكنكوهي أن الهداية والنجاة موقوفة على أتباعه في هٰذا الزمان؛ فهو من زخرف القول الذي أوحاه الشيطان إليه، فاغترَّ به، وصغى إليه قلبه ورضيه، وهو في تحجُّره الهداية والنجاة على أتباعه دون غيرهم شبيه بالأعرابي الذي تحجَّر رحمة الله عليه وعلى النبي ﷺ، فأنكر عليه رسول الله ﷺ، ووصفه بالضلال.

وقد جاء ذٰلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ قال: قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهمَّ ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فلمَّا سلَّم النبي ﷺ؛ قال للأعرابي: «لقد تحجَّرت واسعاً»؛ يريد رحمة الله.

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، وأهل السنن.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وروى: الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم؛ عن جندب ـ وهو ابن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه؛ قال: جاء أعرابيٌّ، فأناخ راحلته، ثمَّ عقلها، ثمَّ صلى خلف رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ؛ أتى راحلته، فأطلق عقالها، ثم ركبها، ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً. فقال رسول الله ﷺ: «أتقولون هٰذا أضل أم بعيره؟! ألم تسمعوا ما قال؟!». قالوا: بلى. قال: «لقد حظرت، رحمة الله واسعة، إن الله خلق مئة رحمة، فأنزل رحمة واحدة يتعاطف بها الخلائق جنها وإنسها وبهائمها، وعنده تسع وتسعون، أتقولون هو أضل أم بعيره؟!».

قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

وفي هٰذين الحديثين أبلغ ردٍّ على الكنكوهي الذي تحجَّر الهداية والنجاة، وزعم أنها موقوفة على أتباعه، وهٰذا من نتائج حمقه وجهله وضلاله.

ومن الطامَّات التي ذكرها محمد أسلم في ترجمة الشيخ أشرف علي التهانوي الحنفي الديوبندي الجشتي حكيم الأمة عندهم! قال محمد أسلم: «وهو من كبار مشايخ الحنفية الديوبندية التبليغية المعروف فيما بينهم بـ (حكيم الأمة)».

ثم ذكر في (ص ٢١) قصة له مع أحد مريديه، وهي أن المريد كتب إليه: «إني رأيت نفسي في المنام أني كلَّما أسعى أن أقول كلمة الشهادة على وجهها الصحيح؛ يجـري على لساني بعد لا إله إلا الله: أشرف علي رسول الله، فيجيب التهانوي على ذلك ويقول: إنك تحبُّني إلى غاية الدرجة، وهٰذا ثمرة هٰذا الحب ونتيجته[1].

وقد يقص هٰذا المريد في خطاب وجَّهه إلى مرشده التهانوي هٰذه القصة، فيقـول بعـد ذكـر الـرؤيا: فاستيقظت من الرؤيا، فلما خطر ببالي خطأ كلمة الشهادة؛ أردت أن أطرح هٰذا من قلبي، وبهٰذا القصد جلست، ثم اضطجعت على الشق الثاني، وبدأت أقول: الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ؛ لأتدارك هٰذا الخـطأ، لكني أقول: اللهم صلِّ على سيدنا ونبينا ومولانا أشرف علي، والحال أني مستيقظ الآن ولست في رؤيا، لكني مع هٰذا أنا مضطرٌّ ومجبورٌ ولا أقدر على لساني[2]!

وجـواب الشيخ التهـانـوي؛ فهـو يقـول: وكان في هٰذا تسلية لك بأن الشخص الذي ترجع إليه هو بعون الله وتوفيقه متَّبع السنة[3]».

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي على هٰذه الطامة في (ص ٦٥) من كتابه «السراج المنير»، فقال: «هٰذا كفر من المريد الذي ينبغي أن يسمَّى مَريداً ـ بفتح الميم ـ، وشيخه شرٌّ منه؛ لأنه أقرَّه على الكفر، وكان الواجب على الشيخ ـ لو كان مهتدياً سالكاً محجَّة الصواب ـ أن يقول لمريده ـ بل مَريده ـ: تب إلى الله من هٰذا الكفر؛ فقد أضلَّك الشيطان؛ فإن رسول الله لهٰذه الأمة

(١) «برهان» (فبراير ١٩٥٢ / دهلي / ص ٧).

(٢) «رسالة إمداد تهانه بهون» (شوال ١٣١٥هـ).

(٣) «رسالة إمداد تهانه بهون» (شوال / ص ٣٤).

المحمَّدية واحد، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلوات الله وسلامه عليه، وأعوذ بالله أن أرضى بما جرى على لسانك من نزغات الشيطان» انتهى.

وذكر محمد أسلم في ترجمة الشيخ أشرف علي التهانوي أيضاً أن الأستاذ عبدالماجد دريابادي من خلفاء التهانوي، وكتب إلى مرشده: إن عدم التوجُّه في الصلاة مرض قديم، لكني جربت أني ما دمتُ تصوَّرتُ جنابك في حالة الصلاة... توجَّهت في هٰذه المدة، لكن المصيبة هي أن هٰذا التصوُّر لا يبقى إلى وقت طويل، وعلى كل حال، إن كان هٰذا عملاً محموداً؛ فليصوَّب من جنابكم، وإلا؛ فأحتاط في المستقبل».

جواب الشيخ التهانوي: هٰذا عمل محمود إن لم يطَّلع عليه الآخرون»[1].

قلت: هٰذا الجواب خطأ ظاهر؛ لأن استحضار المصلي لصور الناس يشغل قلبه عن الحضور في الصلاة والخشوع فيها وإقامتها على الوجه المطلوب؛ فهو إذاً من الأعمال المذمومة، ومَن زعم أنه من الأعمال المحمودة؛ فهو جاهل، لا يعرف الفرق بين المحمود وبين المذموم من الأعمال.

وقد ردَّ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ٦٦) من كتابه «السراج المنير» على كلام عبدالماجد، فقال: «هٰذا في غاية ما يكون من الضلال؛ فإن استحضاره صورة شيخه في الصلاة شرك بالله وكفرٌ يشغله عن الله تعالى ويبعده من الخشوع الذي هو روح الصلاة.

وهٰذا النوع من الشرك مشهور عند المتصوِّفة أصحاب الطرائق القِدَد، وأنا بنفسي حين طلبتُ الورد من الشيخ عبدالكريم المنصوري لأبايعه على الدخول في الطريقة التجَّانية؛ لقَّنني الأذكار، وهي: لا إلٰه إلا الله؛ مئة مرة، أستغفر

(١) «حكيم الأمة» (ص ٥٤).

الله؛ مئة مرة، الصلاة على النبي بصلاة الفاتح؛ مئة مرة. قال لي: وإذا شرعتَ في الذكر؛ فلتكن مستقبل القبلة، جالساً كجلوسك للتشهُّد، مغمض العينين، لا تتكلَّم مع أحد ما دمت تذكر، وتصوَّر بقلبك صورة شيخك الشيخ أحمد التجاني، وجهه أبيض مشرب بحمرة، وله لحية بيضاء، وعلى رأسه عمامة! فكنت أفعل ذلك، وهو شرك وكفر، ولكن التجانيين لا يأمرون بذلك في الصلاة، فهؤلاء زادوا على شركهم، فنعوذ بالله من الضلال؛ فإن مَن ترك الكتاب والسنة واستبدلهما بأوهام المتصوفة لم يبق له دين ولا عقل؛ كما قال الشافعي رحمه الله: «لو أن رجلاً صاحب الصوفيَّة من الصبح إلى الظهر؛ لذهب عقله». قال محمد تقي الدين: وكذلك دينه وماله يذهبان أيضاً، وذلك هو الإفلاس العظيم» انتهى.

وذكر محمد أسلم في ترجمة الشيخ محمود حسن الديوبندي الحنفي الجشتي ـ قال: «وهو من كبار علماء ديوبند ومشايخ جماعة التبليغ» ـ: أنه «كان أول طالب في مدرسة دار العلوم بديوبند، وقد شرَّفه واختاره شيخ العرب والعجم إمداد الله ببيعته وإعطائه الخلافة وإجازة البيعة، وهذا بناء على طلب الشيخ محمد قاسم النانوتوي، وأرسل إلى الهند إجازته مكتوبة أيضاً».

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «هذه البيعة التي يستعملها أصحاب الطرائق من المتصوفة والإجازة في إعطائها؛ كل ذلك ضلال مبين، فلا توجد في الإسلام بيعة؛ إلا بيعة الصحابة للنبي ﷺ، وبيعة المسلمين لخليفتهم» انتهى.

وذكر محمد أسلم أيضاً في ترجمة الشيخ محمود حسن أنه كتب إلى الشيخ فتح الدين (لائلفور) في رسالة يقول فيها: «اقرؤوا واحداً ومئة مرة: يا حي! يا قيوم! برحمتك أستغيث؛ بالجهر، وليكن ضرب يا حي على القلب،

وقـل لزوجتك أن تقرأ الاسم الذاتي ـ أي: الله ـ أربعة آلاف مرة في كل يوم وليلة، في أوقات مختلفة»[1].

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «وهاتان بدعتان كلتاهما ضلال، فتحديده ذكر (يا حي! يا قيوم!) بعدد لم يحدِّده رسول الله ﷺ بدعة ضلالة، وتحديده لذكرها بالجهر بدعة ضلالة، وأمره أن يجعل (يا حي!) على قلبه بدعة ضلالة، واقتصاره على ذكر اسم الجلالة مفرداً بدعة ضلالة، وذكر اسم الجلالة (الله) كلمة واحدة دون أن تتألف منها جملة بدعة ضلالة، وليس بكلام في أي لغة؛ لأن السنة جاءت أن يذكر الله تعالى بكلام له معنى، والكلمة الواحدة لا معنى لها؛ فـ (الحمد لله) ذكر له معنى؛ لأنه مؤلف من مبتدأ وخبر، و(لا إله إلا الله) ذكر له معنى كذلك، و(الله أكبر) ذكر له معنى كذلك، و(سبحان الله) ذكر له معنى، وهو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله، ولم يجيء ذكر (الله، الله) كلمة واحدة في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وجهَّال المتصوِّفة يستعملون ذلك، وهو من بدعهم المنكرة» انتهى.

ومن أكبر الطَّامَّات ما ذكره محمد أسلم في (ص ١٨) عن محمود حسن أنه زاد في آية من القرآن زيادة من عنده يعارض بها قول مَن يقول بالمنع من التقليد.

قال محمد أسلم في ذكر أقوال محمود حسن ومعارفه ما نصه: «استدلاله بالآية المحرَّفة».

ثم قال: «كل واحد يعرف الشيخ محمود حسن ديوبندي، يسمونه شيخ الهند، الذي كتب كتاب «إيضاح الأدلَّة» ردّاً على عالم سلفي استدلَّ على ردِّ التقليد بآية: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ

(١) «بيس بري مسلمان» (ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ذٰلكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْويلًا﴾، فقام الشيخ محمود حسن ردّاً على العالم المذكور، واستشهد بنفس الآية على ادِّعائه، لكن زاد فيها: (وإلى أولي الأمر منكم)! زاعماً أن هٰذا من الآية، مع أنه ليس من الآية، ثم قال: هٰذا هو السبب لقوله تعالى: **﴿فَإِنْ تنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ (وإلى أولي الأمر منكم)﴾**. . . والظاهر أن أولي الأمر في الآية هم غير الأنبياء، فانظر إلى الآية؛ اتَّضح بها أن الأنبياء وأولي الأمر كلهم يجب اتباعهم، ثم بدأ معترضاً: إنك قد عرفت **﴿فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾**، ولم تعرف إلى الآن أن القرآن الذي وجدت فيه هٰذه الآية توجد فيه الآية المذكورة التي استدللتُ بها، وليس بعجيب أن ترى التعارض بين الآيتين جهد عادتك، فتفتي بأن تكون إحداهما ناسخة والأخرى منسوخة» انتهى.

قال محمد أسلم: «ويثار السؤال على هٰذا الاستدلال بأن الآية الثانية التي زاد فيها الشيخ محمود حسن الديوبندي واستدل بها في أي جزء من القرآن وفي أي مصحف؟! وقد نشر الكتاب باسم الشيخ محمود حسن، والأغلب أنه نشر في قيد حياته، وقرأه تلامذته الأجلَّاء من العلماء والمشايخ من الديوبنديين وجماعة التبليغ؛ فهل وُفِّق أحد أن يقوم بإصلاح هٰذه الهفوة (التحريف)؟!».

ثم قال محمد أسلم: «قد مرَّ بكم قصة الاحتجاج بالآية التي لا نجدها في المصحف الموجود بين أيدينا، قد تولَّاه الشيخ محمود حسن الحنفي الديوبندي الجشتي المعروف بينهم بـ (شيخ الهند)، وهو أستاذ لمحمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ» انتهى كلام محمد أسلم.

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «هٰذا الكلام واضح كامل لا يحتاج إلى شرح وتعليق، فمن بلغ به التعصُّب والتقليد الأعمى إلى أن يزيد في كتاب الله؛ فقد بلغ في الضلال كل مبلغ» انتهى.

قلت: ما فعله محمود حسن من الزيادة في القرآن ليس بهفوة فقط، وإنما هو كفرٌ صريح؛ لأنه صريح في الكذب على الله تعالى، وقد حكم الله بكفر مَن كذب عليه، ووصف الكاذبين عليه بأنهم من أظلم الظالمين، وتوعَّدهم بأشد الوعيد:

فقال تعالى في سورة الزمر: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلى اللهِ وكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ أَلَيْسَ في جهَنَّمَ مَثْوىً للكَافِرينَ﴾.

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً للكَافِرينَ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولٰئكَ يَنالُهُمْ نَصيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ﴾ الآية.

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى على اللهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِليهِ شَيْءٌ ومَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ الآية.

وقال تعالى في سورة النحل: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَفْتَرونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ لا يُفْلِحونَ . مَتاعٌ قَليلٌ ولَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ﴾.

وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرى الَّذينَ كَذَبوا عَلى اللهِ وُجوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ الآية.

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وإِنَّ مِنْهُمْ لَفريقاً يَلْوونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتابِ لِتَحْسَبوهُ مِنَ الكِتاب ومَا هُوَ مِنَ الكِتاب ويَقولونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ومَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ويَقولونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمونَ﴾.

وقال تعالى في سورة طه: ﴿قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَروا عَلى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ﴾.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذينَ يَكْتُبونَ الكِتابَ بِأَيْديهِمْ ثُمَّ يَقولونَ هٰذا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ الآية.

وروى: الترمذي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»؛ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «ستَّة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبيٍّ مجاب (وذكر منهم الزائد في كتاب الله)».

صححه الحاكم والذهبي.

وروى الحاكم أيضاً عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله.

وقد قال أبو محمد الحسن بن علي البربهاري في كتاب «شرح السنة»: «اعلم أنه ليس بين العبد وبين أن يكون كافراً إلا أن يجحد شيئاً ممَّا أنزل الله أو يزيد في كلام الله أو ينقص أو ينكر شيئاً ممَّا قاله الله عزَّ وجلَّ أو شيئاً ممَّا تكلَّم به رسول الله ﷺ» انتهى.

وإذا عُلم هٰذا؛ فليعلم أيضاً أن الذين قرؤوا كتاب محمود حسن من تلاميذه وغيرهم من مشايخ الديوبنديين وجماعة التبليغ، واطَّلعوا على ما وقع في الكتاب من الزيادة في القرآن، ولم ينكروا ذٰلك، ولم يغيِّروه: أنهم شركاء لصاحب الكتاب فيما يترتَّب على الزيادة في كتاب الله من الكفر والظلم والوعيد الشديد؛ لأن الراضي بالذنب كفاعله، والدليل على هٰذا قول الله تعالى:

﴿وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتابِ أَنْ إذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضوا في حَديثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾.

وقد وقع من محمود حسن أيضاً تحريف كلمة في «سنن أبي داود»، وذٰلك جرم كبير وجراءة عظيمة.

قال محمد أسلم في (ص ١٨ ـ ١٩) من كتابه «جماعة التبليغ» ما نصه:

«تحريف الحديث على يد العالم الديوبندي التبليغي: وإليك ما حدث قبل أشهر من كشف الستار عن التحريف الواقع الاحتجاج بهٰذا الحديث في «سنن أبي داود»، فيقول الشيخ المحدث سلطان محمود بجلال بوربير والأملتان باكستان:

قد قرأت رسالة بعنوان «حقيقة كذب منكري التقليد»، تحتوي على خمس صفحات، وخلاصتها أن صلاة التراويح عشرون ركعة وليست ثماني ركعات، وقد ورد على الصفحة الخامسة من هٰذه الرسالة ألفاظ الحديث من كتاب أبي داود هٰكذا: «عن الحسن: أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبي بن كعب، فكان يصلي لهم عشرين ركعة» (أبو داود).

وإليكم نص الحديث من كتاب أبي داود، فجاء فيه: «عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على أبي بن كعب، فكان يصلي لهم عشرين ليلة، ولا يقنت بهم إلا في النصف الباقي، فإذا كانت العشر الأواخر؛ تخلف فصلى في بيته، فكانوا يقولون: أبق أبي».

وإتيان لفظ (ركعة) بدل (ليلة)، والاحتجاج بهٰذا اللفظ لإثبات ركعات التراويح عشرين ركعة: تحريف هام في كتاب ديني مما يخجل منه[1]».

ثم قال محمد أسلم: «متى وقع هٰذا التحريف؟ ومَن قام به؟ والنسخ المطبوعة الموجودة إلى سنة ١٣١٨هـ لكتاب أبي داود يوجد في كل هٰذه النسخ كلمة عشرين ليلة مطبوعة، ولم توجد أية إشارة لاختلاف النسخ، فلما نشر «سنن أبي داود» بحاشية الشيخ محمود حسن، قام ناشروه بأنفسهم ـ أو بمشورة أحد من الناس ـ بإدخال كلمة ليلة في المتن، وجعلوا عليها علامة، وكتبوا على

(١) «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود» (ص ٣٢) للشيخ المحدث سلطان محمود، جلال بوربير والأملتان ـ باكستان.

الحاشية: «ركعة»، ولما طبع الكتاب بتحشية الشيخ فخر الحسن؛ ثبتوا في هٰذه النسخة لفظ: «ركعة» في متن الكتاب، وجعلوا علامة في النسخة (ن)، وكتبوا على الحاشية: «ليلة»، وهٰذا ليعم التأثر أن هناك اختلاف النسخ، وكان المقصود من هٰذا العمل أن يتأثروا بأن بعض نسخ أبي داود قد توجد فيها كلمة «عشرين ركعة»؛ لكي يستدلَّ بهٰذا الحديث على إثبات ركعات التراويح عشرين ركعة»[1].

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «هٰذه زلة عظيمة صدرت من هٰذا الرجل، فأبدل: «ليلة» بـ: «ركعة»، ولم يستحي من الله ولا من الناس» انتهى.

قلت: في إقدام محمود حسن على التحريف في «سنن أبي داود» دليل على أنه لا أمانة له.

وقد روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «لا إيمان لمَن لا أمانة له»، وهو حديث حسن.

رواه الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ومن هوس الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ ما ذكره محمد أسلم في (ص ٢٤): «أن الشيخ زكريا حرَّر شهادة الإجازة والخلافة التي أعطاها الشيخ إلياس لولده الشيخ محمد يوسف، فقال فيه: أنا أجيز هٰؤلاء للبيعة، فأضاف فيها الشيخ محمد إلياس وأمْلى: وأنا أجيزها نيابة عن الرسول ﷺ»[2].

---

(١) «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود» (ص ٩) للشيخ المحدث سلطان محمود، جلال بوربير والأملتان ـ باكستان.

(٢) «سيرة محمد يوسف» (ص ١٩٦).

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في الرد على هٰذه الجملة: «إن الـرسـول ﷺ بريء من بدع المتصوفة، وقد قال النبي ﷺ: «مَن كذب عليَّ متعمداً؛ فليتبوَّأ مقعده من النار»».

وقد تقدم قريباً قول الهلالي: «إن البيعة التي يستعملها أصحاب الطرائق من المتصـوفـة، والإجازة في إعطائها؛ كل ذٰلك ضلال مبين؛ فلا توجد في الإسلام بيعة إلا بيعة الصحابة للنبي ﷺ وبيعة المسلمين لخليفتهم» انتهى.

قلت: إن دعـوى النيابـة عن النبي ﷺ في إجازة البيعة والخلافة التي يستعملها الصوفية وأتباعهم من التبليغيين خطيرة جدّاً.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوَّة الأولى: إذا لـم تستح؛ فاصنع ما شئت».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»؛ من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

والمعنى على أحد الأقوال: أن من لا يمنعه الحياء يقول ويفعل ما يشاء، ولا يبالي بما يترتَّب على أقواله وأفعاله السيئة من المحارم والمآثم.

وهٰذا الحديث الصحيح مطابق لحال الذي ادَّعى النيابة عن النبي ﷺ في أثناء القرن الرابع عشر من الهجرة، وليس له مستند فيما ادَّعاه سوى الكذب على رسول الله ﷺ، وقد ادَّعى النيابة عن النبي ﷺ في إجازة البيعة التي هي من بدع الصوفية وأتباعهم من التبليغيِّين وشرعهم من الدين ما لم يأذن به الله، ولم يبال بما يترتَّب على هٰذه الدعوى المكذوبة من المخالفة للأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في التحذير من المحدثات، والأمر بردها، والحث على التمسُّك بالسنة.

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا خطب؛

احمرَّت عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول صَبَّحَكم ومَسَّاكم، ويقول: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

رواه: الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه، والدارمي.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، وأهل السنن؛ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين؛ تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وصححه أيضاً: ابن حبان، والحاكم، وابن عبدالبر، والذهبي.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ»؛ أي: مردود.

وفي رواية لأحمد: «مَن صنع أمراً من غير أمرنا؛ فهو مردود».

إسناده صحيح على شرط مسلم.

وقد اشتملت هٰذه الأحاديث على عدة فوائد ينبغي الاعتناء بها:

الفائدة الأولى: النص على أن خير الحديث كتاب الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ. وفي هٰذا النص أبلغ حثٍّ على التمسُّك بالقرآن والاقتداء برسول الله ﷺ والأخذ بهديه.

الثانية: النص على أن شر الأمور محدثاتها. وفي هٰذا النص أبلغ تحذير من المحدثات.

الثالثة: النص على أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

الرابعة: الحث على الأخذ بسنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين والتمسك بها والعض عليها بالنواجذ.

الخامسة: التحذير من المحدثات على وجه العموم.

السادسة: الأمر برد المحدَثات والأعمال التي ليس عليها أمر النبي ﷺ، وهٰذا يشمل جميع البدع التي أحدثت في الإسلام، ومنها طرق الصوفية والتبليغيِّين وما يستعملونه من الإجازة للبيعة والخلافة المبتدعة، فكل ذٰلك يجب ردُّه؛ عملاً بأمر النبي ﷺ بردِّ المحدَثات من غير استثناء.

السابعة: بطلان دعوى مَن ادَّعى النيابة عن النبي ﷺ في إجازة البيعة والخلافة الصوفية التبليغية؛ لأن هٰذه الدعوى تعارض ما ثبت عن النبي ﷺ من التحذير من المحدثات والأمر بردها، وما عارض أمر النبي ﷺ؛ فإنه يجب رده واطِّراحه.

ومن سخافات مشايخ التبليغيِّين وهَوَسِهم ما ذكره محمد أسلم في (ص ٣٤) عن الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي السهارنفوري الحنفي الديوبندي الجشتي النقشبندي، ويعرف عندهم بـ (ريحانة الهند) و (بركة العصر) و (المحدث الكبير) و (شيخ الحديث).

قال محمد أسلم: «وهو من كبار علماء ديوبند، وشيخ المشايخ، والمشرف الأعلى لجماعة التبليغ».

ثم ذكر عنه أنه قال في بعض رسائله: «إذا وصلت إلى حضرة الرسول

ﷺ؛ فقال له هٰذه الكلمات: إنه سلَّم عليك كلب هندي (يصف نفسه بالكلب!)، وإن تستطيع أن تقول في ذٰلك المجلس بأدب بالغ بعد الصلاة والسلام: إن هٰذا النجس لا يليق له أن يسلم عليك، لكنك رحمة للعالمين، ولا ملجأ لهٰذا النجس إلا إلى رأفة نظرتك».

قلت: هٰذا الكلام السخيف لا يصدر إلا من رجل قد بلغ النهاية في السخف والرعونة، وينبغي أن يعدَّ قائله من الثلاثة الذين رُفع عنهم القلم؛ لأن العاقل لا يرضى لنفسه أن يقول له أحد: أنت كلب، أو أنت نجس؛ لأن هاتين الصفتين من أقبح صفات الذم التي لا يرضى بها عاقل لنفسه، فضلاً عن أن يصف نفسه بشيء منها، وقد ضرب الله تعالى مثل الكلب للذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه، ثم قال تعالى:

﴿سَاءَ مَثَلًا القَوْمُ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمونَ﴾.

قال ابن كثير: «أي: ساء مثلهم أن شبِّهوا بالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيِّز العلم والهدى، وأقبل على شهوة نفسه، واتَّبع هواه؛ صار شبيهاً بالكلب، وبئس المثل مَثَله» انتهى.

وأما صفة النجس؛ فإن الله تعالى وصف بها المشركين، فقال تعالى: ﴿إِنَّما المُشْرِكونَ نَجَسٌ﴾.

وقد دلَّت الآية الأولى على الذم البليغ لمن اتَّصف بصفة الكلاب، ومَن قال عن نفسه: إنه كلب! فهو أولى بالذم والتقريع.

ودلَّت الآية الثانية على الذم البليغ للمشركين، ومَن تشبَّه بقوم ووصف نفسه بصفتهم؛ فهو ملحقٌ بهم؛ لقول النبي ﷺ: «مَن تشبَّه بقوم فهو منهم».

رواه: الإمام أحمد، وأبو داود؛ بأسانيد جيدة؛ من حديث عبدالله بن

عمر رضي الله عنهما.

وأما قوله: «إنه لا ملجأ لهٰذا النجس إلا إلى رأفة نظرتك».

فجوابه أن يُقال: هٰذا من الشرك الأكبر؛ لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَداً﴾.

قال ابن جرير: «لأن الذي يملك ذٰلك الله الذي له ملك كل شيء» انتهى.

وإذا كان النبي ﷺ لا يملك في حياته ضرّاً ولا رشداً لغيره؛ فبعد مماته أولى أن لا يملك ذٰلك لأحد، وبهٰذا يعلم أن ما جاء في كلام زكريا من تخصيص النبي ﷺ بالالتجاء إلى رأفة نظرته إنما هو محض الشرك الأكبر.

ومن شركيات مشايخ التبليغيِّين ما ذكره محمد أسلم في (ص ٢٩) عن الشيخ محمد يوسف البنوري الحنفي الديوبندي الجشتي، وهو من كبار علماء ديوبند وجماعة التبليغ.

قال محمد أسلم: «لما أراد الاضطلاع بعلم قمع الأمراض؛ حصل له في هٰذا العلم كعب عالٍ لدرجة أنه بمحض إرادته كان المريض يعود صحيحاً كأنه لم يكن به شيء من المرض أبداً».

قال: «ولما وضع قدمه في علم استحضار الأرواح؛ رأى من غرائب القوة الروحية وتكشَّف عليه من عجائب عالم الأرواح ما يثير الدهشة».

قال: «وكان يثني على ابن عربي الصوفي ثناءً عاطراً».

قلت: أما ما ذكره عن البنوري من شفاء المرض بمحض إرادته؛ فهٰذا لا يمكن أن يقع له ولا لغيره من سائر الخلق؛ لأن شفاء الأمراض بمحض الإرادة من خصائص الرب التي لا يقدر عليها غيره.

كما قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: أنه قال: ﴿وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأَرْضِ أَإلٰهٌ مَعَ اللهِ قَليلاً مَا تَذَكَّرونَ﴾.

ففي هاتين الآيتين النص على أنه لا يكشف السوء - الذي هو الضر - ولا يشفي من الأمراض؛ إلا الله تعالى.

وفيهما أيضاً أبلغ ردٍّ على مَن زعم أن أحداً غير الله يقدر على كشف السوء وشفاء الأمراض بمحض إرادته.

وقد جاءت النصوص عن النبي ﷺ بنحو ما جاء في القرآن.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يرقي بهٰذه الرقية: «أذهب البأس ربَّ الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم.

وعنها رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا عاد مريضاً؛ قال: «أذهب الباس ربَّ الناس، واشف؛ إنك أنت الشافي، ولا شفاء إلا شفاؤك؛ شفاء لا يغادر سقماً».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه.

رواه: الإمام أحمد، والترمذي، وقال: «حديث حسن».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه أيضاً.

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وقال: «هٰذا

حديث حسن صحيح».

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحو ذٰلك أيضاً.

رواه: الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه.

وعن أم جميل بنت المجلل رضي الله عنها عن النبي ﷺ نحوه أيضاً.

رواه: الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه».

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: (فذكر حديثاً طويلاً في قصة الغلام الذي كان يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، وفيه أن الغلام قال للملك وجليسه:) «إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله».

رواه: الإمام أحمد، ومسلم.

وقد دلَّت هٰذه الأحاديث على أن الشفاء بيد الله تعالى؛ فهو الذي يشفي ويكشف البأس بمحض الإرادة دون مَن سواه.

وفيها أبلغ ردٍّ على الدجَّال البنوري وعلى كل من زعم أن أحداً من المخلوقين يقدر على شفاء الأمراض بمحض إرادته.

ولا يستبعد من البنوري أنه كان يستعين بالشياطين في علاج المرض، فيعالجون المريض من حيث لا يعلم المريض بعلاجهم له، ولا يعلم بذٰلك غيره من الناس، فيظنُّون أن الشفاء حصل للمريض بمحض إرادة البنوري، وإنما ذٰلك من أعمال الشياطين، وعلاجهم للمريض؛ ليفتنوا البنوري ويفتنوا المرضى وغيرهم من الجهال ويوقعونهم في الغلو والإشراك بالله.

ومما يدلُّ على أن البنوري كان يستعين بالشياطين في علاج المرضى ما سيأتي عنه أنه كان يستحضر الأرواح، وذٰلك من أعمال الشياطين.

ويدل على ذلك أيضاً أنه كان يعظِّم ابن عربي إمام القائلين بوحدة الوجود، ومَن كان يعظم ابن عربي؛ فلا يُستبعد أن تخدمه الشياطين وتقضي حوائجه لتفتنه بابن عربي وتوقعه في مذهبه الخبيث.

وأما ما ذكره عنه من استحضار الأرواح؛ فهو يحتمل أحد شيئين، كلاهما من أعمال الشياطين:

أحدهما: استحضار الجن وجمعهم عنده إذا احتاج إلى ذلك، ولا يتأتَّى جمعهم واستحضارهم إلا بالتقرُّب إلى أكابرهم وساداتهم بما يحبُّونه من الالتجاء إليهم والعمل بما يأمرون به من الشرك والفسوق والمعاصي.

والثاني: ما يزعمونه من استحضار أرواح الموتى، وهو من أعمال الشياطين التي يعملونها لأوليائهم من الإنس ليضلوهم ويضلُّوا الجهال على أيديهم، فيتمثلون لهم في صور الأموات من أقاربهم وغيرهم ممَّن يطلبون تحضيره، فيظن الجهال أنهم يرون أرواح الموتى، وإنما هم يرون الشياطين الذين يتمثَّلون لهم في صور الموتى.

وقد جاء إبليس إلى كفار قريش يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فلم يشك كفار قريش أنه سراقة بن مالك، وجاء معه جنوده في صور رجال بني مدلج، فلم يشك كفار قريش أنهم بنو مدلج، ولما رأى عدو الله الملائكة تنزل من السماء مدداً لرسول الله ﷺ؛ نكص على عقبيه، وتبرَّأ من قريش، وفرَّ عنهم هو وجنوده، وقصَّتهم مشهورة، وقد ذكرها كثير من المفسِّرين وأصحاب السير.

ومن المستحسن أن أذكر ها هنا قصة ظريفة وقعت لبعض الأذكياء[1] مع الذين يزعمون أنهم يستحضرون أرواح الموتى، وذلك أنه أتى إليهم، فقال

(١) هو من أحفاد الملك عبدالعزيز آل سعود، ولا حاجة إلى ذكر اسمه.

لهم: أريد أن تحضـروا لي أمي التي قد ماتت منذ سنين كثيرة، فأحضروا له شيطانـاً في صورة أمـه وهيئتها، فكلَّمه الشيطان بلسان أمه الذي كان يعرفه، وأخبره بأشياء كان يعرفها من أمه، حتى كأنه كان يخاطب أمه وتخاطبه، فلما رأى ذٰلك؛ أراد أن يمتحنهم بما يظهر به عجزهم، فقال لهم: أريد أن تحضروا لي رجلاً قد مات منذ ألف وثلاث مئة سنة وزيادة سنين أكثر من ثلثي قرن، واسم هٰذا الرجل محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ، وكان هٰذا الذكي يعلم بما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الشيطان لا يستطيع أن يتشبَّه بالنبي ﷺ، فوعدوه بإحضاره، ثم قالوا له: إننا لم نقدر على إحضار هٰذا الرجل، فتبيَّن لهٰذا الذكي أن أفعالهم كلها من المخرقة والتضليل، وجعل يذكر ذٰلك للناس ليحذروا منهم.

وأما ما ذكر عن البنوري من الثناء العاطر على ابن عربي؛ فهو من أوضح الأدلة على زندقته؛ لأن ابن عربي هو إمام القائلين بوحدة الوجود، وأهل هٰذا المذهب من أكفر أهل الأرض، وقد قال المحقِّقون من أكابر العلماء: إن ابن عربي زنديق كافر. وقال بعضهم: إنه أكفر من اليهود والنصارى. وكتبه مملوءة بالكفر، وقد قال الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»: «ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص»، فإن كان لا كفر فيه؛ فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فوا غوثاه بالله» انتهى.

وإذا عُلم هٰذا؛ فليُعْلَم أيضاً أنه لا يمدح ابن عربي ويثني عليه بالثناء العاطر إلا مَن هو متَّبع له على القول بالاتحاد الذي هو من أخبث أنواع الكفر.

ومن هوس البنوري وحماقته ما ذكره عنه محمد أسلم في (ص ٢٩): أنه زعم أنه قرأ على الإمام البخاري «صحيحه» في المنام وأخذ منه الإجازة، كما أنه قرأ على الحافظ بدر الدين العيني كتابه «عمدة القاري»، وعلى الحافظ ابن

حجر العسقلاني كتابه «فتح الباري» وأخذ منه الإجازة.

قال محمد أسلم: «وكل هٰذه عجائب الرؤيا أو المكاشفة أو المراقبة».

قلت: بل هٰذا هذيان الذي فقد العقل، وقد يكون من التحلُّم الذي ورد الوعيد الشديد عليه.

قال محمد أسلم: «ورأى في المنام الرسول ﷺ، فقال له: يأتيك شخص يبقر بطنك ويخرج أمعاءك فينظفها ثم يعيدها إلى محلها ويخيطها، وهٰذا الرجل يكون نورانيّاً، ويكون سكينه أيضاً نورانيّاً».

قلت: وهٰذا أيضاً من جنس ما قبله من الهذيان الذي لا يتكلَّم به إلا مَن هو فاقد العقل.

وذكر عنه محمد أسلم أيضاً في آخر (ص ٢٩) وأول (ص ٣٠) أنواعاً من الهذيان الذي يشمئز من سماعه قلب المؤمن، وقد زعم البنوري أنه رأى ذٰلك في المنام، والظاهر أن ذٰلك كله من التحلُّم وليس من الأحلام.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تر».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري.

وفي رواية لأحمد: «أفرى الفِرى مَن ادَّعى إلى غير أبيه، وأفرى الفرى مَن أرى عينيه في النوم ما لم تريا، ومَن غيَّر تخوم الأرض».

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن من أعظم الفِرى أن يدَّعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينيه في المنام ما لم تريا، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، وهٰذا لفظ أحمد.

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث»: «الفِرَى: جمع فرية، وهي الكذبة، وأفرى: أفعل منه للتفضيل؛ أي: من أكذب الكذبات أن يقول: رأيت في النوم كذا وكذا، ولم يكن رأى شيئاً؛ لأنه كذب على الله؛ فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام» انتهى.

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أعتى الناس على الله عزَّ وجلَّ مَن قتل غير قاتله، أو طلب بدم الجاهلية من أهل الإسلام، أو بَصَّر عينيه في النوم ما لم تبصر».

رواه: الإمام أحمد، والطبراني.

قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن تحلَّم بحلم لم يره؛ كُلِّف أن يعقِدَ بينَ شعيرتين، ولن يفعل».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، وهٰذا لفظه، ولفظ أحمد: «ومَن تحلَّم؛ عُذِّب يوم القيامة حتى يعقد شعيرتين، وليس عاقداً».

وقد رواه: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» بنحوه مختصراً.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه.

رواه الإمام أحمد.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه أيضاً.

رواه: الإمام أحمد، والترمذي، وحسنه.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن كذب في الرؤيا متعمداً؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

رواه: عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند».

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث»: «ومنه الحديث: «مَن تحلَّم؛ كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين»؛ أي: قال: إنه رأى في النوم ما لم يره. يُقال: حَلَم ـ بالفتح ـ: إذا رأى، وتحلَّم: إذا ادَّعى الرؤيا كاذباً. فإن قيل: إن كذب الكاذب في منامه لا يزيد على كذبه في يقظته؛ فَلِمَ زادت عقوبته ووعيده وتكليفه عقد الشعيرتين؟ قيل: قد صحَّ الخبر أن الرؤيا الصادقة جزء من النبوة، والنبوَّة لا تكون إلا وحياً، والكاذب في رؤياه يدَّعي أن الله تعالى أراه ما لم يره، وأعطاه جزءاً من النبوة لم يعطه إياه، والكاذب على الله تعالى أعظم فرية ممَّن كذب على الخلق أو على نفسه» انتهى.

وقال الخطابي: «معنى عقد الشعيرة: أنه يكلَّف ما لا يكون؛ ليطول عذابه في النار، وذٰلك أن عقد ما بين طرفي الشعيرة غير ممكن» انتهى.

ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عن الطبري: أنه قال: «إنَّما اشتدَّ فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ إذ قد تكون شهادة في قتل أو حدّ أو أخذ مال؛ لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشدُّ من الكذب على المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَقولُ الأشْهادُ هٰؤلاءِ الَّذينَ كَذَبوا عَلى رَبِّهِمْ﴾ الآية، وإنما كان الكذب في المنام كذباً على الله؛ لحديث: «الرؤيا جزء من النبوَّة»، وما كان من أجزاء النبوَّة؛ فهو من قبل الله تعالى» انتهى ملخصاً.

وإذا عُلِم هٰذا؛ فليعلم أيضاً أن ما ذكره محمد أسلم عن البنوري من الأحلام التي تقدم ذكر بعضها والإشارة إلى البعض الآخر؛ كل ذٰلك يظهر أنه

من التحلُّم بما لم يره، ولا سيَّما زعمه أنه قرأ «صحيح البخاري» على البخاري في المنـام وأخذ منه الإجازة، وأنه قرأ «عمدة القاري» على العيني وأخذ منه الإجازة، وأنه قرأ «فتح الباري» على الحافظ ابن حجر وأخذ منه الإجازة؛ فهٰذا لا شكَّ أنه من التحلُّم بما لم يره، إذ لا يمكن وقوع ذٰلك له ولا لغيره، بل إن وقوع ذٰلك يعدُّ من الأمور المستحيلة.

ومن كبار مشايخ التبليغيِّين أبو الحسن الندوي، وقد ترجم له محمد أسلم في (ص ٢٢ ـ ٢٦) من كتـابـه المسمى «جمـاعـة التبليغ عقيدتهـا وأفكـار مشـايخهـا»، وذكر أنه من خلفاء ورفقاء وتلامذة الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ.

ثم قال: «الأستاذ أبو الحسن علي الندوي الجشتي الصوفي، وهو من كبار علماء جماعة التبليغ، ومدير دار العلوم لندوة العلماء لكهنو ـ الهند، وعضو لرابطة العالم الإسلامي، وعضو لمجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة».

ثم ذكـر أنـه بايع الشيخ عبـدالقـادر راي فوري، الذي هو من مشايخ السلسلة الجشتية، ثم ذكـر عنه أنه يقول بطريقة المبايعة الجشتية النقشبندية القادرية السهروردية ويعمل عليها[1].

قال: «وقـد بايع على يديه في المسجـد النبـوي بعض طلبـة الجامعة وغيرهم في السنة الراهنة حينما حضر المدينة المنورة في مؤتمر الدعوة، والشاهد بهٰذه البيعة: الطالب بالجامعة حفيظ الرحمٰن الباكستاني / السنة الثالثة / فصل ب / كلية الشريعة».

(١) من محاضرة: «دروس من حياة الأستاذ عبدالباري الندوي»: «مجلة الحق الشهرية»، أكوره ختك، بشاور، باكستان، (ص ٣٤ / ج ١١ / عدد ٦ ـ ٧ / ربيع الثاني ـ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ / إبريل ـ مايو سنة ١٩٧٦م).

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «كل من عرف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حقَّ المعرفة يستحيل أن يتمسَّك بطريقة من طرائق الصوفية، بل يتَّبع كتاب الله وسنة رسوله والصحابة الكرام، وقد نزَّههم عن الطرائق القِدَد، وأمرنا باتباعهم بإحسان بلا زيادة ولا نقصان».

وقال أيضاً: «ولا تشرع البيعة في الإسلام إلا للنبي ﷺ ولخليفة المسلمين» انتهى.

قال محمد أسلم: «ولما حضر المدينة المنورة ـ يعني: الندوي ـ في السنة الماضية للحضور في المجلس التأسيسي للجامعة الإسلامية؛ لقيه الطالب شريف طاهر الكردي العراقي / السنة الرابعة / ب / كلية الشريعة، فقال الطالب للشيخ الندوي: أنا أتعلَّق بأسرة ابن تيمية. فقال الشيخ الندوي: وقد وجد في أسرتك علماء مشاهير أكبر من ابن تيمية أمثال خالد النقشبندي؟! ويلاحظ أنه هو الذي جاء بالطريقة النقشبندية من بلاد الهند وروَّجها في البلاد العربية».

قال محمد تقي الدين الهلالي: «زعم عليٌّ أن خالد النقشبندي الطرقي المبتدع أفضل من شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية لا يصدِّقه فيه أحد من أهل العلم المتقدِّمين والمتأخِّرين، وإنما هو تعصُّب للطريقة البدعية، نعوذ بالله من الضلال.

هٰذا شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ملأ الدنيا علماً وعملاً؛ فماذا صنع خالد النقشبندي؟! لم يصنع شيئاً غير نشر بدعة الطريقة المضلة؛ فهو لا يساوي أقل تلامذة شيخ الإسلام، ومَن يضلل الله؛ فما له من هاد» انتهى.

ومن ترَّهات مشايخ التبليغيِّين وهَوَسِهم ما نقله محمد أسلم من كتاب «سيرة محمد يوسف الدهلوي» لمحمد الثاني الحسني رئيس تحرير «مجلة

رضوان» الشهرية لكناو ـ الهند، وقد قدم الشيخ أبو الحسن الندوي لهٰذا الكتاب، وساهم في تأليفه. ذكر ذٰلك محمد أسلم في (ص ٢٣).

وقد جاء في هٰذا الكتاب: «أن الناس صلَّوا صلاة الجنازة مرات لكثرة الناس وازدحامهم، وحصل التأخير في الدفن، وأثناء ذٰلك رأى شيخ صاحب إدراك أن الشيخ محمد إسماعيل الكاندهلوي والد الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ الميت يقول: ودِّعوني بسرعة، فأنا خجل جدّاً؛ لأن الرسول ﷺ ينتظرني مع أصحابه»[1].

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «دعوى أن محمد إسماعيل تكلَّم بعد موته وزعم أن النبي ﷺ وخلفاءه ينتظرونه هَوَس من أصحاب الطرائق، ومن مزاعم التجانيين أن من قرأ بالإذن الخاص صلاة عندهم تسمى (جوهرة الكمال) ـ وهي (صخرة الخبال)؛ لأن النبي ﷺ وصف فيها بالأسْقَم وبالمصْطَلَم ـ؛ من قرأها بزعمهم سبع مرات؛ يجيء النبي ﷺ والخلفاء الأربعة ويجلسون أمامه ما دام يقرأ تلك الصلاة».

قال الهلالي: «وهٰذه أعرفها، وهي من خبط المتصوفة» انتهى.

وذكر محمد أسلم في (ص ٢٥) عن الشيخ أبي الحسن الندوي: «أنه قال لطلبة الجامعة في مجلسه الخاص في بيت نور ولي بالمدينة المنورة: ليكن اتصالكم بالنبي ﷺ اتصالاً قلبيّاً وعلاقة قلبيَّة».

قال محمد أسلم: «كلام الصوفية».

قلت: هٰذا كلام مردود؛ لأنه ليس له أصل في الشرع، ولم يذكر ذٰلك عن

---

(١) «سيرة محمد يوسف» (ص ٦٣)، «مولانا محمد إلياس ودعوته الدينية» لأبي الحسن الندوي (ص ٣٩).

أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة العلم والهدى من بعدهم، وإنما هو من أقوال أهل البدع الذين يدندنون حول الغلوّ في النبي ﷺ، ويحومون حول التعلُّق به والالتجاء إليه في استجلاب الخير واستدفاع الشر.

وقد تقدَّم ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي عن أكابر أهل التبليغ: أنهم كانوا يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور؛ قال: «ويأتي شيخهم الشيخ زكريا، ويرابط عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات».

وتقدم أيضاً ما ذكره محمد أسلم عن الشيخ محمد يوسف أنه كان يجلس مراقباً عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات.

قال محمد أسلم: «وهٰذه الطريقة معروفة بين جماعة التبليغ، وهم يعملون عليها بالكثرة».

وتقدم أيضاً ما ذكره الشيخ محمد تقي الدين الهلالي؛ قال: «أخبرني الثقات أن عليّاً أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع لا يتكلَّم ساعتين وأكثر، فاستغربت هٰذا الأمر، وفهمت أنه استمداد».

قال: «وهٰذا شرك بالله، واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربه» انتهى.

وقد فسر الندوي معنى قوله للطلبة: «ليكن اتصالكم بالنبي ﷺ اتصالاً قلبيّاً وعلاقة قلبيَّة»: بما كان يفعله في المسجد النبوي من المرابطة والمراقبة عند قبر النبي ﷺ، وهو أنه كان يجلس في المسجد النبوي مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع، لا يتكلَّم ساعتين وأكثر.

وهٰذه المرابطة والمراقبة من الندوي شبيهة بالمرابطة التي ذكرها الأستاذ

سيف الرحمٰن بن أحمد عن شيخ أهل التبليغ زكريا، وشبيهة أيضاً بالمرابطة التي ذكرها محمد أسلم عن الأمير الثاني لجماعة التبليغ، وهو الشيخ محمد يوسف ابن الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ.

وإنما كان هٰؤلاء يرابطون عند قبر النبي ﷺ؛ لأنهم كانوا ينتظرون منه الكشف والكرامات والفيوض الروحية؛ كما ذكر ذٰلك الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد عن أكابر التبليغيِّين الذين كانوا يرابطون على القبور.

وقد تقدَّم قول الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في الكلام على ما ذكره محمد أسلم عن الشيخ محمد يوسف أنه كان يجلس حول قبر أبيه محمد إلياس وقتاً طويلاً في حالة المراقبة، وكان يقول: إن صاحب هٰذا القبر يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به.

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «هٰذا يسمَّى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوُّف استمداداً».

قال: «وهٰذا شرك بالله، واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربه» انتهى.

قلت: ومن الشرك أيضاً خشوع الندوي غاية الخشوع حين مرابطته ومراقبته عند قبر النبي ﷺ، والخشوع نوعٌ من أنواع العبادة؛ فلا يجوز لغير الله.

ومن ترَّهات التبليغيِّين وهَوَسهم ما ذكره محمد أسلم في (ص ٢٥ ـ ٢٦) عن الشيخ أبي الحسن الندوي: أنه كتب في كتابه «سيرة السيد أحمد شهيد» يقول: «وأراد في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها، لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء، فنام، وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل، فرأى أن النبي ﷺ جلس عن يمينه، ورأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس عن شماله، ويقول له ﷺ: يا سيد أحمد! قم بسرعة واغتسل. فلما رآهما سيد

أحمد؛ أسرع إلى حوض المسجد على رغم كون الماء في الحوض من البرد كالثلج، فاغتسل من هٰذا الماء، وفرغ منه، ثم حضر في خدمته ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: يا ولدي! الليلة ليلة القدر، فاشتغل في ذكر الله والدعاء والمناجاة. ثم ذهبا بعد ذٰلك».

قلت: في هٰذه الحكاية الخرافية المبنيَّة على الهوس دليل على حماقة مَن نُسبت إليه من مشايخ التبليغيِّين وعلى حماقة مَن أدخلها في سيرة ذٰلك الشيخ وأقرها متوهماً أنها من كراماته، وهي في الحقيقة هذيان لا يصدر من رجل له أدنى شيء من العقل والدين.

وقد اشتملت هٰذه الحكاية الخرافية على عدة أشياء من الكذب:

الأول: زعم مدَّعيها أن رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق أمسكا يديه وأيقظاه من نومه وجلسا عن يمينه وعن شماله.

ويلزم على هٰذه الفرية أن يكون الله تعالى قد أحيا نبيَّه ﷺ وأحيا أبا بكر الصديق رضي الله عنه مثل حياتهما في الدنيا، وأنه أذن لهما بالذهاب إلى الهند ليمسكا بيدي أحمد شهيد ويوقظاه من نومه ويجلسا عن يمينه وعن شماله.

وهٰذه الفرية شبيهة بالفرية التي تذكر عن بعض مشايخ الصوفية، وهي زعمهم أنهم كانوا يجتمعون بالنبي ﷺ ويرونه في اليقظة، وأنه كان يحضر معهم في الموالد وغيرها من مجتمعاتهم.

ولا شكَّ أن هٰذا من تلاعب الشيطان بالصوفية وأتباعهم من التبليغيِّين، وتمكُّنه من اجتيالهم عن دين الإسلام، وإضلالهم بالخرافات والتوهُّمات التي لا حقيقة لها في الواقع.

ويلزم على هٰذه الفرية أيضاً أن يكون النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي

الله عنه قد انشقَّ عن كل منهما قبره، فخرج منه حيّاً مثل حياته في الدنيا! وهٰذا لا يقوله أحد له أدنى شيء من العقل.

وقد أخبر الله تعالى أن بعثرة القبور وتشقُّقها عن الأموات وخروجهم منها إنما يكون يوم القيامة.

فقال تعالى: ﴿إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ . وإذا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ . وإذا البِحارُ فُجِّرَتْ . وإذا القُبورُ بُعْثِرَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ . وحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ . إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبيرٌ﴾.

قال ابن جرير: «قوله: ﴿وإذا القُبورُ بُعْثِرَتْ﴾: يقول: وإذا القبور أثيرت فاستخرج مَن فيها من الموتى أحياء.

ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في قوله: ﴿بُعْثِرَتْ﴾: «أي: بحثت».

وقال تعالى: ﴿واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِي المُنادِ مِنْ مَكانٍ قَريبٍ . يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بالحَقِّ ذٰلكَ يَوْمُ الخُروجِ . إنَّا نَحْنُ نُحْيي ونُميتُ وإلَيْنا المَصيرُ . يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذٰلك حَشْرٌ عَلَيْنا يَسيرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضوا ويَلْعَبوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذي يُوعَدُونَ . يَوْمَ يَخْرُجونَ مِنَ الأَجْداثِ سِراعاً كأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضونَ . خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلكَ اليَوْمُ الَّذي كَانُوا يُوعَدونَ﴾.

وقالَ تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ . خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجونَ مِنَ الأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ . مُهْطِعينَ إلى الدَّاعِ يَقولُ الكَافِرونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فإذا هُمْ مِنَ الأجْداثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلونَ . قالوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هٰذا ما وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وصَدَقَ المُرْسَلونَ . إنْ كانَتْ إلَّا صَيْحَةً واحِدَةً فإذا هُمْ جميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: «الأجداث: القبور». ذكره ابن جرير عنهما؛ قال: «والنَّسلان: الإسراع في المشي».

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتونَ . ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ تُبْعَثونَ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، وابن ماجه؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه: الإمام أحمد أيضاً، والدارمي؛ من حديث أنس رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث أبي بكر الصديق وابن عباس رضي الله عنهم.

وفي هٰذه الأحاديث مع ما تقدَّم قبلها من الآيات أبلغ ردٍّ على جهلة الصوفيِّين والتبليغيِّين الذين يزعمون أن لهم حظّاً من الاجتماع بالنبي ﷺ ومجالسته يقظة لا مناماً.

وفيها أيضاً أبلغ ردٍّ على الحكاية الخرافية التي ذكرها الندوي عن أحمد شهيد.

الثاني من الكذب في الحكاية الخرافية: زعم مدَّعيها أن رسول الله ﷺ قال له: يا سيد أحمد! قم بسرعة، واغتسل. فلما رآهما سيد أحمد؛ أسرع إلى حوض المسجد، فاغتسل، ثم حضر في خدمة النبي ﷺ.

وهٰذه الفرية مردودة بما هو معروف من هدي النبي ﷺ وسيرته في الخطاب مع أصحابه رضي الله عنهم؛ فإنه لم يذكر عنه ﷺ أنه قال لأحد من أصحابه: يا سيد فلان! وهم بلا شك أحق بصفة السؤدد ممَّن كان بعدهم من أكابر الأمة وأفاضلها، فضلاً عن مشايخ أهل البدع ورؤوسهم.

وقد أنكر ﷺ على الأعراب الذين قالوا له: أنت سيدنا، وقال: «السيد الله».

فإن قيل: إن النبي ﷺ قال في الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هٰذا سيد»، وقال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم»؛ يعني: سعد بن معاذ رضي الله عنه، وقال لبني سَلِمة: «سيدكم عمرو بن الجموح».

فالجواب أن يُقال: إن النبي ﷺ إنما أخبر بشرف هٰؤلاء وعلوِّ مرتبتهم على أبناء جنسهم، ومع هٰذا؛ فإنه لم يذكر عنه ﷺ أنه قال لأحد منهم: يا سيد فلان! والفرق بين الإخبار بالسؤدد وبين المخاطبة به ظاهر ومعلوم عند أهل العلم.

وأما قوله: «ثم حضر في خدمة النبي ﷺ».

فجوابه أن يُقال: وأي خدمة قام بها ذٰلك التبليغي في حق النبي ﷺ؟! فإن كان يرى هو والنَّدوي أن الكذب على النبي ﷺ يُعَدُّ خدمة له؛ فتبّاً لهما ولما رأيا.

وقد تواتر عن النبي ﷺ: أنه قال: «من كذب عليَّ متعمِّداً؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

الثالث من الكذب في الحكاية الخرافية: قوله: إن رسول الله ﷺ قال له: يا ولدي! الليلة ليلة القدر؛ فاشتغل في ذكر الله والدعاء والمناجاة.

وهٰذه الفرية مردودة بما هو معروف من هدي النبي ﷺ وسيرته في

المخاطبة مع أصحابه؛ فإنه لم يُذكر عنه ﷺ أنه قال لأحد من أصحابه: يا ولدي! وإنما كان يدعو الكبار منهم بأسمائهم أو كناهم، ويقول لبعض الصغار: يا بني!

وأما زعمه أن رسول الله ﷺ أخبره بليلة القدر؛ فهو مردود بما ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال في ليلة القدر: «إني قد رأيتها ثم أنسيتها».

رواه: مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه: الإمام أحمد، ومسلم أيضاً؛ من حيث عبدالله بن أنيس رضي الله عنه.

وروى: مسلم، والدارمي؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي، فنسيتها».

وروى البزار عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ فقال: «كنت أعلمتها، ثم انفلتت مني».

وروى: الإمام أحمد، والبخاري، والدارمي؛ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم».

وروى البزار عن أبي ذر رضي الله عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ فقال: «لو أذن لي؛ لأنبأتك بها».

ورواه الحاكم وقال فيه: «إن الله لو شاء لأطلعكم عليها».

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وفي هٰذه الأحاديث أبلغ ردٍّ على مَن زعم أن رسول الله ﷺ أخبره بليلة القدر، وعلى مَن نقل ذٰلك عنه وأقرَّه عليه.

ومن خرافات مشايخ التبليغيِّين ما ذكره محمد أسلم في (ص ٢١ ـ ٢٢)، حيث قال: «وقد حدثت واقعة عجيبة بعد شهادة جد التهانوي، فجاء إلى بيته مثل الأحياء، وأعطى أهل بيته الحلوى، وقال: إذا لم تظهري هٰذا على أحد؛ أحضر كل يوم هٰكذا، ولكن خاف أصحاب البيت أنه لو رأى الآخرون أن الأطفال يأكلون الحلويات؛ فلا يعلم ماذا يثير منهم الشُّبَه، فأظهروا الأمر، فما حضر مرة ثانية، وهٰذه الواقعة أمر مشهور في الأسرة»[1].

قلت: هٰذه الخرافة من عمل الشيطان، ولا تخلو من أحد أمرين:

أحدهما: أن تكون كذباً لفَّقه أهل بيت التهانوي؛ ليوهموا الناس أنه ولي من الأولياء، وأن ما ذكروه في هٰذه الخرافة كرامة من كراماته.

الثاني: أن يكون الشيطان قد تلاعب بأهل بيت التهانوي، فجاء إليهم في صورته، وأعطاهم الحلوى؛ ليفتنهم بالميت، ويفتن غيرهم من الجهال، ويوهمهم أنه وليٌّ من الأولياء، حتى تتعلَّق قلوبهم به، فيغلوا فيه، ويرابطوا عند قبره، وينتظروا منه الكشف والكرامات والفيوض الروحية، وهٰذا هو الأحرى بهٰذه الخرافة.

ومن خرافات مشايخ التبليغيِّين ما ذكره محمد أسلم في (ص ٢٢) عن الشيخ التهانوي أنه قال: «إن قلب الشيخ عبدالرحيم رايفوري كان نورانيّاً جدّاً، فكنت أخاف أن أجلس عنده خشية أن تنكشف عيوبي»[2].

---

(١) «أشرف السوانح» (١ / ١٢).

(٢) «أرواح ثلاثة» (ص ٤٠١).

قلت: ما ذكره التهانوي من الخوف من انكشاف عيوبه عند الرايفوري إذا جلس عنده ظاهر في دعواه أن الرايفوري كان يعلم ما يخفيه عنه من عيوبه، وهـذه دعوى باطلة مردودة بقول الله تعالى: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللهُ﴾.

وإن كان الرايفوري قد أخبر التهانوي أو غيره بشيء مما كانوا يخفونه عنه من أحوالهم وعيوبهم؛ فلا شكَّ أنه كان له قرين من الجن يخبره بما اطَّلع عليه من أحوال الناس وعيوبهم، فإذا أخبرهم الرايفوري بذلك؛ ظنُّوا أن ذلك من المكاشفة، وهو في الحقيقة من الأحوال الشيطانية.

والقصص في إخبار الجن لأوليائهم من الإنس بما اطَّلعوا عليه من أحوال الناس وعيوبهم كثيرة جدّاً ومشهورة.

ومن ترَّهات مشايخ التبليغيِّين وخرافاتهم وهَوَسِهم ما ذكره محمد أسلم في (ص ٢٩ - ٣٠) عن زكريا والد الشيخ محمد يوسف البنوري: «أنه مرض ذات مرة، فرأى النبي ﷺ في المنام يقول له: يا زكريا! حين تمرض أمرض، وحين تصدع أصدع».

قال: «وخطر بباله ذات مرة ماذا يكون في سكرات الموت، لعلَّ الشيطان يزعج كثيراً في ذلك الوقت، فقال له رسول الله ﷺ: كيف للشيطان أن يأتي حيث أكون أنا؟!».

قال: «ورأيت النبي ﷺ في المنام قائلاً لبادشاه خادم الوالد: يا بادشاه خان! الخدمة التي تقوم بها أقوم بها أيضاً».

قال: «وأما رؤيته لله سبحانه وتعالى؛ فتشرف بها مرات كثيرة لا تعدُّ ولا تحصـر، فمرة سعد برؤية الله النورانية، فقال له الله تعالى: يا زكريا! مثلك عندي مثل مولود عمره يومان أو ثلاثة أيام في حضن أمه، ما يعرف المولود ماذا

يفعل مع أمه».

قال: «ورأيت الله متمكِّناً على الكرسي وأطرفه».

قلت: أما ما ذكر في هٰذه القصص من الأحلام؛ فلا شكَّ أنه من التحلُّم وليس من الأحلام، وقد ورد الوعيد الشديد على التحلُّم، وتقدَّم ذكره في الكلام على بعض القصص المذكورة عن محمد يوسف البنوري؛ فليراجع.

وأما ما ذكر فيها من غير الأحلام؛ فهو من الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ، وما أشد الخطر في هٰذا! لما جاء فيه من الوعيد الشديد في الكتاب والسنة، والله تبارك وتعالى منزَّه عن كل ما جاء في تهوُّر زكريا وهوسه، وسبحان الله وتعالى عما يقول الجاهلون بعظمته وجلاله، وكذٰلك الرسول ﷺ منزَّه عن تهوُّر زكريا وهوسه.

وقد قال الله تعالى: **﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ وسَلامٌ عَلى المُرْسَلينَ والحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمينَ﴾**.

وقد ذكرت بعض ما ذكره محمد أسلم عن كبار مشايخ التبليغيِّين من الأباطيل والتهوُّرات والخرافات والسخافات، وتركت كثيراً ممَّا ذكره عنهم، فمَن أحبَّ المزيد من الاطلاع على ما هم عليه من الجهل والانحراف عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان؛ فليقرأ كتاب محمد أسلم الباكستاني المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»، وليقرأ أيضاً كتاب الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»، فمَن قرأهما وكان من ذوي البصيرة؛ علم أن مشايخ التبليغيِّين مفلسون غاية الإفلاس من العقيدة الصحيحة وما كان عليه أهل السنة والجماعة في باب الأصول، وعلم أيضاً أنهم متضلِّعون من البدع والخرافات والجهالات، ومَن كانوا بهٰذه الصفة؛ فإنه ينبغي الابتعاد

عنهم، والتحذير منهم ومن الانضمام إليهم، وتكثير سوادهم، وينبغي للعاقل أن يكون ذا تيقُّظ وحذر من الوقوع في مصايدهم وفخوخهم، وأن لا يكون إمَّعة[1]، فيتأثَّر بتدليسهم وإظهارهم الباطل في صورة الحق.

●●●●●

---

(١) (الإمَّعة)؛ بكسر الهمزة وتشديد الميم: قال أهل اللغة: «هو الذي يكون لضعف رأيه مع كل أحد». وقال ابن الأثير في «النهاية»: «(الإمَّعة): الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه».

فصلٌ

في ذكر الأصول الستَّة التي دعا إليها الشيخ محمد إلياس الحنفي الديوبندي الجشتي، وجعلها مرجعاً لجماعة التبليغ.

وقد ذكرها الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٨ ـ ٩) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»، ثم نقدها في (ص **٣٣ ـ ٤٣**)، فأجاد وأفاد، وسيأتي كلامه في نقدها إن شاء الله تعالى.

وذكرها أيضاً محمد أسلم الباكستاني في (ص ٥) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها».

وذكرها غيرهما من العلماء الذين كتبوا عن التبليغيِّين، وذكروا مناهجهم المبتدعة في دعوتهم، وحذروا منهم ومن بدعهم، وبعضهم يسمي أصول التبليغيِّين: «الصفات الست».

قال الأستاذ سيف الرحمٰن: «إن الشيخ إلياس عمَّد لحركته التبليغية ستة أصول، وذٰلك محاكاة وطبقاً لأصل الفكرة وعين الحركة التركية الأصيلة الأم؛ لأنه كان معجباً بها ومقتنعاً بها كل الاقتناع، هٰذا من جهة. ومن جهة أخرى حَصَّل من شيخه شيخ الطريقة أشرف علي التهانوي شيئاً من مدارسة وإشارة وتخطيط وكيفية وتطبيق، فجعل هٰذه الأصول الستة محوراً لدعوته، ومركزاً لحركته، ومبدأ لنشاطه، ومرجعاً لقائمته؛ أي أنه كان قرَّر أن يجعل دعوته

مقصورة على هٰذه الأصول الستة، وقرَّر قراراً باتّاً أنه لا يدعو إلا إليها أو أمثالها من الإجماعيَّات دون الخلافيات، والأصول الستة كالآتي:

١ ـ الكلمة الطيبة.

٢ ـ الصلوات الخمس.

٣ ـ العلم والذكر.

٤ ـ إكرام المسلم.

٥ ـ إخلاص النية أو تصحيح النية.

٦ ـ تفريغ الوقت، أو التبليغ الجماعي لا الفردي؛ أي: الخروج مع الجماعة لتبليغ هٰذه الأصول الخمسة المذكورة ودعوة الناس إليها، وأن يكون إعطاء الوقت للتبليغ متدرجاً متسلسلاً: ساعات، ثم أيام، ثم أسبوع وأسابيع، ثم أربعينية، ثم أربعينيات، ثم ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، ثم أكثر، ثم أعوام وسنين؛ في خطوات ورحلات إلى حارة وحارات، وإلى بيوت وحوانيت، وإلى مساجد ومراكز ومدارس، وإلى قرى ومضافات، ثم إلى مدن، ثم إلى بلدان، ثم إلى قارات عبر المحيطات.

فهٰذه الأصول الستة المذكورة هي المشهورة والمعروفة بأصول التبليغ والدعوة عندهم، وهي التي أول ما يعرضونها على الناس ويدعونهم إليها» انتهى.

وقد ذكر الشرقاوي في بحثه عن الصفات الست عند جماعة التبليغ أن التبليغيِّين يدعون الناس إليها في كافة خطبهم في جميع أنحاء العالم.

قال: «وهٰذه الصفات كل تبليغي انتظم مع الجماعة؛ لا بدَّ أن يعرفها، ويذكرها، ويتذكَّرها، ويتمرَّن على الخطابة بها، ويدعو الناس إلى العمل بها، ويعرفهم معانيها».

قال: «ومن لا يلتـزم بالخـطابـة بها يعتبر مرفوضاً عند الجماعة» انتهى المقصود من كلامه.

قلت: أما الكلمة الطيبة التي هي الأصل الأول من أصول التبليغيِّين؛ فهي شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى التي مَن استمسك بها؛ فهو مسلم، ومن لم يستمسك بها؛ فليس بمسلم، وإن زعم أنه مسلم.

ولا بدَّ في الاستمساك بهٰذه الكلمة الطيبة من شرطين ذكرهما الله تعالى في قوله: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾**.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي: من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعْبَد من دون الله، ووحَّد الله، فعَبَدَهُ وحده، وشهد أن لا إلٰه إلا هو؛ **﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾**؛ أي: فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم».

وقال ابن كثير أيضاً: «وقوله: **﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصامَ لَها﴾**؛ أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبَّه ذٰلك بالعروة القويَّة التي لا تنفصم، هي في نفسها محكمة مبرَمة قويَّة، وربطها قويٌّ شديد».

ثم ذكر عن مجاهد: أنه قال: «العروة الوثقى: الإيمان»، وعن السدي؛ قال: «هو الإسلام»، وعن سعيد بن جبير والضحاك: «يعني: لا إلٰه إلا الله»، وعن أنس بن مالك: «العروة الوثقى: القرآن»، وعن سالم بن أبي الجعد؛ قال: «هو الحب في الله، والبغض في الله».

قال ابن كثير: «وكل هٰذه الأقوال صحيحة، ولا تنافي بينها» انتهى.

وإذا عُلِم هٰذا؛ فليعلم أيضـاً أن التَّبليغيين قد تمسَّكـوا بمجـرَّد التلفُّظ

بشهادة أن لا إلٰه إلا الله، مع تركهم التصريح بالكفر بالطاغوت، ومنعهم أتباعهم من التصريح بالكفر به، وجعلهم المنع من التصريح بالكفر به أصلاً من أصولهم التي يدعون الناس إليها.

ذكر ذٰلك سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ١١) من كتابه الذي تقدم ذكره.

وذكر في (ص ١٣) أن من أصول التبليغيِّين: «تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وبصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، مع النداء بها بأسلوب تخليطي عجيب، وذكر أيضاً أن من أصولهم التجنُّب بشدة، بل المنع بعنف، من الصراحة بالكفر بالطاغوت، ومن الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح». انتهى.

وقد ذكرتُ هٰذه الجمل في أول الرسالة، وإنما أعدت ذكرها في هٰذا الموضع من أجل الرد على التبليغيِّين الذين جعلوا الكلمة الطيبة (لا إلٰه إلا الله) أصلاً من أصولهم، وهم مع ذٰلك يعملون بما يخالف مقتضى هٰذه الكلمة وما تدلُّ عليه من وجوب الكفر بالطاغوت وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده، ولهم في مخالفتها أساليب متعددة:

ـ منها: إنكارهم الكفر بالطاغوت، ومنعهم من التصريح بالكفر به، وتعطيلهم جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت، وتجنبهم بشدة ومنعهم بعنف من التصريح بالكفر بالطاغوت.

ومن كانوا بهٰذه الصفة؛ فإنه لا حظَّ لهم من الاستمساك بالعروة الوثقى؛ لأنهم قد تركوا أحد الشرطين اللذين لا بدَّ منهما في الاستمساك بها.

وعلى هٰذا؛ فإن تعلُّقهم بالكلمة الطيبة، وجعلهم إياها أصلاً من أصولهم الستة، يكون مجرَّد دعوى لا حاصل لها.

وقد روى: الإمام أحمد بإسناد ثلاثي صحيح، ومسلم؛ من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه ـ واسمه طارق بن أشيم بن مسعود رضي الله عنه ـ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن وَحَّدَ الله، وكفر بما يُعبد من دونه؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عزَّ وجل».

وفي رواية لمسلم؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».

وهذا الحديث الصحيح مطابق في المعنى لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾.

ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ﴾.

قال عمر رضي الله عنه: «الطاغوت: الشيطان»، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

قال ابن كثير: «ومعنى قوله في الطاغوت: أنه الشيطان: قويٌّ جدّاً؛ فإنه يشمل كل شرٍّ كان عليه أهل الجاهلية؛ من: عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها» انتهى.

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «الطاغوت كل ما عُبِد من دون الله».

قال الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى: «وهو صحيح، لكن لا بدَّ فيه من استثناء من لا يرضى بعبادته».

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «الطاغوت: ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم مَن يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتَّبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا

يعلمون أنه طاعة لله؛ فهٰذه طواغيت العالم، إذا تأمَّلتها وتأمَّلت أحوال الناس معها؛ رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعة رسول الله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته» انتهى.

وإذا عُلِم هٰذا؛ فليعلم أيضاً أن السذَّج والهمج من التبليغيِّين كانوا يتَّبعون شيوخهم وأمراءهم على غير بصيرة من الله، ويطيعونهم فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، وهٰذا من الإيمان بالطاغوت.

ويُضاف إلى هٰذا ما تقدَّم ذكره من كون كبرائهم يمنعون أتباعهم من التصريح بالكفر بالطاغوت، ويجعلون المنع من التصريح بالكفر به أصلاً من أصولهم التي يدعون الناس إليها، وما تقدَّم أيضاً أن من أصولهم تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت تعطيلاً باتّاً، وأن من أصولهم التجنُّب بشدة والمنع بعنف من التصريح بالكفر بالطاغوت، ومن التصريح بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح.

ومَن كانوا بهٰذه الصفة؛ فإنهم بعيدون كل البعد عن الاستمساك بالعروة الوثقى، ولا شكَّ أنه ينطبق عليهم الحكم المرتَّب على عدم الكفر بما يُعبد من دون الله، وهو ما تقدَّم ذكره في حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه.

فلينتبه كبراء التبليغيِّين وأتباعهم لمدلول الآيتين المذكورتين قريباً، ولمدلول حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه، وليبادروا إلى الإقلاع عمَّا هم عليه من مخالفة الآيتين والحديث، ويستبدلوا ذٰلك بالتوبة النصوح، والعمل بطاعة الله ورسوله، وليعلموا أن الله يتوب على مَن تاب صادقاً من أي ذنب كان.

ـ ومن أساليب التبليغيِّين في مخالفة الكلمة الطيبة ما تقدَّم ذكره عن

بعض أمـرائهم وشيوخهم الكبـار: أنهم كانوا يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكـرامـات والفيوض الـروحية من أهـل القبـور، وما ذكر عنهـم من استعمال التمائم والتعاويذ الشركية والشعوذة والأحوال الشيطانية في الاستشفاء من الأمراض، وما جاء في الأبيات التي تقدم ذكرها من أنواع الشرك الأكبر.

وقد ذكر القائد ميان محمد أسلم الباكستاني عن الشيخ زكريا ـ الذي هو أعلم الناس عند التبليغيِّين، وكانوا يصفونه بأنه ريحانة الهند وبركة العصر ـ أنه كان يكتب التمائم كل يوم.

وفي كل من هٰذه الأمور الشركية أعظم مناقضة للكلمة الطيبة.

وفي جمـع التبليغيِّين بين جعـل الكلمة الطيبة أصلاً من أصولهم وبين العمل بما يناقضها من الأمور الشركية جمع بين النقيضين، وهٰذا من جهلهم وضلالهم.

ـ ومن أسـاليبهم في مخالفة الكلمة الطيبة: صرفهم معناها الذي جاء تقريره في الكتاب والسنة، وهو نفي الألوهيَّة عمَّا سوى الله تعالى وإثباتها لله وحده، وزعمهم أن معنى لا إلٰه إلا الله هو معنى الربوبية؛ فهم يفسرون معناها بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور.

وهٰذا من ضلالهم وجهلهم بالتوحيد وفساد عقيدتهم فيه، حيث جعلوا توحيد الألوهية هو نفس توحيد الربوبية؛ فهم في هٰذا الباب لا يزيدون على ما كان عليه أهل الجاهلية الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، بل إن أهل الجاهلية قد عرفوا من توحيد الألوهية ما لم يعرفه التبليغيُّون، وذٰلك حينما أتى كفار قريش إلى أبي طالب يشكون إليه رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه يشتم آلهتهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم! إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها؛ تدين لهم بها العـرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية». ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم

كلمة واحدة: نعم وأبيك عشراً. فقالوا: وما هي؟ قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله». فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلٰهاً واحِداً إنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾.

رواه: الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وقال الترمذي: «حديث حسن».

فقد عرف كفار قريش من معنى (لا إله إلا الله) ما لم يعرفه التبليغيُّون، وعرفوا أن هٰذه الكلمة تدلُّ على وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة دون ما سواه؛ فلهٰذا فزعوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلٰهاً واحِداً إنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾.

وكانوا مع هٰذا يقرُّون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور، ولم ينفعهم ذٰلك، ولم يدخلوا به في الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ وسَخَّر الشَّمْسَ والقَمَرَ لَيَقولُنَّ اللهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقولُنَّ اللهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَنْ يُدَبِّرُ الأمْرَ فَسَيقولونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقونَ﴾.

إلى غير ذٰلك من الآيات الدالة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وإنكارهم لتوحيد الألوهية، مع علمهم بمعنى لا إله إلا الله، وأنها تدلُّ على نفي

الإلٰهية عمّا سوى الله تعالى، وعلى وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة.

وإذا كان كفار قريش أعلم بمعنى (لا إلٰه إلا الله) من أكابر التبليغيِّين وشيوخهم؛ فأي خير يرجى من الانضمام إليهم وهم لا يعرفون أصل الإسلام الذي هو معنى (لا إلٰه إلا الله)؟!

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه منهم ومن الانضمام إليه، وليبالغ في تحذير الناس منهم ومن الانضمام إليهم.

ـ ومن أساليبهم في مخالفة الكلمة الطيبة: أنهم في ذكرهم يفصلون بين النفي والإثبات، فيكرِّرون كلمة (لا إلٰه) ست مئة مرة، ثم يكرِّرون كلمة (إلا الله) أربع مئة مرة.

وقد ذكرت في أول الرسالة أن فعلهم هٰذا من الاستهزاء بالله وبذكره، وأنه يتضمَّن الكفر ست مئة مرة؛ لأن فصل النفي عن الإثبات في قول (لا إلٰه إلا الله) بزمن متراخٍ بين أول الكلمة وآخرها على وجه الاختيار يقتضي نفي الألوهيَّة عن الله تعالى ست مئة مرة، وذٰلك صريح الكفر، ثم إن الإتيان بكلمة الإثبات بعد فصلها عن كلمة النفي بزمن متراخٍ لا يفيد شيئاً، وإنما هو من التلاعب بذكر الله والاستهزاء به.

ـ ومن أساليبهم في مخالفة الكلمة الطيبة ما يفعلونه في أورادهم من الاقتصار على قول (إلا الله) أربع مئة مرة، و(الله، الله) ست مئة مرة، وما يسمونه بالأنفاس القدسية عشر دقائق، وتتحقَّق بالتصاق اللسان في سقف الفم، والذكر بإخراج النَّفَس من الأنف على صورة لفظ (الله)، وليس هٰذا من الذكر المشروع، وإنما هو من تلاعب الشيطان بهم.

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ذكر الاسم المفرد لم يشرع بحال، وليس في الأدلَّة الشرعيَّة ما يدلُّ على استحبابه» انتهى، وهو في (ص ٥٥٨) من المجلد العاشر من «مجموع الفتاوى».

ـ ومن أساليبهم في مخالفة الكلمة الطيبة ـ وأشدها نكارة ـ ما ذكر عن بعضهم من الاقتصار في الذكر على كلمة (هو، هو، هو)؛ بدلاً عن قول: (لا إلٰه إلا الله)، وهٰذا مما ورثوه من غلاة الصوفية المنحرفين عن الصراط المستقيم.

وليس الاقتصار على هٰذه الكلمة من الذكر المشروع، وإنما هو من الاستهزاء بالله تعالى وبذكره، ومن تلاعب الشيطان بالصوفية وأتباعهم من التبليغيِّين.

وقد زعم الصوفية أن الاقتصار على هٰذه الكلمة هو ذكر خاصة الخاصة، وهٰذا من جهلهم وضلالهم.

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: «مَن زعم أن هٰذا ـ يعني: قول (لا إلٰه إلا الله) ـ ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر؛ فهم ضالون غالطون».

إلى أن قال: «وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً؛ فليس بكلام تامٍّ، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلَّق به إيمان ولا كفر ولا أمرٌ ولا نهي، ولم يذكر ذٰلك أحد من سلف الأمة، ولا شرع ذٰلك رسول الله ﷺ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً، وإنما يعطيه تصوُّراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره».

قال: «وقد وقع بعض من واظب على هٰذا الذكر في فنون من الإلحاد

وأنواع من الاتحاد».

قال: «والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان؛ فإن من قال: يا هو! يا هو! أو: هو! هو! ونحو ذٰلك؛ لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل، وقد صنَّف صاحب «الفصوص» كتاباً سماه «كتاب الهو»!».

إلى أن قال: «والله تعالى لا يأمر أحداً بذكر الاسم المفرد، ولا شرع للمسلمين اسماً مفرداً مجرداً، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام، ولا يؤمر به في شيء من العبادات، ولا في شيء من المخاطبات.

وكذٰلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى إنما هو بالجملة التامة؛ كقول المؤذن: الله أكبر، الله أكبر. أشهد أن لا إلٰه الله. أشهد أن محمداً رسول الله. وقول المصلي: الله أكبر. سبحان ربي العظيم. سبحان ربي الأعلى. سمع الله لمَن حمده. ربَّنا ولك الحمد. التحيات لله. وقول الملبي: لبيك اللهم لبيك... وأمثال ذٰلك؛ فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلامٌ تامٌّ، لا اسم مفرد؛ لا مظهر ولا مضمر».

إلى أن قال: «والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة، وهو المسمَّى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله ومعرفته ومحبَّته وخشيته وغير ذٰلك من المطالب العالية والمقاصد السامية، وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً؛ فلا أصل له؛ فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصوُّرات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد» انتهى، وهو في (ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧)

و (ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩) و (ص ٢٣١) و (ص ٢٣٣) من المجلد العاشر من «مجموع الفتاوى».

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «إن الشرع لم يستحبَّ من الذكر إلا ما كان كلاماً تامّاً مفيداً؛ مثل: لا إلٰه إلا الله، ومثل: الله أكبر، ومثل: سبحان الله والحمد لله، ومثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، ومثل: ﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾، ﴿تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾، ﴿سَبَّحَ للهِ مَا في السَّماواتِ والأَرْضِ﴾، ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقَانَ﴾...

فأما الاسم المفرد مظهراً؛ مثل: الله الله، أو مضمراً؛ مثل: هو هو؛ فهٰذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتَدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضُلَّال المتأخرين، وربَّما اتَّبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه؛ مثلما يُروى عن الشبلي أنه كان يقول: الله الله. فقيل له: لم لا تقول: لا إلٰه إلا الله؟! فقال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات! وهٰذه من زلَّات الشبلي، وغلبة الحال عليه؛ فإنه كان ربَّما يجن ويُذهب به إلى المارستان ويحلق لحيته، وله أشياء من هٰذا النمط التي لا يجوز الاقتداء به فيها.

وربما غلا بعضهم في ذٰلك حتى يجعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصَّة وذكر الكلمة التامَّة للعامَّة.

وربما قال بعضهم: (لا إلٰه إلا الله) للمؤمنين، و (الله) للعارفين، و (هو) للمحقِّقين.

وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على (الله، الله، الله)، أو على (هو)، أو (يا هو)، أو (لا هو لا هو)!

وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذٰلك، واستدل عليه تارة

بوجد، وتارة برأي، وتارة بنقل مكذوب».

إلى أن قال: «إن ذكر الاسم المجرد ليس مستحبّاً، فضلاً عن أن يكون هو ذكر الخاصة، وأبعد من ذٰلك ذكر الاسم المضمر ـ وهو: (هو) ـ؛ فإن هٰذا بنفسه لا يدلُّ على معيَّن، وإنما هو بحسب ما يفسره من مذكور أو معلوم، فيبقى معناه بحسب قصد المتكلم ونيَّته، ولهٰذا قد يذكر به مَن يعتقد أن الحق الوجود المطلق، وقد يقول: (لا هو إلا هو)، ويسري قلبه في وحدة الوجود ومذهب فرعون والإسماعيلية وزنادقة هٰؤلاء المتصوفة المتأخرين؛ بحيث يكون قوله: (هو)؛ كقوله: (وجوده)، وقد يعني بقوله: (لا هو إلا هو)؛ أي أنه هو الوجود، وأنه ما ثَمَّ خلق أصلاً، وأن الربَّ والعبد والحق والخلق شيء واحد؛ كما بينته من مذهب الاتحادية في غير هٰذا الموضع.

ومن أسباب هٰذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشرعة والمنهاج الذي بعث به الرسول ﷺ؛ فإن البدع هي مبادىء الكفر ومظان الكفر؛ كما أن السنن المشروعة هي مظاهر الإيمان ومقوية للإيمان؛ فإنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. انتهى المقصود من كلامه، وهو في (ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧) و (ص ٥٦٥) من المجلد العاشر من «مجموع الفتاوى».

وبما ذكرته عن التبليغيِّين من أنواع المخالفة للكلمة الطيبة (لا إلٰه إلا الله)؛ يتبيَّن لمَن له أدنى علم ومعرفة أنهم لم يتعلَّقوا من هٰذا الأصل العظيم إلا بمجرَّد التلفُّظ بـ (لا إلٰه إلا الله)، مع جهلهم بمعناها، ومخالفتهم لمقتضاها وما تدلُّ عليه من نفي الألوهيَّة عمَّا سوى الله تعالى وإثباتها لله وحده، وما تدل عليه أيضاً من وجوب الكفر بالطاغوت وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده.

ومَن كانوا بهٰذه المثابة؛ فإنهم بعيدون كل البعد عن التمسُّك بالكلمة الطيبة، وليس ينفعهم التلفُّظ بها، ولا زعمهم أنها أصل من أصولهم الستة؛ مع

ما هم عليه من الجهل بمعناها، والمخالفة لمقتضاها، وإضاعة أعظم حقٍّ من حقوقها ـ وهو الكفر بالطاغوت ـ، ومع ما وقع من بعض أكابرهم من أنواع الشرك الأكبر؛ كما تقدَّم ذكر ذلك عنهم.

وعلى هذا؛ فإنه يجب أن يعاملوا معاملة الذين منعوا الزكاة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقاتلهم الصحابة رضي الله عنهم واستحلُّوا دماءهم وأموالهم من أجل منعهم للزكاة التي هي حقٌّ من حقوق الإسلام.

وقد احتجَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على وجوب قتالهم بقول النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأهل «السنن»؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وروى: الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه؛ نحوه من حديث جابر رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وروى مسلم نحو ذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وروى النسائي عن أنس بن مالك والنعمان بن بشير وأوس بن أوس الثقفي رضي الله عنهم عن النبي ﷺ نحوه.

وروي أيضاً نحوه من وجوه كثيرة بأسانيد بعضها جيد وبعضها فيه مقال.

وقد قال السيوطي في «الجامع الصغير»: إنه: «متواتر».

قال المناوي: «لأنه رواه خمسة عشر صحابياً».

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعي الزكاة، ووافقوا أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه على ما احتجَّ به من قول النبي ﷺ: «إلا بحقِّها»، وقال: «إن الزكاة حقُّ المـال، والله؛ لو منعوني عناقاً كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ؛ لقاتلتهم على منعها». قال عمر رضي الله عنه: «فوالله؛ ما هو إلا أن رأيت أن الله عزَّ وجلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال؛ فعرفتُ أنه الحق».

وفي رواية: أن عمر رضي الله عنه قال: «فقاتلنا معه، فرأينا ذٰلك رشداً».

وإذا علم أن الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا الذين منعوا الزكاة واستحلُّوا دماءهم وأموالهم من أجل منعهم للزكاة التي هي حقٌّ من حقوق (لا إلٰه إلا الله)؛ فليعلم أيضاً أن التبليغيِّين قد عطَّلوا حقَّين من أعظم حقوق (لا إلٰه إلا الله)، وهما: الكفر بالطاغوت، وإخلاص العبادة لله وحده.

فأما الكفر بالطاغوت؛ فقد تقدَّم أن من أصولهم ترك الصراحة بالكفر به، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر به تعطيلاً باتّاً، والتجنُّب بشدة والمنع بعنف من التصريح بالكفر به.

ولا يخفى ما في هٰذه الأفعـال السيئة من تحطيم هٰذا الأصل العظيم، الذي هو أحد الشرطين للاستمساك بالعروة الوثقى.

وأما إخلاص العبادة لله وحده؛ فقد تقدَّم ما ذكرته عن بعض كبرائهم من أنواع الشرك المنافي لتوحيد الألوهيَّة وإخلاص العبادة لله وحده.

ومَن كانـوا بهٰـذه الصفـة السيئـة؛ فهم أولى أن يسـار فيهم بمثل سيرة الصحابة رضي الله عنهم مع مانعي الزكاة.

والله المسؤول أن يوفِّقهم للتوبة النصوح مما هم عليه من المخالفات وأنـواع الشرك والبدع والمنكرات، وأن يهيىء للمعاندين منهم من يسير فيهم بسيرة الصحابة مع مانعي الزكاة؛ إنه وليُّ ذٰلك والقادر عليه.

فصلٌ

وقد نقد الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي أصول التبليغيِّين في الباب الثاني من كتابه الذي تقدَّم ذكره، فقال ما نصه: «الباب الثاني: بعض التعليقـات على الأصـول الستـة المعروفة بـ (إعداد التبليغ لجماعة التبليغ) بأسلوب النقد الحارّ».

ثم قال: «إن تفسير الأصول الستة للتَّبليغ التي وضعها مؤسس الحركة مُبْعِدٌ في الخرافات أقصى إبعاد، وآخذ طابع أكابريها ومؤسسيها ومعتقداتهم كل الأخذ، وإليكم البيان:

● الأصل الأول:

ففي الكلمـة الطيبة يؤمنون بتوحيد الربوبية، بل بشيء منه وبشيء من توحيد الألـوهية، بل ويوجبـون كثيراً من التخضُّعـات لغير الله باسم الأدب والتعظيم، ويعتقدون بالتصرُّفات الكونية لغير الله باسم الفيوض الروحية وباسم الكرامات.

وأما توحيد الأسماء والصفات؛ فهم أشاعرة أو ماتريدية أو أخس وأنجس، ولربما لحقوا بابن عربي وأمثاله في مسائله ومعتقداته.

ويقولون في كلمة التوحيد ما معناه: إن الأصنام ـ ولا سيما في عصرنا هٰذا ـ تبلغ إلى خمسة فقط:

الصنم الأول: التكسُّب والتسبُّب والترزُّق ولو عن طريق الحلال.

فهٰذه الوظيفة والتجارة والدكاكين أصنام؛ لأنها تلهي الإنسان عن واجباته الدينية، وعن واجبه نحو ربه؛ إلا إذا خرج في سبيل الله؛ أي: للتبليغ في الشهر ثلاثة أيام، وفي السنة أربعين يوماً، وفي العمر أربعة أشهر؛ أي: إذاً: لا صنم ولا إشراك!

وهٰكذا جعلوا المباحات أصناماً وإشراكاً بالله شركاً أكبر.

قلت: لا يخفى على مَن له أدنى علم ومعرفة ما في هٰذه الأقوال المذكورة عن التبليغيِّين من المجازفة ومجاوزة الحد في ذم التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال، ولم يكتفوا بذم ما أباحه الله لعباده من السعي في طلب الرزق الحـلال، حتى جعلوا ذٰلك من قبيل الأصنام والشرك بالله، وهٰذا صريح في مخالفة القرآن والسنة وما كان عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وما كان عليه المسلمون كافة؛ سوى مَن لا عقول لهم من التبليغيِّين، الذين يهرفون بما لا يعرفون، ولا يبالون بالمجازفات ومجاوزة الحد في ذم المكاسب المباحة.

وقد قال الله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾**.

وفي هٰذه الآية الكريمة أبلغ ردٍّ على ما ابتدعه التبليغيُّون من ذمِّ التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال.

والآيات والأحاديث في إباحة التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال كثيرة جدّاً، وفيها أبلغ ردٍّ على التبليغيِّين.

فمن الآيات قول الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلولاً فَامْشُوا في مَناكِبِها وكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾**.

قال ابن كثير في الكلام على قوله تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَناكِبِها**﴾: «أي: فسافروا حيث شئتُم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها وأرجائها؛ في أنواع المكاسب، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسِّره الله لكم، ولهٰذا قال تعالى: ﴿**وكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾؛ فالسعي في السبب لا ينافي التوكُّل».

ثم ذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزُقُ الطَّير؛ تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً».

قال ابن كثير: «فأثبت لها رواحاً وغُدُوّاً لطلب الرزق مع توكُّلها على الله عزَّ وجلَّ» انتهى.

وقال تعالى: ﴿**فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِروا فِي الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: فإذا قُضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة؛ فانتشروا في الأرض إن شئتُم ذٰلك؛ رخصة من الله لكم في ذٰلك».

ثم روى عن مجاهد: أنه قال: «هي رخصة»، وعن الضحاك أنه قال: «هٰذا إذن من الله، فمَن شاء؛ خرج، ومن شاء؛ جلس»، وعن ابن زيد أنه قال: «أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة، فقال: ﴿**فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِروا في الأَرْضِ وابْتَغوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾؛ فقد أحللتُه لكم».

وقال البغوي: «أي: إذا فرغ من الصلاة؛ فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرُّف في حوائجكم، ﴿**وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾؛ يعني: الرزق. وهٰذا أمر إباحة» انتهى.

وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**﴾؛ «أي: في

مواسم الحج».

قالـه ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عنه: عبدالرزاق، وسعيد بن منصور، والبخاري، وابن جرير، وغيرهم.

وعن ابن الزبير رضي الله عنهما مثله، رواه ابن جرير.

قال ابن كثير: «وهٰكذا فسَّرها مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومنصور بن المعتمر وقتادة وإبراهيم النخعي والربيع بن أنس وغيرهم».

وروى ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سُئل عن الرجل يحجُّ ومعه تجارة؟ فقرأ ابن عمر رضي الله عنهما: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾**.

وروى أيضاً عن مجاهد؛ قال: «كان ناس يحجُّون ولا يتَّجرون، حتى نزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾**، فرخَّص لهم في المتجر والركوب والزاد».

وروى أيضاً عن أبي صالح مولى عمر؛ قال: قلت لعمر: يا أمير المؤمنين! كنتُم تتَّجرون في الحج؟ قال: «وهل كانت معايشهم إلا في الحج؟!».

والآثار عن السلف بنحو هٰذا كثيرة، وقد ذكر ابن جرير كثيراً منها في «تفسيره».

وإذا كان السعي في طلب الرزق جائزاً في مواسم الحج؛ فطلبه في غير المواسم جائز بطريق الأولى، وفي هٰذا أبلغ ردٍّ على التبليغيِّين.

وقال تعالى: **﴿وآخَرونَ يَضْرِبونَ في الأَرْضِ يَبْتَغونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾**.

قال ابن جرير: «**﴿وآخَرونَ يَضْرِبونَ في الأَرْضِ﴾** في سفر **﴿يَبْتَغونَ مِنْ**

فَضْلِ اللهِ﴾ في تجارة، قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم وأضعفهم عن قيام الليل».

وقال البغوي: «يعني: المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله».

وقال ابن كثير: «أي: علم أن سيكون من هٰذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل؛ من: مرضى، ومسافرين في الأرض، يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر.

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَأْكُلوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ﴾**.

قال ابن كثير في الكلام على هٰذه الآية: «يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرَّمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراضٍ من البائع والمشتري؛ فافعلوها وتسبَّبوا بها في تحصيل الأموال» انتهى.

وقال ابن جرير: «في هٰذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره عن تكذيب قول الجهلة من المتصوِّفة المنكرين طلب الأقوات بالتجارات والصناعات، والله تعالى يقول: **﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ﴾**؛ اكتساباً أحلَّ ذٰلك لها».

ثم روى بإسناده عن قتادة قوله: «**﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لَا تَأْكُلوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ﴾**؛ قال: «التجارة: رزق من رزق الله، وحلال من حلال الله، لمن طلبها بصدقها وبرها، وقد كنا نتحدَّث أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة».

وقد رواه البيهقي في «السنن الكبرى» مختصراً؛ ليس فيه قوله: «وقد كنا نتحدث...» إلى آخره» انتهى.

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ**﴾.

قال ابن كثير: «أي: يتردَّد فيها وإليها؛ طلباً للتكسُّب والتجارة».

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ**﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عن جميع مَن بعثه من الرسل المتقدِّمين أنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذِّي به، ويمشون في الأسواق للتكسُّب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم» انتهى.

وقد جاء في إباحة التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال آيات كثيرة سوى ما ذكرته ها هنا، وقد تركتُ ذكرها خشية الإطالة، وفيما ذكرته من الآيات كفاية إن شاء الله تعالى في الرد على التبليغيِّين الذين يذمُّون التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال، ويجعلون ذلك من قبيل الأصنام والشرك بالله.

وأما الأحاديث الدالَّة على إباحة التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال والترغيب في التجارة؛ فهي كثيرة:

منها حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أجملوا في طلب الدنيا؛ فإن كلًّا ميسَّر لما كُتِب له منها».

رواه: ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وقال النووي في «شرح المهذب»: «إسناد البيهقي صحيح».

ومنها ما رواه: ابن حبان، والحاكم، والبيهقي؛ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تستبطئوا الرزق؛ فإنه لن يموت العبد حتى يبلغه آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام».

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وقد رواه: ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي أيضاً؛ بنحوه، وقال الذهبي: «على شرط مسلم».

قال ابن منظور في «لسان العرب»: «أجمل في طلب الشيء: اتَّأد واعتدل فلم يفرط».

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحو حديث جابر.

رواه أبو يعلى، قال المنذري: «وإسناده حسن إن شاء الله».

ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستبطئن أحدكم رزقه؛ إن جبريل ألقى في رُوعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه؛ فاتَّقوا اللهَ أيها الناس وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه؛ فلا يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله لا ينال فضله بمعصيته».

رواه الحاكم، وروى البزار نحوه من حديث حذيفة رضي الله عنه.

قال الجوهري في «الصحاح»: «الرُّوع: بالضم: القلب والعقل، يُقال: وقع ذٰلك في رُوعي؛ أي: في خَلَدي وبالي».

وكذا قال ابن منظور في «لسان العرب»؛ قال: «وقال أبو عبيدة: معناه:

في نفسي وخَلَدي ونحو ذٰلك».

ومن الترغيب في التجارة ما رواه الترمذي وحسَّنه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء».

وروى ابن ماجه والبيهقي نحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مختصراً.

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن رجلاً مرَّ على النبي ﷺ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جَلَده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله! لو كان هٰذا في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً؛ فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين؛ فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليعفَّها؛ فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أهله؛ فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة؛ فهو في سبيل الشيطان».

رواه الطبراني.

قال المنذري: «ورجاله رجال الصحيح».

وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال «الكبير» رجال الصحيح».

قلت: وكذا رجال «الأوسط» و«الصغير»؛ لأن الطبراني قد رواه في الثلاثة بإسناد واحد.

وقد روى البيهقي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «طلب الحلال واجب على كل مسلم».

رواه الطبراني في «الأوسط».

قال المنذري: «وإسناده حسن إن شاء الله».

وعن أبي سَعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل كسب مالاً من حلال، فأطعم نفسه، أو كساها، فمن دونه من خلق الله؛ فإن له بها زكاة».

رواه ابن حبان في «صحيحه».

والأحاديث في إباحة التكسُّب كثيرة، وفيما ذكرته كفاية في الرد على التبليغيِّين الذين يذمُّون التكسُّب والسعي في طلب الرزق الحلال، ويجعلون ذٰلك من قبيل الأصنام والشرك بالله تعالى.

وقد حكى إجماع المسلمين على جواز البيع غير واحد من العلماء.

قال الشيخ الموفق في «المغني» والشيخ عبدالرحمٰن بن أبي عمر في «الشرح الكبير»: «أجمع المسلمون على جواز البيع في الجملة، والحكمة تقتضيه».

وقال النووي في «شرح المهذب»: «جواز البيع ممَّا تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة».

وقال الحصني في «كفاية الأخيار»: «الأصل في مشروعية البيع: الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة».

وقد حكى إجماع المسلمين على جواز البيع كثير من العلماء سوى من ذكرتهم ها هنا، وقد تركت ذكر أقوالهم طلباً للاختصار.

وفيما ذكروه من الإجماع على جواز البيع أبلغ ردٍّ على التبليغيِّين الذين شذُّوا عن المسلمين، وخـالفـوا إجماعهم على جواز البيع والسعي في طلب الرزق الحلال، وجعلوا ذٰلك من قبيل الأصنام والشرك بالله تعالى.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يجملون في طلب الرزق، ويتعاطون البيع والشراء في الأسواق، ويسافرون إلى الأقطار البعيدة في طلب الرزق، وهم خير الناس بعد الأنبياء.

وقد روى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن أم سلمة رضي الله عنها؛ قالت: «لقد خرج أبو بكر على عهد رسول الله ﷺ تاجراً إلى بصرى، لم يمنع أبـا بكر من الضنِّ برسول الله ﷺ شحه على نصيبه من الشخوص للتجارة، وذلك كان لإعجابهم كسب التجارة وحبهم للتجارة، ولم يمنع رسول الله ﷺ أبا بكر من الشخوص في تجارته لحبِّه صحبته وضنه بأبي بكر؛ فقد كان بصحبته معجباً؛ لاستحسان رسول الله ﷺ للتجارة وإعجابه بها».

قال الهيثمي: «رجال «الكبير» ثقات».

وإذا كان هٰذا عمل أبي بكر الصديق الذي هو أفضل هٰذه الأمة بعد النبي ﷺ، وقـد أقـرَّه رسول الله ﷺ على السفر للتجارة، وكان مع ذٰلك مستحسناً للتجـارة، ومعجبـاً بهـا؛ فهل يقول مسلم عاقل: إن سفر أبي بكر وغيره من الصحابة في طلب الرزق وكسب التجارة غير جائز، وإنه من قبيل الشرك واتِّخاذ الأصنام؟! كلا؛ لا يقول ذٰلك مَن له أدنى شيء من العقل والإيمان، وإنَّما يقوله الذين مُسِخت عقولهم من التبليغيِّين وغيرهم من أهل البدع والضلالة، فصاروا يهذون بالأباطيل، ولا يشعرون بما في هذيانهم من المحادَّة لله ولرسوله واتِّباع غير سبيل المؤمنين.

وإذا عُلِم ما تقدَّم ذكره عن التبليغيِّين من مجاوزة الحد في ذمِّ التكسُّب

والسعي في طلب الرزق الحلال وجعلهم ذٰلك من قبيل الأصنام والشرك بالله تعالى؛ فليعلم أيضاً أن أكابر التبليغيِّين قد استبدلوا عن السعي في طلب الرزق الحلال بالسعي في تحصيل المال الحرام والمكاسب الخبيثة، وذٰلك بما يُجمع لهم من النذور الشركية التي تُنْذَر للموتى من أكابرهم، وهم محمد إلياس وابنه يوسف وأسرتهم الذين كانت قبورهم في ناحية من مسجدهم في محلة نظام الدين الذي هو مَقَرُّ جماعة التبليغ بدهلي.

وقد ذكر المطَّلعون على خفايا أعمال التبليغيِّين أنهم قد جعلوا جابياً يجمع لهم النذور التي تُنْذَر لهٰؤلاء الأموات.

وقد جاء في (ص ٢) من الرسائل المسمَّاة «حقائق عن جماعة التبليغ» ما نصه: «ورأس الطريقة الأول وابنه الميت بعده وجميع أسرة الشيخ صاحب الطريقة قبورهم في المسجد، ويُزارون، ويُنْذر لهم، والسادن الذي عند قبر الشيخ وأسرته هو الذي يجمع النذور ويسلمها لإنعام الحسن خليفة الخليفة في الطريقة المشار إليها، وإنعام الحسن الذي فوقه محمد زكريا لهما جباة في الهند خاصة، يجمعون النذور التي تُنْذَر باسم هٰذه الطريقة على مشايخها الميتين ويجلبونها لهم» انتهى.

وجاء في (ص ١٠) من الرسائل المشار إليها ما نصه: «وعلاوة على كل ذٰلك، شيوخهم الأموات قبورهم في المسجد؛ يزورونهم، وينذرون لهم، والنذر للميت شرك وكفر وخروج عن شريعة محمد بن عبدالله رسول رب العالمين، وذٰلك باتفاق جميع أهل الكتاب والسنة من جميع المذاهب، وإنعام الحسن الخليفة وخليفته محمد زكريا لهم جباة لجمع النذور المذكورة، ويأكلونها، وهي سحت وحرام، واللحم الذي نبت من الحرام؛ فالنار أولى به» انتهى.

وجـــاء في (ص ٢٢) ما نصـــه: «والكثير منهم ـ أي: من التبليغيِّين ـ يعـظِّمـون قبور الأولياء، والبناء عليها، والطواف والنذر لها، ولا ينكرون هٰذه الأشياء المنكرة» انتهى.

وجاء في (ص ٢٦) ما نصه: «وإن قبور رؤسائهم في المسجد ـ أعني: قبر إلياس وقبر ابنه يوسف داخل المسجد ـ، وهٰؤلاء الجماعة ـ أعني: جماعة التبليغ ـ ينـذرون لهٰؤلاء المقبـورين في المسجـد، ويستنصرون بهم في كل المهمات، وعندما ينكر عليهم؛ يقولون في جوابهم: لسنا وهابيين» انتهى.

وجاء في (ص ١٣) «أنهم لا يمتنعون عن الكسب الحرام، ولا الرشوة، ولا الربا، ولا المعاملات البنوكية، ولا التجارة المنحرفة، وأن المتوكِّلين عندهم التاركين للأسباب يأخذون الأموال من الأثرياء» انتهى.

وفي هٰذه الحقائق المذكورة عن التبليغيِّين أبلغ ردٍّ عليهم، وفيها أيضاً بيانٌ لما هم عليه من قلب الحقائق والتلبيس على الجهال وتضليلهم بإظهار الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق، وذٰلك أنهم قد تجاوزوا الحدَّ في ذم المكاسب المباحة، وجعلوا ذٰلك من قبيل الأصنام والشرك بالله، وهم مع هٰذا يأخذون النذور الشركية التي تُنذر للموتى، ويستحلُّونها، ويجعلون لهم جباة يجمعونها لهم؛ فأفعالهم هٰذه هي التي في الحقيقة من قبيل الأصنام والشرك بالله، ولكنهم قوم يجهلون، ولو كانت لهم عقول سليمة؛ لعرفوا أن النذر للموتى من الشـرك الأكبـر، وأن أكـل هٰذه النـذور من أكـل السحت ومن أكل المال بالباطل.

● ● ● ● ●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن:

«**الصنم الثاني: القرابات والصداقات والولاءات** بجميع أنواعها أصنام؛ لأنها هي الثانية أيضاً تلهي الإنسان عن واجبه؛ إلا إذا خرج معهم في التبليغ مثلاً.

وهنا أيضاً جعلوا المباحات أصناماً وإشراكاً بالله شركاً أكبر! (الله أكبر على هٰذا الغلو المغرض)».

قلت: لا يخفى على مَن له علم وبصيرة ما في هٰذا القول الباطل من مجاوزة الحد في ذم التواصل بين الأقرباء والأصدقاء ومَن كانت بينهم وبين غيرهم من الناس موالاة، وهٰذا صريح في مخالفة القرآن والسنة وما كان عليه المسلمون؛ سوى العصاة منهم، وسوى مَن لا عقول لهم من التبليغيِّين الذين قد غلب عليهم الجهل بالأحكام والآداب الشرعية.

وقد أمر الله تبارك وتعالى ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الناس في آيات كثيرة، وأمر بذٰلك رسول الله ﷺ، وحثَّ عليه في أحاديث كثيرة، وحرم الله تبارك وتعالى الإساءة إلى الوالدين، وحرَّم أيضاً قطيعة الرحم في آيات كثيرة من القرآن، وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بالتحذير من العقوق وقطيعة الرحم والتشديد في ذٰلك.

ولا يخفى ما في جعل القرابات والصداقات والولاءات بجميع أنواعها أصناماً من التحريض على عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام والإساءة إلى الأصدقاء ومَن كانت بينهم وبين غيرهم من الناس موالاة، وهٰذا صريح في محادَّة الله ورسوله واتِّباع غير سبيل المؤمنين.

وقد بلغ الجهل بالتبليغيِّين إلى استدراج السذَّج من الأبناء إلى معصية آبائهم وأمهاتهم والخروج معهم ـ أي: مع التبليغيِّين ـ في سياحاتهم المبتدعة.

وليس عند التبليغيِّين ولا عند الذين يخرجون معهم بغير رضى آبائهم وأمهاتهم مبالاة بما يترتَّب على ذٰلك من سخط الله تعالى والتعرُّض لأليم عقابه؛ كما قد جاء ذٰلك في الحديث الذي رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً: «رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

ورواه الحاكم بهٰذا اللفظ مرفوعاً، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «رضى الله في رضى الوالد، وسخط الله في سخط الوالد».

وروى البزار نحوه من حديث سالم عن أبيه عن النبي ﷺ.

وقد يبلغ الجهل ببعض الأبناء إلى تفضيل الخروج مع التبليغيِّين على خدمة أبويه أو أحدهما مع احتياجهما إلى الخدمة والنظر في مصالحهما، وهٰذا خطأ كبير؛ لأن سخط والديه حينئذ يكون أعظم ممَّا إذا لم يكونا محتاجين إلى الخدمة والنظر في مصالحهما، وحينئذ يكون سخط الله عليه أعظم.

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من التعرُّض لسخط الله وسخط والديه،

ولا يظن أن ذٰلك من الأمور الهينة، وليعلم أن خدمة والديه والنظر في مصالحهما والإحسان في صحبتهما أهم في حقه من الهجرة والجهاد؛ كما قد جاء ذٰلك في الحديث الذي رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي؛ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك؟». قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

قال: «وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما».

وفي رواية لمسلم؛ قال: أقبل رجلٌ إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل من والديك أحدٌ حيٌّ؟». قال: نعم؛ بل كلاهما. قال: «فتبتغي الأجر من الله؟». قال: نعم. قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما».

وروى: الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي؛ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه؛ قال: جئت لأبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان. قال: «فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما».

قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وبعض السذَّج المخدوعين بشبهات التبليغيِّين وتلبيسهم يخرجون مع التبليغيِّين في سياحاتهم، ويتركون أهليهم وأولادهم الصغار الذين يحتاجون إلى التكسُّب لهم والنظر في مصالحهم، وربما غابوا المدة الطويلة مع التبليغيِّين وتركوا أهلهم وأولادهم ضائعين ليس عندهم من يتكسَّب لهم وينظر في مصالحهم، وهٰذا خطأ كبير وإثم مبين.

وقد روى: الإمام أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي؛ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع مَن يقوت».

قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وفي رواية لأحمد والحاكم والبيهقي عن وهب بن جابر الخَيْواني؛ قال: شهدتُ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وأتاه مولى له، فقال: إني أريد أن أقيم هٰذا الشهر ها هنا ـ يعني: رمضان ـ. فقال له عبدالله: هل تركت لأهلك ما يقوتهم؟ فقال: لا. فقال: أمَّا لا؛ فارجع فدع لهم ما يقوتهم؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع مَن يقوت».

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وقد رواه: مسلم، وابن حبان، والبيهقي؛ من حديث خيثمة بن عبدالرحمٰن؛ قال: «كنا جلوساً مع عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما (فذكر نحو ما تقدَّم في رواية وهب بن جابر)».

●●●●●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن:

«**الصنم الثالث: النفس الأمارة بالسوء**: لأنها تصدُّه عن الخير وعن سبيل الله، وتأمره مثلاً بعدم الخروج مع الجماعة للتبليغ».

قلت: ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن في هٰذه الجملة عن التبليغيِّين فهو من التلبيس وقلب الحقيقة؛ لأن التبليغيِّين أهل بدع وجهل وضلال، وكبارهم مفتونون بالقبور والمراقبة عندها والتماس الفيوض الروحية عندها، ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فإنه لا يتابعهم، ويخرج معهم في سياحاتهم المبتدعة، ويشاركهم في مجتمعاتهم، ويتلقَّى عنهم ما يلقونه في بياناتهم من الخرافات التي يزعمون أنها كرامات، وما يذكرونه أيضاً من المنامات التي هي في الغالب من تضليل الشيطان لهم؛ إلا من هو من أجهل الناس وأبعدهم عن الخير وعن سبيل الله.

فهٰؤلاء هم الجديرون بأن تكون نفوسهم من النفوس الأمَّارة بالسوء، وأما الذين يخالفون التبليغيِّين وينْأَوْن عنهم ويحذِّرون الناس من الوقوع في فخوخهم؛ فإنه يُرجى أن تكون نفوسهم من النفوس الطيِّبة التي تدعو إلى الخير وتنهى عن الشر وأهله.

● ● ● ● ●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن:

«**الصنم الرابع**: **الهوى**: لأنه سبب الردى، ودائماً يعاكس الخير، ويميل إلى الراحة، فمثلاً يمانع الخروج مع الجماعة للتبليغ».

قلت: إن اتباع الهوى هو الذي قد وقع فيه التبليغيُّون وأتباعهم من الجهال؛ فالتبليغيُّون معدودون من أهل البدع والأهواء؛ لأنهم قد تشبَّثوا بأربع طرق من طرق الصوفية، وهي: الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية، وأميرهم إنعام الحسن يُبايع التابعين له على هٰذه الطرق الأربعة، ويُضاف إلى هٰذا ما تقدَّم ذكره عنهم من البدع الكثيرة، وفساد العقيدة، والافتتان بالقبور، وغير ذٰلك من منكرات الأقوال والأفعال، التي هي من نتائج اتباعهم للهوى وافتتانهم بصنمه.

● ● ● ● ●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن:

«**الصنم الخامس: هو الشيطان**: وهٰذا الأخير أكبر المانعين عن الخير، ومثلاً عن الخروج مع الجماعة للتبليغ.

فالخروج مع الجماعة للتبليغ تحطيم لهٰذه الأصنام؛ بحكم التعلم والتعليم، وبحكم إعطاء الوقت للواجب نحو الدين والمسلمين، ولا يجزىء شيء في صدد هٰذا الواجب غير الخروج معنا وعلى أصولنا؛ لأن الأمة والخلق في تعطُّش دائم، ولا رواء لهم بغير ما عندنا».

قال الأستاذ سيف الرحمٰن: «ولمَّا يسمع المغفل هٰذا البيان وهٰذا التفسير للتوحيد؛ يظنُّه نادرة من نوادر التوحيد، وجوهرة من جواهر العلم، ولا يدري أنه شُذوذ مُغْرِض وخروج على الإجماع ومخالفة للنصوص وتشبُّه صريح بالخوارج حرفيّاً.

ولو قالوا في تفسير كلمة التوحيد: إن كل ما عُبد من دون الله؛ فهو صنم يجب كسره، وكل مَن دعا إلى عبادة نفسه أو غيره سوى الله أو عُبد وهو راضٍ؛ فهو طاغوت تجب محاربته؛ فلو قالوا ذٰلك؛ لكان قولاً سليماً موافقاً لنصوص الكتاب والسنة ومذهب أهل السنة.

ويقول قائلهم: إن توحيد الربوبية فقط هو المطلوب منا، وهو كل شيء

في باب التوحيد؛ بدليل قوله تعالى: ﴿**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ**﴾ مستَفْتَح الفاتحة، وبدليل الصيغة في سؤال الملكين ـ منكر ونكير ـ: مَن ربُّك؟ حيث لم يأت السؤال بصيغة: مَن إلٰهك. فدلَّ ذٰلك على أن توحيد الألوهيَّة ليس مطلوباً منا لِزاماً.

ويقول قائلهم: إن هٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد: الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات؛ من مصطلحاتكم أنتم، وليست من مصطلحات الكتاب والسنة».

قال الأستاذ سيف الرحمٰن: «ومن الغريب أن هٰذا قول عالم من علماء التبليغيِّين، وهٰذا علمه وتعليمه، ومبلغ علمه وتعليمه، فما بال أتباعهم وعامتهم وجهالهم؟! إذن حدِّث ولا حرج.

مع أن الله جلَّ وعلا يقول: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدونِ**﴾.

وهل معناه: ليعبدوني ويعبدوا غيري؟! حاشا وكلَّا! ثم حاشا وكلَّا! بل معناه: ليعبدوني وحدي؛ أي: ليوحِّدوني بالعبادة؛ أي: يفردوني بالألوهيَّة. وهٰذا هو عين توحيد الألوهية والإلٰهية والعبودية والعبادة.

ومعلومٌ علميّاً وواقعيّاً أن توحيد الربوبية لا يتأتَّى ولا يتمُّ ولا يحسُن ولا يُقبل إلا مع توحيد الألوهيَّة؛ حيث إن توحيد الألوهيَّة غاية التخليق، وعين الإيمان، وتصديق لجميع أنواع التوحيد وأركان الإيمان، وشامل للإسلام كله والعبادات كلها، وذٰلك واضح في كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله)؛ في الشطر الأول من الكلمة الطيبة وفي الركن الأول من الإسلام؛ بالنفي والإثبات المفيد لمعنى الحصر التام، وكذٰلك واضح من الآية المذكورة بأعلاه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدونِ**﴾؛ كذٰلك بالنفي والإثبات.

فالحكمة في السؤال بصيغة: مَن ربُّك؟ قرع الأفهام بأن الذي لا يؤمن

بتوحيد الألوهيَّة ـ أي: الذي لم يوحِّد الله في عبادته في دنياه ـ لا يوفَّق للجواب قطعاً وبتاتاً، حتى على هٰذا السؤال السهل في برزخه» انتهى.

قلت: ليس الأمر على ما زعمه التبليغيُّون من كون الشيطان أكبر المانعين عن الخروج مع الجماعة للتبليغ، بل الذي لا يشكُّ فيه أن الشيطان هو أكبر المساعدين للتبليغيِّين على التبليغ، وأكبر الداعين إلى الانضمام إليهم والخروج معهم؛ لما يترتَّب على ذٰلك من نشر البدع والخرافات والضلالات التي يحبُّها الشيطان ويؤزُّ إليها أزّاً.

وقد ذكرت في أول الكتاب وفي مواضع من أثنائه ما كان عليه التبليغيُّون من فساد العقيدة والجهل بتوحيد الألوهيَّة؛ بحيث إنهم لا يعرفون من هٰذا التوحيد شيئاً، بل يجعلون معنى توحيد الألوهيَّة وتوحيد الربوبيَّة شيئاً واحداً؛ لا فرق بينهما، وهو أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور، وقد كان المشركون الأوَّلون يقرُّون بهٰذا التوحيد كما ذكر الله ذٰلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن، ولم ينفعهم إقرارهم بهٰذا التوحيد، ولم يدخلوا به في الإسلام.

وذكرتُ عنهم أيضاً من البدع في الأذكار والأوراد شيئاً كثيراً.

وذكرتُ بعد القصَّة السادسة عشرة من القصص التي وقعت منهم ما يفعله بعض مشايخهم الكبار من الشرك الأكبر، وذكرت نحو ذٰلك في ذكر أساليبهم في مخالفة لا إلٰه إلا الله.

وهٰذه المنكرات المذكورة عن التبليغيِّين وغيرها ممَّا لم يذكر؛ كلها من أعمال الشيطان؛ فهو الذي يدعوهم إليها ويزيِّنها لهم.

وبهٰذا يُعلم أن الصنم الشيطاني قد استحوذ على التبليغيِّين وتحكَّم فيهم غاية التحكم، ﴿أُولٰئكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الخَاسِرونَ﴾.

وإنه لينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وإذا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدوا في

الأرضِ قَالوا إِنَّما نَحْــنُ مُصْلِحــونَ . أَلا إِنَّهُــمْ هُــمُ المُفْسِدونَ ولٰكِــنْ لا يَشْعُرونَ﴾ .

وقد شهد على التبليغيِّين بعض الذين فارقوهم بعدما شايعوهم وخرجوا معهم في سياحاتهم بما رأوه منهم من فساد العقيدة وما هم عليه من الشرك والبدع والانحـراف عن طريقة أهل السنة، وقد جاء ذٰلك في عدة رسائل مذكورة في المجموعة المسماة «حقائق عن جماعة التبليغ»، وسأذكر منها شهادتين لرجلين قد عرفا جماعة التبليغ حق المعرفة، وقد ذكرا عنهم كثيراً من منكرات الأقوال والأفعـال الـتي تدلُّ على أن الصنم الشيطاني قد تمكَّن منهم غاية التمكُّن واجتالهم عن دينهم حتى صاروا من جنوده وأعوانه .

الشهادة الأولى : في (ص ٢٥) من «الحقائق عن جماعة التبليغ»، وهٰذا نصُّها :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، أشهد أنا الموقع اسمي فيه عبدالحميد بن آدم فلي عثمان البكري السيلاني بأن جماعة التبليغ المنتسبين إلى إلياس أوَّلاً وإلى إنعام الحسن الآن، والذي يرأسهم بمكة الآن سعيد بن أحمد الهندي خليفة صاحب الـطريقـة الجشتية المـدعـو إلياس؛ بأنَّهم يدَّعون علم الغيب، وأن أعمالهم التي فيما بينهم ـ ويخفونها عن الناس ـ مخالفة للشريعة المحمَّدية، وأنهم لا يفرِّقون بين السنة والبدعة، بل يعزِّزون البدع والشرك، ولا يعلمون من علم التـوحيد شيئـاً، وإذا قيل لهم : اتـركوا البدع واعملوا بالسنن؛ يجاوبون النـاصح بقولهم : «نحن لسنا وهابيين»، وأنهم يضلِّلون علماء الكتاب والسنة الداعين إلى التوحيد، وهٰذا الذي أعلمه فيهم وأشهد به، وعليه أوقع .

حرر في ١٥ / ٩ / ١٣٨٧هـ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

الشاهد بذٰلك / التوقيع / عبدالحميد البكري» .

الشهادة الثانية في (ص ٢٦ ـ ٢٧) من «الحقائق عن جماعة التبليغ»، وهٰذا نصها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، أشهد أنا الواضع اسمي فيه والموقع في آخره، السيد عبداللطيف عبدالرحمٰن المدني؛ بأن الجماعة المدعوَّة جماعة التبليغ، التابعة لإلياس صاحب الطريقة الجشتية، ثم بعد وفاته اتَّبعت ابنه يوسف (ديوبند) صاحب الطريقة الجشتية النقشبندية، ثم التابعة حاليّاً لإنعام الحسن (ديوبند) صاحب الطريقة الجشتية النقشبندية، ومن ثمَّ رئيسهم بمكة المكرمة سعيد بن أحمد الهندي صاحب الطريقة الجشتية النقشبندية، وهي الجماعة المعروفة التي تدور في داخل المملكة، ومركزها بمكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، ولها تجوُّلات بجدة والرياض والمنطقة الشرقية وجميع أنحاء المملكة السعودية وخارج المملكة أيضاً بالبلاد الإسلامية وغيرها، أعرفها تماماً حقَّ المعرفة؛ لأنني قد خرجتُ معهم في جولات التبليغ سنتين في داخل المملكة وبلاد أخرى، وأعرف عقائدهم فاسدة: عقيدة الجشتية النقشبندية البدعية الشركية، وأعرف منهم تعزيز البدع والخرافات في كل المجالات، وأنهم بعيدون عن التوحيد والكتاب والسنة، وأنهم لا يعرفون من التوحيد شيئاً، بل هم وثنيون في العقيدة والعمل، وقد أنكرت عليهم أنا شخصيّاً مراراً في العقائد والبدع والخرافات، ولكن لم يسمعوا مني أي شيء من الكتاب والسنة النبوية، بل هم ألدُّ الخصام في طريقتهم الباطلة، وهٰذا مبلغهم من العلم، جهلٌ على الإطلاق، وبالرغم ينشرون في البلاد الإسلامية وغيرها العقائد الفاسدة الوثنية الجشتية النقشبندية البدعية الشركية، ويشردون عباد الله العامة عن التوحيد والكتاب والسنة بطرق غريبة من أقوال الخرافيين، وهي كلمة (القطب)؛ بقولهم: القطب يعلم الغيب، ويتصرَّف كيف يشاء في الكون، وأنَّ قبور رؤسائهم في المسجد ـ أعني: قبر إلياس وقبر ابنه يوسف داخل

المسجد ـ، وهٰؤلاء الجماعة ـ أعني : جماعة التبليغ ـ ينذرون لهٰؤلاء المقبورين في المسجد، ويستنصرون بهم في كل المهمات، وعندما ينكر عليهم؛ يقولون في جوابهم: لسنا وهابيين، ولسنا على مذهب الشيخ النجدي، وقصدهم الشيطان الرجيم، يمثلون به الشيخ محمد بن عبدالوهاب، غفر الله له ورحمه.

وأعرف عنهم كل عملهم واجتهادهم في إخفاء التوحيد والكتاب والسنة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إليهما، كما أعرف عنهم أن تجوُّلهم في أرض الله ما هو إلا لنشر البدع والشرك والطرق الشيطانية بأسلوب ساحر للعوام بالتجمعات في قلب الجزيرة وغيرها، وكل ذٰلك يخدعون به العوام، حتى يدخلوهم في مذهبهم الباطل.

وأيضاً أعلم عنهم أنهم يشرِّدون عن السلفيين المتَّبعين لرسول الله ﷺ بكلمة وهابية، ويضلِّلون من سلك سبيل السلف الصالح من علماء الكتاب والسنة، كما يعرف ذٰلك في مصنفاتهم التي تقرأ في مدارسهم؛ كـ (ديوبند) وغيرها في الهند والباكستان وغيرها من البلدان، وقد أثروا في كثير من عوام الناس بأساليبهم الغريبة، وشرَّدوهم عن السلفيين بكلمة وهَّابية داخل المملكة وفي البلاد الإسلامية وفي جميع أنحاء العالم شرقاً وغرباً.

وللعلم؛ قد كفَّرهم جماعة السلفيين أهل الحديث بالباكستان والهند، وهٰذا الذي أعرفه عنهم جميعاً حقيقيّاً، ولا أقول هٰذا إلا إحقاقاً للحق وعملاً بقوله تعالى: ﴿**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ ومَنْ يَكْتُمْها فإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ واللهُ بِما تَعْمَلونَ عَليمٌ**﴾، وبيان الحق هو الواجب على جميع المسلمين لحماية الدين الحنيف من المبتدعة والمشركين والملحدين.

نسأل الله أن يهدينا إلى سواء السبيل، وهو نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم على النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموقع: السيد عبداللطيف عبدالرحمٰن المدني، نزيل مكة المكرمة، في ١٨ / ١١ / ١٣٨٨هـ.

كل ما ذكر في هٰذه الورقة صدق وحقٌّ، وبه نشهد، وعليه نوقِّع: عبدالأحد عبدالسلام عفي عنه، عبدالمجيد عفي عنه، محمد شفيع عفي عنه، محمد عطا الله، محمد عبدالرؤوف مليباري».

قلت: أما محمد عبدالرؤوف المليباري؛ فإني أعرفه حقَّ المعرفة، وقد كان ساكناً في الرياض، ثم انتقل إلى مكة، وقُتل مع مَن قتل في المسجد الحرام في الفتنة التي وقعت بمكة في أول شهر المحرم سنة ١٤٠٠هـ، وكان من المنتسبين إلى العلم، ومن العبَّاد الذين تظهر عليهم آثار التقى والخير والصلاح والصدق في الأقوال، وقد ختم له بالقتل في المسجد الحرام على أيدي البغاة الذين ألحدوا في الحرم واستحلُّوا القتل والقتال فيه؛ فهو من الذين تُرجى لهم الشهادة والمغفرة.

وأما شهادته وشهادة الأربعة المذكورين معه على صدق ما ذكره السيد عبداللطيف عبدالرحمٰن المدني عن جماعة التبليغ، وأن كل ما ذكره عنهم فهو حقٌّ؛ فإنها شهادة تطابق ما ذكره غيرهم من العلماء الذين قد عرفوا جماعة التبليغ حقَّ المعرفة، وكتبوا الكتب والرسائل الكثيرة في ذمِّهم وذمِّ عقائدهم الفاسدة وأقوالهم الباطلة، وبالغوا في التحذير منهم ومن الخروج معهم، والله المسؤول أن يردَّهم إلى الحق، وأن يقطع دابر المعاندين منهم؛ إنه وليُّ ذٰلك والقادر عليه.

●●●●●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن:

● «**الأصل الثاني:**

وفي الصلوات الخمس والجمعـة والجمـاعة والحج والأعياد؛ فعملهم يناقض قولهم وما قرَّروه لأنفسهم وما عاهدوه مع ربِّهم وخلقه وما جعلوه دعاية لحركتهم يناقض مع كل ذٰلك.

فهنا نراهم دعاة مجدِّين إلى المذهب الحنفي، والتقليد الجامد الأصم، التقليد الذي يردُّ النصوص، ويُحْدِث في الأمة تحزُّبات ومخالفات ومشاحنات ومطاحنات، وهو تقليد للحلقة والجماعة أكثر من تقليد المذهب، بل كثيراً ما يكون تقليداً للحلقة ولكن باسم المذهب، وهٰذا هو السائر عندهم اليوم.

ونـراهم دعاة إلى شق عصا الطاعة، فتراهم في الهند يتحمَّسون لمنع الجمعة في القرى والمضافات، مع أنهم نادوا بعدم التعرُّض للمسائل الخلافيَّة الجـزئيَّة، وقرَّروا بعدم التعرُّض للخفيَّات والجزئيات ولما عدا الأصول الستة المـذكـورة لهم، وجعلوه كمبدأ لهم ولدعوتهم ولحركتهم، ومع ذٰلك؛ نراهم يتحمَّسون لهٰذه الجزئيات.

فمثـلاً نراهم يمنعـون الجمـع بين الصلاتين في الأسفار ـ أي: الظهر والعصر، أو المغرب والعشاء ـ؛ يمنعون مطلق الجمع؛ إلا إذا نوقشوا؛ فعندئذ

يمنعون الجمع الحقيقي، ويفتون بالجمع الصوري، وإذا رأوا عدم المعارضة لهم؛ فيمنعون الجمع مطلقاً.

ونـراهم يمنعـون الصـلاة كليّاً في الـطائرات والأجواء، ونراهم يمنعون الجمع والقصر في عرفة ومزدلفة؛ يمنعونهما بكل حماس وعنف، ويمنعون من الصلاة في مسجد نمرة بعرفة.

ونـراهـم يمنعـون الناس في رمضان من أداء الوتر خلف إمام راتب في الحـرمين الشـريفين وغيرهما، وهٰذا الخلاف والشقاق ما حدث في السعودية المصونة إلا منهم، ومن بعد ما تقوَّوا في البلاد وصار لهم أعوان أمثال فلان وفلان وغيرهم. فينبغي التنبُّه لهم، وعدم التغاضي عن حركتهم هٰذه» انتهى، وهو في (ص ٣٦ ـ ٣٧) من كتاب الأستاذ سيف الرحمٰن المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية».

وذكر أيضاً في (ص ٥٠ ـ ٥١) عن التبليغيِّين أنهم يقولون: إن الوهابية أخطر طائفة في الإسلام، لا تجوز الصلاة خلفهم إلا لمن يعيد وإلا في حال الاضـطرار؛ فإن الصـلاة خلفهم بمثابة أكل جيفة، جائز للمضطر وإن طالت المدة بحكم الوقت، ويقولون: إن الجمعة في القرى لا تجوز، وإن الوتر على غير صورة صلاة المغـرب لا يجـوز، وإن الوتر خلف غير الحنفي للحنفي لا يجوز، وإن الجمع والقصر في الأسفار حتى الحج وحتى عرفة ومزدلفة وخاصة في الحج وفي عرفة ومزدلفة لا يجوز، ويمنعون الناس عن الاشتراك في صلاة الظهر والعصر بعرفة يوم الوقفة.

ثم ذكر عنهم أنهم قالوا: «إذا كان باستطاعتنا؛ أعدنا المياه إلى مجاريها، وأقمنا الأربع المصلى بالحرمين كما كان»، إلى غير ذٰلك من الأقوال والتمنِّيات والتكهُّنات، كفانا الله شرهم، وكفى الله السعودية والحرمين شرَّهم آمين.

قال الأستاذ سيف الرحمٰن: «وممَّا يُعرف عن هٰؤلاء أنهم يبنون في كل منطقة أو مدينة مسجداً مركزاً لهم ولدعوتهم، وكثيراً ما يسمونها مسجد النور، ويدعـون النـاس إليها وإلى الصلاة فيها وإلى الحضور في حلقاتهـا والمبيت فيها، ويرون أن الصلاة فيها أفضل من سائر العبادات، حتى إنها أفضل من الصلاة في الحرمين، وكثيراً ما يبيتون فيها، خاصة ليالي الجمعة إلى الصبح، ويحيونهـا بأذكار وأوراد ودعوات وعبادات ثابتة وغير ثابتة، ومراقبات وضربات تصوفية، ويعتقدون أن الحضور في حلقاتهم أفضل من سائر أنواع العبادات، ولربما زاد عن الحج الأكبر والجهاد الأكبر، ويبالغون في تفضيل اجتماعاتهم مبـالغـة متجـاوزة إلى حدِّ الحـج الأكبـر والجهـاد الأكبر وأكثر، بل ويزيدون ويقولون: إنه الجهاد الأكبر حقيقة» انتهى.

قلت: ما ذكـره الأستـاذ سيف الـرحمٰن عن التبليغيِّين من المخـالفات والتغيير في أحكام الجمعة والوتر، ومنعهم الجمع والقصر في الأسفار وفي عرفة ومزدلفة في أيام الحج ومع الإمام في مسجد نمرة يوم عرفة، ومنعهم من الصلاة في الـطائـرات، وتفضيلهم الصلاة في مساجدهم على سائر العبادات وعلى الصـلاة في الحـرمين، والتـزامهم بالبيتوتة فيها في ليالي الجمعة خاصة إلى الصبـح، وتفضيلهم الحضـور في حلقـاتهم واجتمـاعـاتهم على سائـر أنواع العبادات؛ فكله من الشرع في الدين بما لم يأذن به الله، وإنه لينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ولَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وإِنَّ الظَّالِمينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾.

وقـد ذكر في (ص ١٧) من «الحقائق عن جماعة التبليغ» نحو ما ذكره الأستـاذ سيف الـرحمٰن عن التبليغيِّين من المخـالفـات والتغيير في الأحكـام الشرعية، وذكر أنهم لم يتركوا قرية ولا بلدة من هٰذه المملكة العربية السعودية وغيرهـا؛ إلا جعلوا فيه مسجـداً يتَّخـذونه مركزاً لدعوتهم، وكل مسجد يبنونه

يسمونه مسجد النور، وفي الحقيقة أنه مسجد الضرار، حيث إنه لم يؤسس على التقوى.

قال: «ومن أعظم مساجدهم التي اتَّخذوها لهٰذا الشأن مسجد جامع بنوه في الحفائر بجوار مسجد ابن لادن شمالاً عن جبل عمر بمكة، والآن تُقام فيه اجتماعاتهم ليلة الجمعة، ومنه تخرج وفودهم».

قال: «وهٰذا المسجد لا تُقام فيه جماعة، ولا يُنْتَفَع به، ولا أحد يُقيم الصلاة فيه سوى ليلة الجمعة التي هي ليلة اجتماعهم، ثم يبقى مغلقاً إلى الجمعة الأخرى.

ومن ضرره أنهم يصدُّون الناس عن الصلاة في الحرم ليلة الجمعة، ويطالبونهم بالاعتكاف فيه ليلة الجمعة إلى أن تطلع الشمس يوم الجمعة، ثم يفرقون الجماعات يوم الجمعة من هٰذا المسجد إلى الزيمة والشرايع وبَحْره وأم السلم ووادي فاطمة، ويحرمونهم من صلاة الجمعة في الحرم واستماع الفائدة، ويقولون: إن كانت الصلاة في الحرم بمئة ألف صلاة؛ فالاعتكاف في هٰذا المسجد بسبع مئة ألف صلاة».

وذكر أيضاً في (ص ٢٢) من «الحقائق عن جماعة التبليغ» أن رئيس جماعة التبليغ في الحجاز سعيد بن أحمد الهندي يقول: «إن الذي يخرج من الحرم إلى مسجد الشهداء بمكة له أجر سبعة أضعاف مَن بالحرم؛ لأنه يخرج بقصد التبليغ، وكذٰلك يقولون في مسجد النور بالمدينة مثل ذٰلك». انتهى المقصود مما ذكر في «الحقائق عن جماعة التبليغ».

وكل ما ذكر عن التبليغيِّين؛ من الاجتماع في مسجدهم، والاعتكاف فيه في ليلة الجمعة خاصة، وتفضيل الاعتكاف فيه على الصلاة في المسجد الحرام بسبعة أضعاف الصلاة في المسجد الحرام؛ فكله من الشرع في الدين بما لم

يأذن به الله.

وقد ذكر الشرقاوي في (ص ٤٠) من بحثه عن جماعة التبليغ أن التبليغيِّين يهتمُّون بالصلاة مع إهمال معرفة أركانها وواجباتها وسننها.

قلت: إذا كان المصلي جاهلاً بأركان الصلاة وواجباتها؛ فإنه قد يُخِلُّ ببعض أركانها أو بعض واجباتها وهو لا يدري، فتفسد صلاته، ولا ينفعه الاهتمام بها، بل تكون حاله كحال مَن لم يصل أصلاً.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال للرجل الذي أساء في صلاته: «ارجع فصلِّ فإنَّك لم تصلِّ»؛ قال ذٰلك له ثلاث مرات، ثم علمه كيف يصلي.

وقد روى حديث المسيء في صلاته: البخاري، ومسلم، وأهل «السنن»؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه: الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم؛ من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وإذا عُلِم ما ذُكر عن التبليغيِّين أنهم كانوا يهتمُّون بالصلاة مع إهمالهم معرفة أركانها وواجباتها وسننها؛ فليعلم أيضاً أنهم قد أهملوا معرفة ما هو أهم من ذٰلك وأعظم بكثير جدّاً، وهو توحيد الألوهيَّة الذي هو الأصل الأعظم للإسلام، ولا تُقبل الصلاة ولا غيرها من العبادات بدون الاستمساك بهٰذا الأصل العظيم وتطبيقه قولاً وعملاً.

وقد أهمل التبليغيُّون معرفة هٰذا الأصل العظيم، ولم يفرِّقوا بينه وبين

توحيد الـربـوبية، بل جعلوا النـوعين شيئاً واحداً لا فرق بينهما، وهو أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور؛ فهم في هٰذا الباب لا يزيدون عمَّا كان عليه أهل الجاهليَّة الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ومَن كانوا بهٰذه الصفة؛ فحريٌّ أن لا تُقبل منهم الصلاة ولا غيرها من العبادات.

وقد ذكرتُ في أول الكتاب ما رواه ابن وضَّاح؛ قال: «أخبرني غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات ـ فذكر كتابه إليه وفيه ـ: وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضـةً ولا تطوُّعـاً، وكلمـا زادوا اجتهـاداً وصوماً وصلاة؛ ازدادوا من الله بُعْداً».

ويشهد لهٰذا الأثر ما جاء في «الصحيحين» وغيرهما عن النبي ﷺ: أنه قال في الخـوارج: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم»، ومع ما ذكره النبي ﷺ عن الخوارج من الاجتهاد في الصلاة والصيام وسائر الأعمال؛ فقد أخبر ﷺ أن صلاتهم لا تجاوز تراقيهم.

وإذا كانت صلاة الخوارج لا تجاوز تراقيهم من أجل ما هم عليه من البدعة ومفارقة أهل السنة والجماعة؛ فلا يأمن التبليغيُّون أن تكون صلاتهم مردودة من أجل ما هم عليه من بدع الصوفية وغيرها من البدع التي قد استحسنوها بعقولهم وآرائهم الفاسدة، وقد تقدَّم ذكر بعضها قريباً.

وأعـظم من هٰذا ما تقـدَّم ذكره عن بعض مشايخهم الكبار من الأفعال الشركية، وقد ذكرتُ بعض ذلك بعد القصة السادسة عشرة من القصص التي تقدَّم ذكرها عن التبليغيِّين، وذكرت ذلك أيضاً في ذكر أساليبهم في مخالفة (لا إلٰه إلا الله)، ومَن أراد الوقوف على أكثر من ذٰلك؛ فليطالع كتاب القائد ميَّان محمد أسلم الباكستاني المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»؛

فقد ذكر عن بعض مشايخهم الكبار من الشركيات والخزعبلات ما تشمئز منه قلوب أهل الإيمان.

ومَن كانوا بهٰذه الصفة؛ فحريٌّ أن لا تُقْبَل منهم صلاة ولا غيرها من العبادات؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقينَ﴾.

قال ابن الجوزي: «في المراد بـ ﴿المُتَّقينَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الذين يتَّقون المعاصي. قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يتَّقون الشرك. قاله الضحَّاك. وقال ابن عطيَّة: إجماع أهل السنة في معنى هٰذه الآية أنها اتقاء الشرك، فَمَن اتَّقاه وهو موحِّد؛ فأعماله التي تَصْدق فيها نيَّته مقبولة، وأما المتَّقي للشرك والمعاصي؛ فله الدرجة العليا من القبول والحتم بالرحمة» انتهى.

ومما يدلُّ على إحباط أعمال المتلوِّثين بالأعمال الشركية من التبليغيِّين وغيرهم:

قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وإِلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾.

وقوله تعالى في سورة الأنعام بعد ذكره لإبراهيم والأنبياء من ذريته: ﴿ذٰلك هُدى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ولَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانوا يَعْمَلونَ﴾.

قال البغوي في الكلام على الآية الأولى: «هٰذا خطاب مع رسول الله ﷺ، والمراد منه غيره، وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: هٰذا أدب من الله تعالى لنبيِّه ﷺ، وتهديد لغيره؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قد عصمه من الشرك. وقال غيره: إنما خاطبه بذٰلك ليعرف مَن دونه أن الشرك يحبط الأعمال المتقدِّمة كلها، ولو وقع من نبي» انتهى.

فليتأمل المتلوثون بالشرك من التبليغيِّين وغيرهم ما جاء في الآيتين من

التهديد لمَن أشرك بالله تعالى ، وما جاء فيهما أيضاً من النص على إحباط أعمال المشركين والنص على أن مآلهم يكون إلى الخسران .

وإذا تأمَّلوا ذلك وعرفوه حقَّ المعرفة ؛ فليبادروا إلى التوبة النصوح من جميع الأعمال الشركية والبدع وغير ذلك من منكرات الأقوال والأفعال ، وليعلموا أن مَن تاب إلى الله تعالى صادقاً ؛ تاب الله عليه .

وليعلموا أيضاً أن الاهتمام بمعرفة أنواع التوحيد الثلاثة والسير فيها على منهاج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان أولى وأوجب من الاهتمام بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات الفرعية ؛ لأن التوحيد هو الأصل الذي تنبني على صحته وسلامته صحة العبادات الفرعية وقبولها ، والله الموفق .

● ● ● ● ●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن :

● «**الأصل الثالث** :

وفي العلم يوجبون العلم بالأركان الخمسة للإسلام، والأركان الستة للإيمان، ولكن طبعاً يحبِّذون أن يكون. . . وفي المذهب الحنفي والعقائد الكلامي والسلوك الخرافاتي والاتجاه الصوفي. . . ويوجبون الرقائق، والعلم بالحكايات، وأكثرها غير ثابتة، وأكثرها خرافات ومن قبيل الموضوعات أو الكرامات المكذوبة والمصطنعة، ومِن حَكْي مشايخ الطرق أو المتاجرين بالدين، ويوجبون الإكثار من علم الفضائل والعمل بها، ويلاحظ أن الفضائل مبناها التساهل؛ كما صرَّح العلماء به، ويهربون من العلم بالمسائل، ولا سيما العلم بالأدلة، بل ويحاربون العلم بالمسائل، ويحاربون كذٰلك العلم بالأدلة من الكتاب والسنة، ويسمونها جدلاً وشغباً وخصاماً، ويقولون: إن العلم كهٰذا يصرف الإنسان عن العمل، ويسمونها كذٰلك أنها القيل والقال المنهي عنه المبطىء عن العمل، ويقولون: إن إبليس كان علمه من هٰذا القبيل؛ أي: من قبيل المسائل والأدلة، ويجعلون قول إبليس: ﴿**خَلَقْتَني مِنْ نَارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾: من قبيل العلم بالمسائل ومن قبيل العلم بالأدلة، وذٰلك لجهلهم المطبق، مع أنه ليس إلا معارضة النص بالقياس، ويقولون: إن إبليس كان أعلم من في الأرض، بل حتى ممَّن في عالم الملكوت، وزيادة عليه؛ فقد كان معلم

الملكوت، ولكن علمه وكثرة علمه هٰذا أداه إلى الضلال، مع أن الله جلَّ وعلا يقـول في إبليس: ﴿أَبى واسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكافِرينَ﴾؛ فهم يضلِّلون العلم بالمسـائـل والعلم بالأدلَّة وأهلها. . . بل وقاحة وجراءة جهلية؛ فهم يحاربون العلم باسم العلم وباسم التبليغ، وبذٰلك يحاربون الدين باسم الدين وباسم تبليغ الدين، وبطبيعة الشيء إذا كانت العامة جهلت مسائل دينها؛ وقعت في شبكـة كبـرائهـا ومسـاوميهـا وعبادتهم من دون الله؛ لأن الناس إذا بقوا على جهلهم؛ عظمـوا كبـراءهم ومن يتـاجـرونهم في دينهم، ومعلوم علميّاً وفطريّاً وتـاريخيّاً آفة التعظيم المتصاعد الذي لا يعرف للحد والنهاية معنى؛ فتعظيم كهٰذا جزء من العبادة، وفاتحة أبواب لها» انتهى المقصود من كلام الأستاذ سيف الرحمٰن، وهو في (ص ٣٦) إلى (ص ٣٩).

وقال أيضاً في (ص ٥٣) وما بعدها ما ملخصه: «وممَّا يُعرف عن هٰؤلاء أنه قد صنَّف شيخهم الشيخ زكريا كتباً عديدة في الفضائل باسم فضائل الصلاة وفضائل رمضان وفضائل التبليغ وحكايات الصحابة وغير ذٰلك، وسمَّاها «تبليغي نصـاب»؛ أي: منهج التبليغ، أو «المقرَّر في منهج التبليغ»، وقد جمع فيها الغث والصحيح والضعيف، حتى الأكاذيب والخزعبلات والموضوعات، وجمع فيها كلَّ ما هبَّ ودبَّ؛ دون تنقيح أو اعتناء بالصحاح، وأكثر فيها من حكايات مشايخ الطرق؛ فهٰذا منهج تبليغهم، وبضاعة ديانتهم، ومبلغ علمهم، ورأس دينهم، وذروة سنام تقواهم وطهارتهم.

وخـلاصـة القـول: أن كل اعتمـادهـم في الدين ليس إلَّا على الأقوال الصدرية والرؤية المنامية والحكايات المحكيَّة وشيء من فضائل الأعمال النفلية التطوُّعية مع الإعراض عن كثير من العلم بالمسائل في العقائد والأحكام وكثير من الفرائض والواجبات. هٰذا من ناحية. ومن ناحية أخرى خلطوا في دينهم شيئاً كثيراً من الدَّجل والخرافات والجهل المطبق والإعجاب بالرأي».

وقال أيضاً في (ص ٥٥): «ومما يعرف عن هٰؤلاء أنهم وأكابرهم ليسوا متفقّهين في الدين، ولا متضلِّعين بعلومه كما ينبغي، ولا راسخين في العلم حقيقة، ولكنَّهم خلفيون؛ أي: متضلِّعون من علوم الخَلَف، ومتطرِّفون؛ أي: واقعون على طرف من علوم السلف الصالح، فحضرهم المهم، وغاب عنهم الأهم، ولذٰلك أكثر رؤسائهم جهَّال، ولكنَّهم محنَّكون في شيئين: في الحفاظ على حلقتهم وجماعتهم، وفي إكثار سوادهم وكثرتهم».

وقال أيضاً في (ص ٦٠) ما ملخصه: «إن التبليغيِّين مبنى ديانتهم الجهل، والإيمان بالخرافات والحكايات، والإكثار منها، وحب الجهل والجهلاء، وترجيح جهلائهم على علماء عامة المسلمين، ومحاربة العلم والعلماء.

ومعلوم أن هٰؤلاء يتدرَّجون بالناس، ولا سيَّما أصحاب الفطر السليمة؛ يتدرَّجون بهم باسم التوحيد والدين والزهد وعدم الترف والورع والتبليغ والتقوى وحب الصالحين إلى تعظيم الأكابر والبدع والخرافات والجهل المطبق والتقليد الجامد والمسلك الجمودي والوقوع في الشبك التصوفي، وهٰذا قليل جدّاً من كثير جدّاً» انتهى.

ونقل محمد أسلم الباكستاني في آخر كتابه المسمى «جماعة التبليغ» عن الشيخ عامر عثماني رئيس تحرير «مجلة التجلي الشهرية» بالأردية / ديوبند، أحد كبار علماء ديوبند: أنه قال: «إني وإن كنت أتعلَّق بحلقة ديوبند... لكن الحقيقة التي لا تنكر أن بعض الكتب المشهورة من الكتب الديوبندية؛ كـ «أرواح ثلاثة»، و«تذكرة الرشيد»، و«السوانح القاسمية»، و«أشرف السوانح»، وعدد خاص لـ «جريدة الجمعية» باسم «شيخ الإسلام»، و«الأنفاس القدسية»، وغيرها؛ قد جاءت فيها عجائب وغرائب وشطحات، والحقيقة أن

القصص الفاحشة والروايات الخليعة ما أضرت قراءها كما أضرَّت هٰذا المؤلفات قراءها، فعلمتهم هٰذه الكتب دروس تعظيم المشايخ بدل عبادة الله وألوهيَّته، دروساً لم يبق لإزالة سمومها أي شيء، والتصوف مهما يختار فيه الاحتياط والاعتدال؛ لا بدَّ أنه يأتي معه سحر المكاشفات والكرامات والأمور الغيبية والتصرُّفات، ثم لما يختلط مع هٰذه الأشياء اعتقاد مريدي المشايخ؛ تتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى تكون هٰذه الأمور لأصول الشريعة الإسلامية تحدياً، ومن هنا يضطر النقاد الذين عيارهم الكتاب والسنة إلى القول بأن التصوُّف سكر ومغنطة[1] وعدو للشريعة، وهٰؤلاء لمَّا يكتبون ويبيِّنون أحوال مشايخهم وأكابرهم؛ يفقدون جميع صلاحية النقد والبصيرة ما أفتوا وقضوا، حتى أفتوا في يوم من الأيام بأن في الفكر الديوبندي مقداراً عظيماً من التقليد الأعمى، والتعصُّب المذهبي مرٌّ لكنه حقٌّ وصواب مئة في المئة.

وكل مَن يتعلَّق بهٰذا الفكر الديوبندي من العلماء يعتقد في نفسه بأن الذي فهم القرآن فهماً جيداً هو شيخنا الفلاني شيخ التفسير، وإن بلغ أحد إلى كنه الحديث؛ فهو المحدث الفلاني من مشايخنا، وإن أحرز أحد أسرار الولاية والنبوة ومعارف الطريقة والتصوف؛ فهو من مشايخنا.

ومع هٰذا الظن الحسن؛ اعتقدوا أن شيوخهم محفوظون عن الخطأ، ولا يمكن لهم القول بالعصمة؛ لأن العامي يعرف أن العصمة مختصة بالأنبياء، لكنهم بهٰذا الاصطلاح الجديد (أي: محفوظ من الخطأ) يزعمون أن مشايخهم معصومون عن الخطأ عملاً، ويتيقنون أن كل واحد من مشايخهم لا يقل عن بقراط وسقراط في العلم والعقل مع الزهد والتقوى.

---

(١) قوله: «مَغْنطة للشريعة»؛ أي: شديد الضرر عليها. قال الجوهري: «(الغنط): أشد الكرب، يُقال: قد غنطه يغنطه غنطاً؛ أي: جهده، وشقَّ عليه؛ فهو مغنوط». انتهى.

ثم ذكر عن مشايخ الديوبندية أنهم يقولون عن أكابرهم الموجودين: إنهم يتيقنون أن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب والتصرفات الروحانية والمكاشفات والإلهامات حقٌّ وصدق قطعاً.

وذكر أيضاً أن جماعة التبليغ من حسن قصدهم حصلت منهم أغلاط وأخطاء تتنافى مع الكتاب والسنة وسير السلف، وبهٰذا يكون من انضمَّ على صحبتهم على حذر حتى لا يقع في نفس الأغلاط المنقولة عنهم من كتبهم.

إلى أن قال: «وفي الختام أقول: إن دعوة الأنبياء وأتباعهم تتركز أولاً على تعليم التوحيد من الكتاب والسنة، وبعد تعلُّم التوحيد كما أمر الله يجب أن يتعلَّم الإنسان الأحكام التي يجب عليه أن يتعلَّمها من الحلال والحرام في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وتكون الصلاة وبقية أركان الإسلام هي المرحلة الثانية في دراسته، وبعد هٰذين يتعلَّم الأخلاق والآداب الشرعية التي بها كمال الإسلام» انتهى المقصود من كلامه باختصارٍ وتصرُّف في بعض الكلمات التي فيها خلل في العبارة.

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي ما ملخصه: «إن محمد أسلم كشف عن مخبآت طائفة التبليغ ليحاسب نفسه مَن أراد الله به خيراً منهم».

قال: «وأكثرهم لا يريدون إلا الخير، ولكنهم لم يجدوا مَن ينبِّههم عليه، وأما رؤساؤهم في الهند؛ فعندهم موانع قويَّة من قبول النصيحة، وجمودٌ وتقليد شديد وعصبية لا يكاد يخرق سورها منهم إلَّا مَن سبقت له الحسنى».

قلت: أما العامة من التبليغيِّين الذين قال فيهم الهلالي: «إنهم لم يجدوا مَن ينبِّههم على الخير؛ فإنهم قد وجدوا من علماء أهل السنة من ينبِّههم ويدلُّهم على الخير، ولكنهم كما قال الله تعالى مخبراً عن نبيه صالح أنه قال لقومه: ﴿ونَصَحْتُ لَكُمْ ولٰكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحينَ﴾.

فالتبليغيُّون لا يحبـون الناصحين من علماء أهل السنة؛ لأنهم قد فُتِنوا بتعظيم كبرائهم من أمرائهم ومشايخهم، وتعظيم طرائقهم التي يأمرونهم بسلوكها ولزومها؛ فلهٰذا لا يصغون إلى كلام الناصحين لهم من علماء أهل السنة، بل ينفرون منهم، ويمنعونهم من الكلام في مجتمعاتهم بما يخالف طرائقهم التي كانوا عليها، وإذا لم تكن لهم قدرة على منع الناصحين من النصيحة؛ انفضُّوا عنهم، ولم يستمعوا إلى نصائحهم، وقد وقع هٰذا منهم مع غير واحد من الدعاة إلى الخير في مواضـع كثيرة من المملكـة العربية السعودية والمدن الخليجية والهند وغيرها، وكثير من مجتمعاتهم تكون معمورة بإلقاء البيانات عما يزعمونه من حصول الكرامات لهم وما يذكرونه من القصص الخرافية والدعاوي الكاذبة والمنامات التي هي من تضليل الشيطان لهم وتلاعبه بهم.

وأما رؤساء التبليغيِّين وكبراؤهم من مشايخهم وأمرائهم؛ فقد ذكرت عنهم قصصاً كثيرة ممَّا وقع منهم من الشرك والبدع والخزعبلات والترَّهات والخرافات والسخافات؛ فليراجَع ذٰلك فيما بين القصة السادسة عشرة من قصص المنكرات التي وقعت منهم وبين الفصل الذي ذكرت فيه أصول التبليغيين الستة؛ ففيما تقدَّم ذكره أوضح بيان لما هم متَّصفون به من الجهالة والضلالة والإفلاس من العلوم النـافعـة، ولا سيما علم التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذة من أدلَّة الكتاب والسنة والآثار الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم.

وقد تقدَّم في أول الفصل ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد عنهم أنهم يحـاربـون العلم بالأدلَّـة من الكتـاب والسنـة، ويسمُّـونهما جَدَلاً وشغباً وخصاماً. . . إلى آخر ما ذكره عنهم من ذم العلوم النافعة، ووصفها بالصفات الذميمة؛ لينفروا أتباعهم منها، ويصدُّوهم عن طلبها في الجامعات ومجالس العلماء من أهل السنة.

وحيث كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فإن جعلهم العلم أصلاً من أصولهم الستة، يكون لغواً لا فائدة فيه ولا حاصل تحته.

وقد قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد في (ص ٤٥): «لا يخفى أن أكابر هٰذه الجماعة التبليغية الشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ إلياس مؤسس الحركة والشيخ زكريا ختن الشيخ إلياس والشيخ أبا الحسن علي الندوي؛ هٰؤلاء كلهم غريقون في التصوف المبعد في الخرافات، وهٰؤلاء علماؤهم وأكابرهم، مع ما لديهم من البيعات التصوفية الطرقية، وليس في هٰذه الجماعة علماء إلا قلائل، وأكثرهم جهَّال يصدون الناس عن العلم والحق، ويشغلونهم بالحكايات والأباطيل والخرافات، إلا اللهم شيئاً من الحق المشوَّه والممزوج بروح الرهبانية الممنوعة الباطلة، ولذا؛ فقد صدق من قال: إنها جماعة جهال».

وقال الأستاذ أيضاً في (ص ٤٦): «ومن بعض ميزات الجماعة وأكابريها ما عُرف عنهم أنهم يقرُّون بالتوحيد، ولكن توحيدهم لا يزيد عن توحيد مشركي مكة؛ أي: أن كلامهم يطول في جانب من توحيد الربوبية فقط، وبصبغة التصوُّف وفلسفة التصوُّف فقط، وأما توحيد الألوهية والعبادات؛ فهم فقراء معدمون ومفلسون، بل بصراحة هم مشركون فيها، وأما توحيد الأسماء والصفات؛ فهم بين أشاعرة وماتريدية فيها، وإلى الثانية هم أقرب» انتهى.

●●●●●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد في (ص ٤٠): «وفي الذكر يقولون: إن الله تعالى أمر بالصلاة في كتابه العزيز، ولكن أمرنا بالذكر أكثر مما أمرنا بالصلاة، ويقولون: إن الصلوات فرضٌ، ولكن الفرض لا يُقْصَر على الصلوات الخمس فحسب، بل هناك أمرنا الله بالذكر أكثر مما أمرنا بالصلاة، وهٰذا الذكر المأمور به غير الصلاة... إلى آخر ما يقولون، ومع أن الصلاة هي الذكر أيضاً، يقول الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾، ولكنَّهم يعنون بالذكر الأوراد.

ففي مبدأ الأمر يفسرون الذكر بالاستحضار؛ أي: تذكُّر آيات الله وآلائه وصفاته وأسمائه واستحضارها وعدم الغفلة عنها كما هو المعروف عند أهل الحق خَلَفاً عن سلف، ثم يفسرون الذكر بالأوراد المأثورة والمنقولة الثابتة، ثم يتدرَّجون بها إلى غير الثابتة، ومنها إلى الأوراد المتَّخذة عند الصوفية؛ أي طريق كان من طرق الصوفية، وهٰكذا يتعيَّن معنى الذكر ومصداقه عندهم، وهٰكذا يتعيَّن الواجب عندهم في باب الذكر؛ فالتدرُّج أصل عمليٌّ عظيم في سياسة حلقتهم» انتهى.

وقد ذكرت في أول الكتاب أن من أذكار التبليغيِّين: (إلا الله)؛ أربع مئة مرة، و(الله، الله)؛ ست مئة مرة يوميّاً، والأنفاس القدسية؛ عشر دقائق يوميّاً، وتتحقَّق بالتصاق اللسان في سقف الفم والذكر بإخراج النَّفَس من الأنف على صورة لفظ (الله)، والمراقبة الجشتية؛ نصف ساعة أسبوعيّاً، عند أحد القبور؛

بتغطية الرأس والذكر بهٰذه العبارة (الله حاضري، الله ناظري).

ومن أذكارهم أيضاً أنهم يكرِّرون كلمة (لا إلٰه) ست مئة مرة، ثم يكررون كلمة (إلا الله) أربع مئة مرة.

ومن أذكارهم أيضاً الاقتصار على كلمة (هو، هو، هو) بدلاً عن قول (لا إلٰه إلا الله)، والاقتصار على هٰذه الكلمة هو ذكر خاصة الخاصة عند الصوفيين وأتباعهم.

ومن أذكارهم وأورادهم التي يداومون عليها قراءة «دلائل الخيرات»، وهو مشتمل على الغلوِّ في النبي ﷺ وإطرائه.

وهٰذه الأذكار كلها بدع وضلالة، ومن الشرع في الدين بما لم يأذن به الله، وبعضها يتضمَّن الكفر الصريح ست مئة مرة، وذٰلك في تكريرهم قول (لا إلٰه) ست مئة مرة مع فصلها عن قوله (إلا الله) بزمن متراخٍ بين أول كلمة التوحيد وآخرها، وبعضها يتضمَّن الشرك الأكبر، وذٰلك في المراقبة الجشتية عند القبور والمرابطة عندها لانتظار الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور.

وهٰذه الأذكار التي قد فُتن بها التبليغيُّون كلها بدع وضلالات وتلاعب بذكر الله واستهزاء بالله وبذكره.

وإنه لينطبق على التبليغيِّين قول الله تعالى: **﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذوا الشَّياطينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾**.

وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ . وإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبيلِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾**.

وقوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللهَ عَليمٌ بِما يَصْنَعونَ﴾**.

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد:

● «**الأصل الرابع:**

وفي إكرام المسلم يقولون: إن كل من يقرُّ بـ (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)؛ وجب منا الإكرام له، وإن رأينا منه الكبائر، أو أكبر الكبائر، فنحن لا نكره العاصي، ولكنا نكره المعصية! ويغالون في هٰذا القول، ويتمادون في العمل به دون انتهاء، ويتنكَّرون لكل حد في هٰذا الصدد بالنسبة لكل من ينتمي إليهم أو يُرجى منه أن يأتي في شبكتهم وأن يكون منهم، حتى تؤدي بهم المسألة إلى موالاة من حادَّ الله ورسوله، وموالاة الجهال، ومناصرة الجهل المطبق.

ولا شكَّ أنهم يشجِّعون الناس على الجهل المطبق، وعلى الإشراك وعبادة القبور باسم الزيارة والأدب والمكاشفة والمرابطة والمراقبة، وباسم التوسُّل وأخذ الفيوض الروحية من أهل القبور، ويدعون الناس إلى البدع والخرافات باسم الأدب وحب الصالحين وباسم إكرام المسلم، شأنهم فيه شأنهم في كل أصل من أصولهم، وشأن كل مبتدع مغرم ببدعته يؤيد بدعته ويتوصل إليها حيث كان؛ فهي كلمة حق أريد بها الباطل، وقد ينتهي بكل ذٰلك ما انتهى إليه عقيدة وحدة الوجود من مساواة المسلم والكافر» انتهى.

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ١٥) من كتابه «السراج

المنير»: «القاعدة الرابعة ـ وهي قولهم: إكرام كل مسلم ـ صحيحة لو أنهم يطبِّقونها، ولكنهم لا يطبِّقونها؛ إلا مع مَن يفعل بدعتهم، وهي السياحة، ومَن تنزَّه عنها من المسلمين يبغضونه أشد البغض» انتهى.

قلت: قد حصل منهم الأذى لغير واحد من المخالفين لهم والمنكرين لبدعهم، وحصل من بعض أمرائهم العقوبة الشديدة لمن عاب أفعالهم وسياحتهم؛ كما تقدَّم ذٰلك في القصة الخامسة عشرة من قصصهم المنكرة، وهي قصتهم مع فاروق حنيف؛ فلتراجع القصة، وليراجع التعليق عليها؛ فإنه مهمٌّ جدّاً[1]، وفيه بيان لمخالفتهم لأصلهم الذي زعموه، وهو إكرام المسلم.

وهٰذا الأصل يعدُّ معدوماً عند التبليغيِّين في حقِّ المسلم المتمسِّك بالسنة، وإنما يعملون به مع الموافقين لهم والمتبعين لبدعتهم.

وقد ذكر محمد أسلم في (ص ٤٢): أن «جماعة التبليغ تؤمن بالطرق الأربع: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، وتزعم أنه لو مات أحدٌ ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ لمات ميتة جاهلية». انتهى.

قلت: لا يخفى ما في هٰذه العبارة الخطيرة من الغلوِّ الشديد في الطرق الأربع التي هي من شرع الشيطان وأولياء الشيطان، وما فيها أيضاً من التهوُّر القبيح في الحكم على مَن لم يؤمن بها ولم يبايع عليها بأنه يموت ميتة جاهلية؛ أي: كما يموت أهل الجاهلية من الضلال والفرقة.

وعلى هٰذا القول الباطل؛ فإن مَن لم يبايع على شيء من طرقهم الأربع يكون ممَّن ليس معه من الإسلام ما يستحقُّ به الإكرام الذي قد جعله التبليغيُّون أصلاً من أصولهم الستة مع كل مسلم؛ لأنه ـ على حد زعمهم ـ من أهل الضلال والفرقة، وما يدري هٰؤلاء الهمج الرعاع أنهم هم المتَّصفون بالجهل

---

(١) (ص ٥٤ ـ ٥٧).

والضـلال والفـرقـة؛ لأنهم قد خالفـوا المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وسلكوا مناهج أهل البدع والأهواء من الصوفية وغيرهم، وتعلّقوا بطرقهم التي أحدثوها في الإسلام، وهي من الشرع في الدين بما لم يأذن به الله.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

فهٰـذا الحـديث ميزان عدل توزن به أقـوال المنتسبين إلى الإسـلام وأعمالهم، فمَن كان منهم سالكاً الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فهو من الفرقة الناجية، ومَن كان سالكاً سبيلاً غير سبيلهم؛ فهو من الفرق الهالكة شاء أم أبى.

ومن الـطرق الجائرة عن الصراط المستقيم: طرق التصوُّف والتبليغ؛ شاء أصحابها أم أبوا، ومَن مات منهم وهو على بدعته؛ فقد مات ميتة جاهلية.

وقد روى ابن جرير وغيره مرفوعاً وموقوفاً: أنه قال في هٰذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: «وليسوا منك، هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هٰذه الأمة».

● ● ● ● ●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد:

● «**الأصل الخامس**:

وفي إخلاص النية يوجبون إخلاص النية لله وحده، وعدم الرياء والسمعة أو الأغراض الدنيوية، ولكن حسب فهمي لهم وتعبيري عنهم: إلا ما كان من باب شدِّ أزر الحلقة والجماعة؛ فلا بأس؛ لأن ذٰلك يعتبرونه في سبيل الحق ودعم قضية التبليغ. هٰذا من جهة. ومن جهة أخرى حيث إن الإخلاص صعب المنال، وليس بسهل، ولا يتأتَّى مع كل إنسان، ولا سيما في عصرنا هٰذا؛ فلذٰلك يحتاج إلى التصحيح والتعويد، ولا تصحيح ولا تعويد إلا بتمارين معلومة في التركيز وربط التوجه في شيء معين عن طريق المراقبة وما إليها.

والظاهر أن هٰذا هو السر في كلمة (تصحيح النية) بدلاً عن (إخلاص النية) أو معها، والسر في الانصراف عن معهود إلى غير معهود.

وحيث إن هٰذه الأشياء كلها من أعمال القلوب، فاحتاجت إلى التصوف والسلوك مسلك أهل صفاء القلوب، وحيث إن إخلاص النية مع ما فيه من الخطورة والصعوبة واجب أساسي يتوقَّف عليه الأجر والقبول؛ فبمقدار خطورته ووجوبه يجب التأمين، ولا تأمين ـ أي: ولا ضمان ـ للتصحيح والتجريد والتعويد في أعمال القلوب إلا بهٰذا التصوف والمسالك والطرق كما هو المجرب في

زعمهم، ومن هنا دخلنا في تصوف المتأخرين بكل سهولة، ومن حيث لا ندري، وأصبحنا صوفياء، مصبوغين بصبغتهم، ضاربين ضربات تصوفية في مراقبات سلوكية، فرحين بها، مطمئنين إليها، ومتشكرين لجماعة التبليغ، حيث إنهم أخرجونا من عوالم غيرنا وأدخلونا في عوالم أنفسنا؛ فلا جهاد إلاَّ مع النفس، ولا إنكار إلاَّ عليه، وأي منكر أكبر منه؟! وأي طاغوت أطغى منه؟! وأي عراك أعرك من معركة النفس؟! فبهٰذه الضربات التصوفية على النفس والهوى أكسبونا كل شيء، هٰذا زعمهم وزعم أتباعهم والمنحرفين معهم، فيا لله العجب! وإنا لله وإنا إليه راجعون».

قال الأستاذ سيف الرحمٰن: «ويلاحظ أن الذكر وإكرام المسلم وتصحيح النية ـ أي: هٰذه الأصول الثلاثة خاصة ـ تفتح على كل من رافقهم باب التصوف على مصراعيه، ويا ليته لو كان ذٰلك تصوف القدماء الذي كاد أن يكون شبيهاً بالإحسان وقريباً من تأصيل الكتاب والسنة، ولكنه مع الأسف الشديد المقلق تصوُّف المتأخِّرين، الذي دخل فيه الشيء الكثير من فلسفة الأعاجم: اليونان، والفرس، والهند، وغيرهم».

قال الأستاذ سيف الرحمٰن: «ويلاحظ كذٰلك أن أصول الجماعة هٰذه خالية كل الخلو من أصل عظيم وشرط أساسي في القبول، وهو تصحيح العمل، وعلى ما يظهر أن هٰذا الفراغ كان عن قصد مقصود» انتهى.

قلت: قد ذكرت فيما تقدم عن أمراء التبليغيِّين ومشايخهم الكبار قصصاً كثيرة مما وقع منهم من الشرك الأكبر والغلو في القبور وأهلها والمرابطة على القبور لانتظار الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، وذكرتُ عنهم أيضاً من البدع والأباطيل والعقائد الفاسدة شيئاً كثيراً[1].

(١) يراجع ذٰلك فيما بين القصة السادسة عشرة من غرائب المنكرات التي وقعت من التبليغيين وبين الفصل الذي ذكرت فيه أصولهم (ص ٦٠ ـ ١٥١).

ولا شك أن الفساد الظاهر في أقوال التبليغيِّين وأعمالهم يدلُّ على فساد النيات عندهم، وبُعدها عن الإخلاص لله.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأهل «السنن»؛ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال بعض العلماء في الكلام على هٰذا الحديث ما ملخصه: إن الأعمال تتبع النية.

وإذا كانت الأعمال تابعة للنِّيَّات؛ فإن الشرك بالله والمرابطة على القبور لانتظار الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور لا تكون النية فيه صالحة وخالصة لوجه الله، وإنما تكون خالصة لمَن تعلَّقت القلوب بهم من الموتى وغيرهم في رجاء جلب النفع أو دفع الضر، وهٰكذا سائر الأقوال والأعمال الفاسدة عند التبليغيِّين؛ فإنها تابعة لفساد النيات عندهم، والله أعلم.

●●●●●

فصلٌ

قال الأستاذ سيف الرحمن بن أحمد:

● «**الأصل السادس**:

وفي التبليغ الجماعي يقولون: إنه الجهاد الأكبر، ويكرهون كل دعوة لا تكون على نمطهم هٰذا، ويمنعون الناس عن الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله في حلقتهم خاصة؛ إلا في كابوس أصولهم وتعاليمهم ومنهجهم، وإلا في نطاق الحكايات والأقوال والأحلام والرؤى الصالحة والفضائل مما يلائم عقائدهم وخرافاتهم، ويبالغون في خروجهم الجماعي للتبليغ مبالغات عجيبة، ويغالون فيه مغالاة ما بعدها مغالاة، يتجاوزون فيها الحدود المعقولة والمنقولة، ويقصر عنها البيان» انتهى.

وفيما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن عن التبليغيِّين أنهم يمنعون الناس عن الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله أوضح دليل على فساد نياتهم، وبعدها عن الإخلاص لله، والمسارعة إلى ما يرضيه من الدعوة إليه وإلى كتابه وسنة رسوله ﷺ.

وقال الأستاذ أيضاً في (ص ٢٤ ـ ٢٥) في ذكر مساوىء التبليغيِّين: «ومنها اعتقادهم في خروجهم للتبليغ أنه الجهاد، بل الجهاد الأكبر، وتطبيق أحاديث الجهاد الشرعي كلها على خروجهم للتبليغ، ﴿**سُبْحانَكَ هٰذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ**﴾».

وقال أيضاً في (ص ٥١): «وممَّا يُعْرَف عن هٰؤلاء أنهم يعتقدون أن مَن خرج معهم في التبليغ الجماعي؛ فقد جاهد جهاداً كبيراً وأكبر، الذي ما عليه من مزيد؛ إلا التكرار منه؛ فإنهم يرون الخروج معهم في التبليغ الجماعي أفضل من الجهاد بالسيف والقلم، وأفضل من محاربة أعداء الله ورسوله وجهاد في سبيله، وأفضل من الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين، فمَن أتى بذلك؛ أتى بسنة الأنبياء والمرسلين، وأتى بسنة سيد الأنبياء والمرسلين، وأتى بالذي وكالذي خرج له الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في المعارك وميادين الجهاد» انتهى.

وذكر محمد أسلم عن الشيخ إلياس مؤسس جماعة التبليغ: أنه قال: «انكشفت على هٰذه الطريقة للتبليغ، وألقي في رُوعي في المنام تفسير الآية: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرونَ بالمَعْروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنونَ باللهِ﴾**: أنك أُخْرِجْتَ للناس مثل الأنبياء.

وفي تعبير هٰذا المعنى بـ **﴿أُخْرِجت﴾** إشارة إلى أن العمل لا يكون في مكان واحد، بل يحتاج فيه إلى رحلات إلى البلاد، وعملك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأشير بقوله: **﴿تُؤْمِنونَ﴾**: أن نفس إيمانك يرقى ويزدهر، وإلا؛ فحصول نفس الإيمان معلوم من: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾**، فلا تقصد هداية الآخرين، بل انوِ نفع نفسك.

والمراد من قوله: **﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**: الأعاجم سوى العرب؛ لأنه قيل فيهم: **﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾** **﴿ومَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوكيلٍ﴾**، والمراد من **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾** العرب، والمراد من **﴿النَّاس﴾** غيرهم من الأعاجم.

والقرينة على هٰذا قوله: **﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ﴾**، فقال

هناك:﴿خَيْراً لَهُمْ﴾؛ بدل: خيراً لكم؛ لأن تكميل إيمان المبلغ والداعي يحصل بالتبليغ، سواء قبل المخاطَب دعوته أم لم يقبلها، وإن تأثَّر المخاطب بالتبليغ، فاشتغل بأمر الدعوة والتبليغ؛ استفاد شخصيّاً، فلا تتوقَّف فائدة المبلغ على قبول الدعوة وعدم قبولها»[1].

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي: «سمعت أن التبليغيِّين يحتجُّون بقوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ على الخروج للسياحة المبتدعة، ولكن لم يخطر ببالي قطُّ أن شيخهم محمد إلياس ينزل إلى هٰذه الدركة حتى يحتج بها على ذٰلك» انتهى.

وذكر محمد أسلم عن محمد إلياس: أنه أقام بعد الحج مدة في المدينة المنورة في شهر شوال ١٣٤٤هـ، فكان يقول: «إني أمرت في أثناء إقامتي في المدينة بالقيام بالتبليغ، وقيل: نستخدمك. فقضيت أياماً في قلق واضطراب، كيف يقوم مثلي الضعيف بهٰذا العمل؟! فقصصت هٰذه القصة أمام عارف، فقال: لماذا أنت في هٰذا القلق والاضطراب؟! فما قيل لك أن تقوم بالعمل، وإنما قيل لك: نستخدمك! فمن يرد أن يستخدمك فليستخدم»[2].

قال محمد أسلم: «وكان يقول الشيخ إلياس: إني إذا كنت أذكر؛ كنت أحس ثقلاً، فلما قلت للشيخ الكنكوهي (مرشده رشيد أحمد)، فترَعَّدَ، وقال: شكى هٰذه الشكوى الشيخ محمد قاسم إلى حاجي إمداد الله»[3].

ثم ذكر محمد أسلم شكوى الشيخ محمد قاسم نانوتوي إلى مرشده،

---

(١) «ملفوظات إلياس» لمحمد منظور النعماني (ص ٤١٥)، ط. الرشيدية، ساهيوال ـ باكستان.

(٢) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للشيخ أبي الحسن الندوي.

(٣) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للشيخ أبي الحسن الندوي.

وهي أنه قال: «كلما وضعت السبحة في يدي؛ ابتليت بمصيبة، وبلغ الثقل بحيث لو وضع عليَّ صخرات؛ كان كل صخرة منها مئة طنٍّ، ووقف اللسان والقلب. فقال الشيخ إمداد الله لمريده محمد قاسم نانوتوي: إن هٰذا فيضان النبوَّة على قلبك، وهٰذا هو الثقل الذي كان يحسُّه النبي ﷺ وقت الوحي، فيستخدمك الله بعمل كان يفعله الأنبياء»[1].

قال محمد أسلم: «ويكتب الشيخ إلياس في خطاب أرسله إلى أعضاء جماعته: إذا لم يرد الله أن يقوم أحدٌ بعمل؛ فلا يمكن حتى الأنبياء أن يبذلوا جهودهم فيقوموا بشيء، وإذا أراد الله شيئاً؛ يقم أمثالكم الضعفاء بالعمل الذي لم يستطع الأنبياء»[2].

قلت: قد اشتمل كلام محمد إلياس على طوام عظام مما ألقاه الشيطان إليه من طريق المكاشفة التي زعمها، وهي من دعوى علم الغيب، وعند الصوفية والتبليغيِّين أنها من الكرامات، وهي في الحقيقة من وحي الشيطان وتلعُّبه بهم، وكذٰلك ما زعم أنه ألقي في روعه[3] في المنام من التفسير الذي هو غاية في التخبيط والقول في القرآن بغير علم؛ فهو أيضاً من تلعُّب الشيطان به في المنام؛ فقد تلعَّب به في اليقظة والمنام، وخدعه، وأغواه، وأغراه بنشر بدع التبليغ، حتى فشت وانتشرت في الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية، وهٰذا مما يحبه الشيطان ويزيِّنه لأوليائه ويحثُّهم عليه.

وقد روى أبو الفرج ابن الجوزي بإسناده إلى سفيان الثوري: أنه قال:

---

(١) «سوانح قاسمي» (ج١ / ص٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٢) «مكاتيب إلياس» (ص ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٣) قال الجوهري: «(الروع)؛ بالضم: القلب والعقل، يُقال: وقع ذٰلك في روعي؛ أي: في خَلَدي وبالي».

«البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها».

الطامة الأولى: تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾: بمجرَّد رأيه الفاسد وما تتطلَّع إليه نفسه من نشر بدعة التبليغ.

وحاصل تفسيره للآية يرجع إلى الافتراء على الله تعالى والإلحاد في آياته.

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: «مَن فسَّر القرآن أو الحديث وتأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفترٍ على الله، ملحدٌ في آيات الله، محرِّف للكلم عن مواضعه، وهٰذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام» انتهى كلامه، وهو في (ص ٢٤٣) من المجلد الثالث عشر من «مجموع الفتاوى».

وقال الشيخ أيضاً في (ص ٣٦١) من المجلد المذكور: «مَن عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذٰلك؛ كان مخطئاً في ذٰلك، بل مبتدعاً» انتهى.

وقد ورد الوعيد الشديد لمَن فسَّر القرآن برأيه، وذٰلك فيما رواه: الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبغوي؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال في القرآن بغير علم؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وفي رواية لابن جرير: «مَن قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم؛ فليتبوأ مقعده من النار».

وفي رواية للترمذي وابن جرير والبغوي: «مَن قال في القرآن برأيه؛ فليتبوأ

مقعده من النار».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن».

وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: «مَن تكلَّم في القرآن برأيه؛ فليتبوأ مقعده من النار».

وروى: أبو داود، والترمذي، وابن جرير، والبغوي؛ عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ».

قال الترمذي: «هٰكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شدَّدوا في هٰذا في أن يفسِّر القرآن بغير علم».

وروى ابن جرير عن عبيدالله بن عمر؛ قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع».

وقال البغوي: «قال شيخنا الإمام[1] رحمه الله: قد جاء الوعيد في حقِّ مَن قال في القرآن برأيه، وذٰلك فيمَن قال مِن قِبَل نفسه شيئاً من غير علم» انتهى.

الطامة الثانية: التلويح بدعوى النبوة مع التستُّر بدعوى التبليغ، ويكاد التلويح أن يكون صريحاً في أربعة مواضع من كلامه:

الموضع الأول: قوله: «إنه أخرج للناس مثل الأنبياء»، وهٰذا صريح في دعوى المساواة بالأنبياء.

---

(١) هو القاضي حسين بن محمد بن أحمد، أبو علي المروزُذي، صاحب «التعليقة في فقه الشافعية»، توفي في المحرم سنة اثنتين وستين وأربع مئة.

قال الجوهري وغيره من أهل اللغة: «مِثْلٌ: كلمة تسوية؛ يقال: هٰذا مِثْلُه ومَثَلُه؛ كما يقال: شِبْهُه وشَبَهُه؛ بمعنى» انتهى.

ومن زعم أنه مثل الأنبياء؛ فقد ادَّعى النبوَّة، شاء أم أبى.

الموضع الثاني: قوله: «إنه أخرج إلى الأعاجم دون العرب؛ لأنه قيل فيهم: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾».

الموضع الثالث: قوله: «إني أمرت في أثناء إقامتي في المدينة بالقيام بالتبليغ، وقيل: نستخدمك».

ففي هٰذه الجملة التلويح بأنه قد أوحي إليه بالقيام بالتبليغ، ولا شك أن هٰذا من وحي الشيطان إليه، فأما وحي الرحمٰن إلى الأنبياء؛ فإنه قد انقطع عن الأرض بموت النبي ﷺ، ولا يرجع إليها إلا إذا نزل عيسى بن مريم في آخر الزمان؛ فإن الله تعالى يوحي إليه بخروج يأجوج ومأجوج، ويأمره أن يحرِّز المؤمنين إلى الطور.

الموضع الرابع: في شكواه إلى الكنكوهي أنه كان يحس ثقلاً عند الذكر، فأخبره الكنكوهي أن محمد بن القاسم نانوتوي كان يجد الثقل إذا وضع السبحة في يده، فقال له مرشده إمداد الله: «إن هٰذا فيضان النبوة على قلبك، وإن هٰذا هو الثقل الذي كان يحسه النبي ﷺ وقت الوحي، فيستخدمك الله بعمل كان يفعله الأنبياء».

وهٰذا الجواب من إمداد الله لتلميذه صريح في دعواه النبوة له، وكذا يُقال في جواب الكنكوهي لمحمد إلياس؛ لأن جوابه مبنيٌّ على جواب إمداد الله، وقد أقرَّه عليه؛ فهو إذاً مثله.

ومما يزيد هٰذه الدعوى وضوحاً قوله: «فيستخدمك الله بعمل كان يفعله

الأنبياء»، والذي يفعله الأنبياء ـ وهو من خصائصهم ـ تبليغ الوحي، فعلى ظاهر كلام الدجَّالَيْنِ أن النانوتوي وإلياس يُستَخْدَمان بتبليغ الوحي الذي كان يفعله الأنبياء، وهٰذه زلة خطيرة جدّاً.

وقد انعكست القضية عند إلياس وأتباعه، فكانوا يبلِّغون من وحي الشيطان إليهم ما هو صريح في مخالفة هدي الأنبياء عامة وهدي نبينا محمد ﷺ خاصة، وقد ذكرت جملة من مخالفاتهم في أول الفصل الذي ذكرت فيه أصولهم الستة وأول الفصل الذي بعده؛ فليراجع ذٰلك[1]؛ فإنه مهمٌّ في الرد عليهم وبيان مخالفاتهم، وليراجع أيضاً ما نقلته بعد ذٰلك عن الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد مما ذكره عنهم من المخالفات في أصلهم الثالث وما بعده[2]، ومن أعظم ذٰلك منعهم الناس من الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله؛ إلا مع ما يلائم أصولهم وتعاليمهم ومنهجهم، وإلَّا في نطاق الحكايات والأقوال والأحلام والرؤى والفضائل مما يلائم عقائدهم وخرافاتهم. ذكر ذٰلك سيف الرحمٰن عنهم في (ص ٤٣) من كتابه.

الطامة الثالثة: زعم إلياس أن أعضاء جماعته قد يقومون بالعمل الذي لم يستطعه الأنبياء.

وقد ذكر محمد أسلم في (ص ٦) من كتابه «جماعة التبليغ» نحواً من هٰذه الطامة العظيمة عن الشيخ قاسم النانوتوي، وقد ذكرتها وذكرت رد الشيخ محمد تقي الدين الهلالي عليها مع ما ذكرته عن مشايخ التبليغيين من الترهات الكثيرة؛ فليراجع ذٰلك فيما تقدَّم[3].

وقد قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في أول كتابه «السراج المنير»:

---

(١) (ص ١٥١ ـ ١٦٦).

(٢) (ص ١٩٩ ـ ٢١٣). (٣) (ص ٧٣).

«إن السياحة هي الركن الأساسي عند التبليغيِّين، فمن قبلها واشتغل بها؛ أحبُّوه وأكرموه وغفروا له ذنوبه وتقصيره وضلاله وبدعته، ومَن خالفهم فيها؛ لم يقبلوا منه شيئاً، وإن كان مؤدِّياً لجميع الواجبات، قائماً بالفرائض والسنن، متبعاً لأقوم السنن؛ فهي خلاصة دينهم، عليها يوالون أو يعادون، ويحبون أو يبغضون.

وقد ترتَّبت على دعوتهم مفاسد عظيمة في الدين والدنيا:

فأولها: الابتداع في دين الله، ومخالفة سنة رسول الله ﷺ.

وثانيها: تضييع العيال والوالدين والأزواج وإهدار حقوقهم.

ومنها: صرف المتعلمين عن تعلُّم العلوم النافعة في الدين.

ومنها: تعطيل تجارة التجار، وتضييع أهلهم ومَن يعيش معهم أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة؛ فكم من أولاد فصلوهم عن آبائهم وأمهاتهم، وكم من بُعول فصلوهم عن أزواجهم وأولادهم، فصار هٰؤلاء يشتكون إلى الله ثم إلى الناس من هٰذا الإفساد العظيم والتضليل الكبير.

فوجب على مَن كانَ عنده علمٌ يقلِّل به شرَّ هٰذه الطائفة أن يبرز علمه وأن يظهر للمسلمين ضلالهم وتضليلهم».

إلى أن قال: «إن الأمم السابقة قبل الإسلام كالبرهميَّة والبدِّية كانوا يتعبَّدون بالسياحة المجرَّدة؛ بمعنى أن الإنسان يجب عليه أن يفارق أهله وأحبَّته ويسيح في الأرض متحمِّلاً كل ما يصيبه من جوع وعطش، ماشياً على قدميه، لا يركب إلا لضرورة، ويقلل من الأكل، ويتعرَّض للحر والقر ولفح الشمس ونزول المطر، وقد فعل بُدٌّ هٰذه السياحة، وهجر زوجه وابنه، وهام على وجهه خمس سنين».

وقال أيضاً في (ص ٣٠ ـ ٣١): «يا أصحاب التبليغ! إن هٰذه السياحة

التي فتنتم بهـا الناس، وقطعتم بها الأرحام، وضيَّعتم بها العيال؛ من الأولاد والوالدين والوالدات، لو لم تكن مأخوذة من دين البراهمة؛ لكانت بدعة من أقبح البدع، وضلالة من شرِّ الضلالات؛ فكيف وهي عمدة دين عبدة الأصنام في الهند، بل هي كل شيء عندهم، فجعلتموها أنتم كل شيء في الإسلام؛ فهٰذا النشاط وهٰذا التعاون يجب أن تصرفوهما في الدعوة إلى سنة رسول الله ﷺ».

وذكر الهلالي أيضاً في (ص ٣٢): أن «مدارس التبليغيِّين كثيرة، ولكن تنقصها سنة رسول الله ﷺ، فهي مبنية على آراء الرجال» انتهى المقصود من كلامه ملخصاً.

فإن قيل: إن سياحة التبليغيِّين في مشارق الأرض ومغاربها لا تخلو من فائدة؛ فقد ذكر عنهم أنه قد أسلم على أيديهم أعداد كثيرة من المشركين وغيرهم من أهل الملل المخالفة لدين الإسلام.

فالجواب أن يُقال: إن هٰذه الفائدة وإن كانت حسنة في مبدئها؛ فإنها في الغالب لا تخلو من المساوىء في نهايتها، وذٰلك أنه لم يُذكر عن الذين يُسْلِمون على أيدي التبليغيِّين أنهم بعد إسلامهم يتمسَّكون بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يكونون في الغالب مندمجين مع التبليغيِّين ومتمسِّكين بما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات والخرافات، ومَن كانوا بهٰذه الصفة؛ فإنه لا يُفرَح بإسلامهم؛ لأنهم يكونون من الثنتين وسبعين فرقة التي أخبر النبي ﷺ أنها في النار، وإنما يفرح بإسلام الذين يكونون بعد إسلامهم متمسِّكين بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهي العقيدة التي أخبر النبي ﷺ بنجاة أهلها من النار؛ كما جاء ذٰلك في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلاَّ ملة واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

رواه: الترمذي، ومحمد بن وضاح، ومحمد بن نصر، والحاكم، والآجري.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن غريب».

وروى الطبراني في «الصغير» نحوه من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وكيف يُفرح بإسلام أناس يكونون أتباعاً لأناس يمنعونهم من التصريح بالكفر بالطَّاغوت والنهي عن المنكر، ويجعلون هٰذا المنع أصلاً من أصولهم التي يدعون الناس إليها؟! ومن أصولهم أيضاً تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً.

وكيف يُفرح بإسلام أناس يكونون أتباعاً لأناس كانوا يرابطون على القبور وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويستعملون التمائم والتعاويذ الشركية والشعوذة والأحوال الشيطانية في الاستشفاء من الأمراض، علاوة على ما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات وفساد العقيدة، ولا سيما في توحيد الألوهية، الذي هو أعظم أصول الإسلام؟!

ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فإنه لا يُفرح بإسلام الذين يُسْلمون على أيديهم، ويكونون مندمجين معهم وتابعين لهم على ما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات وفساد العقيدة.

وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية»: «أن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسي ـ ويقال له: الديلمي ـ كان مجوسيّاً فأسلم؛ إلا أنه سلك سبيل الرافضة، وكان ينظم الشعر القوي في مذاهبهم من سب الصحابة وغيرهم، حتى قال له أبو القاسم بن برهان: يا مهيار! انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار. قال: كيف؟! قال: لأنك كنت مجوسيّاً فأسلمت فصرت تسبُّ الصحابة».

وقد ذكر هٰذه القصة أيضاً كثيرٌ من المؤرِّخين ممَّن كانوا قبل زمان ابن كثير وممَّن كانوا بعد زمانه، ولم ينكر أحدٌ منهم قول ابن برهان لمهيار، فدلَّ على موافقتهم له ورضاهم بقوله.

وهٰذه القصة مطابقة لحال الذين يسْلِمون على أيدي التبليغيِّين ثم يصيرون تابعين لهم على البدع والضلالات والجهالات وفساد العقيدة؛ فإنهم في الحقيقة قد انتقلوا من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار.

والدليل على ذٰلك ما تقدم من حديث عبدالله بن عمرو وأنس رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ أخبر عن أهل البدع والأهواء أنهم كلهم في النار.

وقد قيل: إن التبليغيِّين إنما كانوا يدعون الناس إلى الإسلام ليكثروا سوادهم في مجامعهم بكثرة الأتباع، وليس هٰذا ببعيد.

وقد ذكر الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في (ص ١٠ ـ ١١) من كتابه «السراج المنير»: «أن أحد رؤساء التبليغيين أخبره أنه أقام يوماً وليلة في قبة تُعبد من دون الله، وصلى في المسجد المتصل بها خمس صلوات، وهو يعلم ما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»؛ يحذر ما صنعوا، ولولا ذٰلك لأبرز قبره؛ غير أنه خُشي أن يُتَّخَذ مسجداً.

وعن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما: أنهما وصفتا لرسول الله ﷺ كنيسة بأرض الحبشة، وذكرتا من حسنها وما فيها من تصاوير، فقال النبي ﷺ: «أولٰئك قومٌ-إذا مات فيهم الرجل الصالح؛ بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولٰئك شرار الخلق عند الله».

فلَعْن النبيِّ ﷺ اليهود والنصارى إنما وقع لتحذير أمته أن يعملوا مثل عملهم، ومَن صلى عند قبر؛ فقد اتَّخذ ذٰلك المكان مسجداً؛ أي: موضع سجود، سواء أكان عليه بناء أم لا.

فقلت له: كيف تترك خمس صلوات ولا تخاف لعن رسول الله ﷺ لمَن عمل ذٰلك العمل، ومَن ترك صلاة واحدة حتى خرج جميع وقتها؛ فهو كافر بإجماع الصحابة؟!

فلم يستطع جواباً! ولو أجاب وأفشى السر؛ لقال: إني صليت في ذٰلك الوثن تودُّداً إلى المشركين ليقبلوا دعوتي للخروج إلى السياحة، ويعلموا أني مسالم لهم، غير منكر عليهم!

فما أشد شؤم هٰذه الدعوة النحسة على أهلها، والتي توقعهم في ترك الصلاة ـ وهو كفر ـ، والصلاة التي صلوها عند الأوثان باطلة قطعاً؛ لأن القبول لا يجتمع مع لعن فاعليها».

قلت: ومن هٰذا القبيل ما ذكره محمد أسلم في (ص ١٣) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ»: «أن شيخ التبليغيِّين محمد إلياس كان يجلس في أكثر الأحيان خلف قبر عبدالقدوس الكنكوهي، وكان يجلس في الخلوة قرب قبر نور سعيد البدايوني، ويصلي بالجماعة هناك».

فهٰذا الفعل من شيخ التبليغيِّين محمد إلياس شبيه بفعل الرئيس التبليغي الذي أنكر عليه الشيخ الهلالي وشدَّد عليه في صلاته عند الوثن، وأخبره أن

صلاته عند الأوثان باطلة قطعاً.

ثم ذكر الشيخ الهلالي عن التبليغيِّين أنهم يسمون تغيير المنكر خوضاً فيما لا يعني وفضولاً وطيشاً، والله تعالى لم يفرِّق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه العزيز، فمَن منع أحدهما؛ فقد منع الآخر، ومَن قال: لا حاجة بنا إلى تغيير المنكر، سواء أكان شركاً أو بدعة أو معصية؛ فقد كذب الكتاب والسنة.

قال تعالى في صفة المنافقين: **﴿المُنافِقونَ والمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرونَ بالمُنْكَرِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المعْرُوفِ ويَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إنَّ المُنافِقينَ هُمُ الفاسِقونَ . وَعَدَ اللهُ المُنافِقينَ والمُنافِقاتِ والكُفَّارَ نَارَ جَهنَّمَ خَالِدينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ ولَعَنَهُمُ اللهُ ولَهُمْ عَذابٌ مُقيمٌ﴾**.

وقال تعالى في صفة المؤمنين: **﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. وَعَدَ اللَّهُ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خَالِدينَ فِيها ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ ورِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذٰلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾**.

قال محمد تقي الدين: «فلا يسلم من النفاق ويتَّصف بالإيمان إلاَّ مَنْ جمع بينهما» انتهى كلامه.

● ● ● ● ●

فصلٌ

وقـد اغتـرَّ كثيرٌ مِن النـاس بدعـوة أهـل التبليغ إلى الخروج معهم في سياحاتهم المبتدَعة، وظنُّوا أنهم صادقون في زعمهم أنه من الجهاد، بل على حدِّ زعمهم الكـاذب أنـه الجهـاد الأكبـر! ولـو كان الاغترار بدعوة التبليغيِّين ومزاعمهم الكاذبة مقصوراً على الجهَّال والعوام؛ لكان الأمر في ذٰلك أخف، ولكنه ـ ويا للأسف الشديد ـ قد استهوى كثيراً من المنتسبين إلى العلم، وصار له أثر بالغ فيهم.

وقـد تسـرَّب هٰذا الشر المستطير إلى قلب الجزيرة العربية بعد أن كان مطروداً عنها منذ زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى إلى زماننا.

ثم إن التبليغيِّين في زماننا وضعوا مصايدهم لأهل الجزيرة العربية، فوقع فيهـا كثيرٌ من السذَّج والجهال، ووقع فيها أيضاً بعض المنتسبين إلى العلم، ولكنهم قليل ولله الحمد.

وقـد كان لبعض هٰؤلاء نشاط في الدعوة إلى الخروج مع التبليغيِّين في سياحـاتهم المبتـدعـة، وهٰـذا الضـرب ينبغي أن يعـاملوا معـاملة أهل البدع وأتباعهم، وذٰلك بإظهار البغض لهم، وهجرهم، واجتنابهم؛ ما داموا مع جماعة التبليغ.

ومن المنتسبين إلى العلم أناس أحسنوا الظنَّ بجماعة التبليغ، وأكثروا من

الثناء عليهم، والذبِّ عنهم؛ اعتماداً على ما يذكره لهم المتساهلون في نقل الأخبار عنهم ممَّا يرون أنه من محاسنهم، وهم مع هٰذا يعرِضون عن ذكر ما يرون أنه من مساويهم.

ولا شكَّ أن مساوىء التبليغيِّين تزيد على ما يُذكر عنهم من المحاسن بأضعاف مضاعفة، ويشهد لهٰذا ما ذكره العلماء المطلعون على أخبارهم وما عليه مشايخهم الكبار من فساد العقيدة، ولا سيما في توحيد الألوهية الذي هو أعظم أصول الإسلام، وما هم عليه أيضاً من الافتتان بالقبور وأهلها والمرابطة على القبور لانتظار الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور؛ علاوة على ما هم عليه من الإيمان بالطرق الأربع من طرق الصوفية، وهي: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، وهم مع إيمانهم بهٰذه الطرق يزعمون أنه لو مات أحد ولم يبايَع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهلية.

ذكر ذٰلك محمد أسلم في (ص ٤٢) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ».

وذكر أيضاً في (ص ٤٦ ـ ٤٧) عن الشيخ عامر عثماني ـ أحد كبار علماء ديوبند ـ: أنه قال عن التبليغيِّين: «إنهم يعتقدون أن شيوخهم محفوظون عن الخطأ؛ أي: معصومون عنه، وإن أكابرهم الموجودين يتيقَّنون أن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب والاستجابة والتصرفات الروحانية والمكاشفات والإلهامات حقٌّ وصدقٌ قطعاً...».

إلى غير ذٰلك مما ذكره العلماء عن مشايخ التبليغيِّين من أنواع الشرك والبدع والضلالات والجهالات والخرافات التي تخالف العقل والدين وتشمئز من سماعها قلوب أهل الإيمان.

ومن أهم الكتب التي ذُكرت فيها مساوىء مشايخ التبليغيِّين الكبار كتاب سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة

التبليغية»، وكتاب القائد محمد أسلم الباكستاني المسمَّى «جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها»، وهٰذا الكتاب يمتاز بنقل مساوىء مشايخ التبليغيِّين من كتبهم، وذكر مواضعها في تلك الكتب؛ فليراجعه المعجبون بجماعة التبليغ، والظانُّون بهم الظنون الحسنة؛ فلعلهم بعد الاطلاع على مساويهم الكثيرة يرجعون عمَّا هم عليه من تصديق الأقوال الخاطئة التي تنقل إليهم في مدح التبليغيِّين وتعداد محاسنهم، ويبدِّلون المدح لهم والثناء عليهم بالمبالغة في ذمهم وذكر مساويهم، ويبدِّلون الذبَّ عنهم بالمبالغة في التحذير منهم والحثِّ على معاملتهم بما كان السلف الصالح يعاملون به أهل البدع؛ فقد كانوا يبالغون في التحذير منهم، وينهون عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم، ويأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم، وقد ذكرت جملة من أقوالهم في ذٰلك في أول الكتاب[1]؛ فلتراجع فإنها مهمة جدّاً.

وقد قال أبو داود: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدع؛ أترك كلامه؟ قال: «لا، أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه؛ فكلِّمه، وإلا؛ فألحقه به؛ قال ابن مسعود: المرء بخدنه».

وهٰذه الرواية عن الإمام أحمد ينبغي تطبيقها على الذين يمدحون التبليغيِّين ويجادلون عنهم بالباطل، فمَن كان منهم عالماً بأن التبليغيِّين من أهل البدع والضلالات والجهالات، وهو مع هٰذا يمدحهم ويجادل عنهم؛ فإنه يُلحق بهم، ويُعامل بما يعاملون به؛ من البغض والهجر والتجنُّب، ومَن كان جاهلاً بهم؛ فإنه ينبغي إعلامه بأنهم من أهل البدع والضلالات والجهالات، فإن لم يترك مدحهم والمجادلة عنهم بعد العلم بهم؛ فإنه يُلحق بهم ويُعامل بما

---

(١) (ص ٣١ - ٣٤).

يُعاملون به.

وقد ذكرتُ في أثناء الكتاب قصصاً كثيرة عن أكابر مشايخ التبليغيِّين، وفيها من الشرك والبدع والضلالات والجهالات والخرافات شيء كثير جدّاً؛ فليراجَع ذٰلك فيما تقدَّم[1]، وليراجَع ما بعد ذٰلك من الصفحات إلى (ص ٢٢٧)؛ ففيها بيان كثير مما عليه التبليغيُّون من البدع والضلالات والجهالات التي تخالف العقل والدين.

وقد تركت كثيراً من هَوَسِهم وخزعبلاتهم وضلالاتهم وجهالاتهم، فلم أذكرها؛ لئلا يطول الكتاب بذٰلك، وفيما ذكرته عنهم كفاية إن شاء الله تعالى في بيان مساويهم وفساد عقائدهم وجهلهم بالتوحيد الذي لا يصحُّ الإسلام بدونه.

والله المسؤول أن يفتح على قلوب المعجبين بهم، وينوِّر بصائرهم، حتى يعرفوا ما عليه التبليغيُّون من الزيغ والضلال والبعد عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وأنهم في الحقيقة ضالُّون مضلُّون، وإذا عرفوا هٰذا عنهم؛ فينبغي أن يعاملوهم بمثل معاملة السلف لأهل البدع والأهواء، والله الموفق.

●●●●●

(١) (ص ٣٨ - ١٥٠).

فصلٌ

وقد رأيت صورة رسالة كتبها أحد أتباع التبليغيِّين وأرسلها إلى أميرهم في زماننا، وإلى مَن هم على شاكلته من علمائهم.

وهٰـذا الـرجل معروف بالانضمام إلى التبليغيِّين والسير في ركابهم منذ ثلاثين سنة أو أكثر، وله نشاط في الدعوة إلى الانضمام إليهم والخروج معهم في سياحاتهم المبتدعة، وقد جازف في مدحهم غاية المجازفة، وجاوز حد المعقول في إطرائهم ووصفهم بصفات التعظيم التي لا تنطبق عليهم؛ فقد زعم أنهم العلماء الأعلام! وأنهم القائمون بالدعوة إلى الله! وأنهم المتَّبعون لسنة رسول الله ﷺ!! وأنهم من العلماء العاملين لإحياء سنة رسول الله ﷺ!!

وهٰذه المجازفات ليس لها مستند صحيح، وإنما هي من قلب الحقائق، وإنه لينطبق على الكاتب قول النبي ﷺ: «حُبُّك الشيء يُعْمي ويُصمُّ».

رواه: الإمام أحمد، وأبو داود؛ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

ـ فأمـا زعمه أنهم العلماء الأعلام؛ فالجواب عنه أن يُقال: إن هٰؤلاء الذين أشار إليهم ليسوا بعلماء؛ فضلاً عن أن يكونوا من العلماء الأعلام، وذٰلك لأنهم كانـوا في غاية الجهل بأشرف العلوم وأعلاها مرتبة، وهو العلم بتوحيد الألوهية، الذي هو أصل الإسلام، فلا يصح الإسلام بدون هٰذا التوحيد، ولا يوصَف بالعلم مَن كان جاهلاً به.

ولا شكَّ أن علماء التبليغيِّين مفلسون غاية الإفلاس مـن هٰذا العلم ؛ لأن توحيدهم وعلمهم بالتـوحيد مقصورٌ على توحيد الربوبية ؛ فهم لا يزيدون في التوحيد على ما كان عليه المشركون في زمان رسول الله ﷺ، وهم أيضاً مفلسون من العلم بتوحيد الأسماء والصفات ؛ لأنهم في هٰذا الباب أشاعرة وماتريدية ، وهم أيضاً مفلسون من العلم بعقيدة أهل السنة والجماعة على وجه العموم ، ومَن كانوا بهٰذه الصفات من الجهل ؛ فليسوا من العلماء ؛ فضلاً عن أن يكونوا من العلماء الأعلام .

ــ وأما زعمه أنهم القائمون بالدعوة إلى الله ؛ فالجواب عنه أن يُقال : إن هٰذه الصفة لا تنطبق عليهم ؛ لأن دعوتهم ونشاطهم فيها قائم على بثِّ البدع والضلالات والجهالات والخرافات ، وكتبهم التي يعتمدون عليها تشهد عليهم بذٰلك ، وكذٰلك أعمالهم في محافلهم واجتماعاتهم ؛ لأنها تكون معمورة بإلقاء البيانات عمَّا يزعمونه من حصول الكرامات لهم ، ومعمورة أيضاً بإلقاء القصص الخرافية والمنامات والدعاوى الكاذبة ، وما كان بهٰذه الصفة ؛ فليس من الدعوة إلى الله ، وإنما هو من الدعوة إلى سبل الضلال .

ــ وأما زعمه أنهم المتَّبعون لسنة رسول الله ﷺ ؛ فالجواب عنه أن يُقال : إن مشايخ التبليغيِّين مفلسون من هٰذه الصفة غاية الإفلاس ؛ لأنهم قد جهلوا التوحيد الذي هو أعظم أصول الإسلام ، وجهلوا العمل به ، ومَن كانوا جاهلين بهٰذا الأصل العظيم وبالعمل به ؛ فهم بعيدون كل البعد عن اتباع سنة رسول الله ﷺ .

وقد كانت سنة رسول الله ﷺ وعمله في مكة مقصوراً على الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك ، ثم لما فرضت الصلاة في آخر مقامه بمكة ؛ كان يأمر بإقامتها مع الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك .

وقـد تقـدَّم عن كبار مشايخ التبليغيِّين أنهم كانوا يرابطون على القبور، ويصلون عنـدهـا، وينتـظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور.

وتقدَّم في أول الكتاب عن إنعام الحسن وعمر بالنبوري الذي يعتبر لسان الدعوة التبليغية الناطق أنهما استعملا التعاويذ الشركية والتمائم في دفع السحر عنهمـا، واستعملا أيضاً الشعوذة والأحوال الشيطانية للاستشفاء ممَّا توهَّم كل منهما أنه قد أصيب به من السحر.

وتقدم في القصص عن غيرهما من كبار مشايخ التبليغيِّين كثير من أنواع الشرك الأكبر ومن البدع والضلالات والجهالات والخرافات.

وهٰذه الأشياء مخالفة لسنة رسول الله ﷺ أعظم المخالفة، فالمتلوِّثون بها بعيدون كل البعد عن اتِّباع سنة رسول الله ﷺ.

ـ وأما زعمه أنهم من العلماء العاملين لإحياء سنة الرسول ﷺ؛ فالجواب عنه أن يُقال: إن مشايخ التبليغيين بعيدون كل البعد عن اتباع سنة رسول الله ﷺ؛ فضـلاً عن العمـل لإحيائهـا، وإنمـا هم في الحقيقـة يحيون البـدع والضـلالات والجهـالات والخـرافـات، ولا سيما طرائقهم الأربع التي هي: الجشتية، والنقشبنـدية، والقـادرية، والسهـروردية؛ فهم يؤمنون بهٰذه الطرق الأربـع، ويبايعون أتباعهم عليها، ويزعمون أنه لو مات أحدُ ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهلية.

ومن بدعهم التي يحافظون على إحيائها عمارة محافلهم ومجامعهم بإلقاء البيانات عما يزعمونه من حصول الكرامات لهم، وعمارتها أيضاً بذكر القصص الخرافية والمنامات والدعاوى الباطلة؛ فهٰذه هي سنن التبليغيِّين التي يحرصون كل الحرص على إحيائها، فأما إحياء سنة الرسول ﷺ؛ فإنه من أعمال أئمة أهل

السنة والجماعة، وليس من أعمال التبليغيِّين.

ـ ومن مجازفات الكاتب أيضاً في مدح التبليغيِّين زعمه أن دعوتهم لها محاسن وفوائد لا يستطيع أحدٌ أن يحصرها مهما بلغ من الفصاحة والبيان.

والجواب أن يُقال: هٰذه المجازفة مردودة بما تقدَّم ذكره عنهم من المساوي الكثيرة التي هي أضعافُ أضعافِ ما يُقال فيهم من المحاسن؛ فليراجع ذٰلك في (ص ٣٨ إلى ص ١٥٠)؛ ففي هٰذه الصفحات من القصص السيئة ما تشمئز من سماعه قلوب أهل الإيمان، وليراجع ما قبل هٰذه الصفحات وما بعدها؛ ففيه من قصصهم السيئة شيء كثير.

وكل ما ذكر عنهم من المساوىء؛ فهو منقول من كتبهم، أو من كتب المطَّلعين على أخبارهم، ولا سيما كتاب سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»، وكتاب محمد أسلم الباكستاني المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»؛ ففي هٰذين الكتابين أبلغ ردٍّ على مجازفة الكاتب في مدح التبليغيِّين ومدح دعوتهم ووصفها بما هي بعيدة عن الاتصاف به.

ـ ومن مجازفاته أيضاً زعمه أن بعض دعاة التبليغيِّين الكبار جاهدوا في سبيل الله لإنجاح هٰذه الدعوة، حتى حصل على أيديهم خير كثير، واهتدى بدعوتهم خلق كثير.

والجواب عن هٰذا من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن الجهاد في سبيل الله تعالى هو جهاد الكفار بالسيف والسنان، وجهاد المنافقين بالحجة والبيان؛ فهٰذا هو الجهاد الذي أمر الله به رسوله ﷺ في آيتين من سورة براءة وسورة التحريم، وهما قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ ومَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المَصيرُ﴾**.

وهٰذا الجهاد ليس للتبليغيِّين فيه نصيب ألبتة، وإنما جهادهم الذي يتشدَّقون به هو السياحة المحدثة في الإسلام لاصطياد السذَّج من المسلمين؛ ليكونوا من أتباعهم، ويدخلوا في دائرتهم وحلقتهم.

وهٰذه السياحة المحدَثة يجب ردُّها وجهاد القائمين بها؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ»؛ أي: مردود.

وفي رواية لأحمد: «مَن صنع أمراً من غير أمرنا؛ فهو مردودٌ».

وهٰذه الرواية إسنادها صحيح على شرط مسلم.

وروى: الإمام أحمد، وأهل «السنن»، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»؛ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وصححه أيضاً: الحاكم، وابن عبدالبر، والذهبي.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، ومسلم، وابن ماجه، والدارمي؛ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها،

وكل بدعة ضلالة».

وقد رواه النسائي بإسناد جيد، ولفظه: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وروى ابن ماجه نحوه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وإذا عرضنا سياحة التبليغيِّين على هٰذه الأحاديث، وعرضنا أيضاً ما ابتدعوه لها من تحديد وقت الخروج بثلاثة أيام في الشهر، وأربعين يوماً في السنة، وأربعة أشهر في العمر؛ وجدنا ذٰلك كله من الشرع في الدين بما لم يأذن به الله، وما أعظم الخطر في ذٰلك! ووجدناه أيضاً مخالفاً لهدي رسول الله ﷺ وسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين في جهاد المشركين وأهل الكتاب، وما كان بهٰذه الصفة الذميمة؛ فإنه يجب جهاد القائمين به، والأخذ على أيديهم، وأطرهم على الحق.

الوجه الثاني: أن يُقال: إن سبيل الله التي أمر عباده المؤمنين بالجهاد فيها هي ما كان عليه رسول الله ﷺ من الدعوة إلى توحيد الألوهية، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، والنهي عن الشرك كبيره وصغيره، والنهي عن البدع والمحدثات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل الجهد في إعلاء كلمة الله، ونشر ما بعثه الله به من الهدى ودين الحق، ورفع عَلَم الجهاد لقتال المشركين وأهل الكتاب حتى يدخلوا في الإسلام أو يؤدي أهل الكتاب الجزية، وأما المشركون؛ فإنهم يقتلون إذا أبوا أن يدخلوا في الإسلام.

فهٰذه هي طريقة النبي ﷺ في الجهاد، وهي طريقة الخلفاء الراشدين المهديين وغيرهم من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان، وليس

للتبليغيِّين من هٰذه الطريقة نصيب ألبتة.

وقد تقدَّم ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد عن التبليغيِّين أنهم «يمنعون الناس عن الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله في حلقتهم خاصة؛ إلا في كابوس أصولهم وتعاليمهم ومنهجهم، وإلَّا في نطاق الحكايات والأقوال والأحلام والرؤى الصالحة والفضائل مما يلائم عقائدهم وخرافاتهم». انتهى، وهو في (ص ٤٣) من كتابه.

فهٰذا هو سبيل التبليغيِّين الذي يدعون إليه، وهو من سُبُل الضلال، وليس من سبيل الله في شيء ألبتة.

ومن سبل الضلال التي يدعو إليها التبليغيُّون أيضاً ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت، وترك الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وبصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، والتجنُّب بشدة، بل المنع بعنف عن الصراحة بالكفر بالطاغوت وعن الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح.

ومن سبل الضلال التي قد افتتن بها كثير من أكابر مشايخ التبليغيِّين مرابطتهم على القبور، وصلاتهم عندها، وانتظارهم الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، واستعمالهم التمائم والتعاويذ الشركية.

ومن سبل الضلال التي يحافظ عليها التبليغيُّون إيمانهم بالطرق الأربع من طرق الصوفية، وهي: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، ويزعمون أنه لو مات أحد ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهلية...

إلى غير ذٰلك من سبل الضلال التي يعمل بها التبليغيُّون ويدعون إلى العمل بها، وهي كثيرة جدّاً، وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد ومحمد

أسلم في كتابيهما كثيراً منها، وقد ذكرت بعض ذٰلك في عدة مواضع من هٰذا الكتاب.

والمقصود هنا بيان أن التبليغيِّين بعيدون كل البعد عن الجهاد في سبيل الله، وأنهم واقعون في سبل الضلال التي يدعو إليها الشيطان ويرغب فيها؛ فهي سُبُلُهم التي يعملون بها ويدعون إليها ويجاهدون فيها.

الوجه الثالث: أن يُقال: ما زعمه الكاتب من حصول الخير الكثير على أيدي بعض دعاة التبليغيِّين الكبار، وأنه قد اهتدى بدعوتهم خلق كثير؛ فكله من المجازفات والدعاوى التي لا أساس لها من الصحة، والأدلَّة على بطلانها كثيرة جدّاً:

فمنها ما هو معلوم عن التبليغيِّين من الجهل بتوحيد الألوهية الذي هو أعظم أصول الإسلام؛ فهم لا يعرفون هٰذا الأصل العظيم الذي لا يصحُّ الإسلام بدونه، بل يجعلون معناه معنى توحيد الربوبية الذي قد أقرَّ به المشركون، ولم ينفعهم إقرارهم به، ولم يدخلوا بذٰلك في الإسلام، ومَن كانوا جاهلين بأعظم أصول الإسلام، لا يعرفونه، ولا يدعون إليه؛ فلا شكَّ أن دعوتهم ستكون خالية من الخير والهدى.

ومنها ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد عن التبليغيِّين أنهم يمنعون الناس من الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله... إلى آخر ما ذكره عنهم في هٰذا الموضوع، وتقدَّم ذكره في الوجه الثاني، ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فلا شكَّ أن دعوتهم ستكون خالية من الخير والهدى.

ومنها ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد عن التبليغيِّين أن من أصولهم التي يدعون الناس إليها ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر

بالطاغوت والنهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، والتجنُّب بشدَّة بل المنع بعنف عن الصراحة بالكفر بالطاغوت وعن الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح، ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فلا شكَّ أن دعوتهم ستكون خالية من الخير والهدى.

وأنى يكون الخير والهدى في دعوة قوم ليس لهم نصيب من الاستمساك بالعروة الوثقى؛ لأنهم قد تركوا شرطاً من شروط الاستمساك بها، وهو الكفر بالطاغوت؟!

وأنَّى يكون الخير والهدى في دعوة قوم قد خالفوا دعوة المرسلين جميعاً، وذٰلك بتعطيلهم جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر؟!

ومن هٰذه النصوص:

قول الله تعالى: ﴿**ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدى اللهُ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدونَهُ مَكْتوباً عِنْدَهُمْ في التَّوْراةِ والإِنْجيلِ يَأْمُرُهُمْ بالمَعْروفِ ويَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ**﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرونَ بالمَعْروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنونَ بِاللهِ**﴾.

إلى قوله تعالى في ذكر أهل الكتاب: ﴿**مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وهُمْ يَسْجُدونَ . يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ويَأْمُرونَ بالمَعْروفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾.

والآيات والأحاديث بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر كثيرة جدّاً،

وليس هٰذا موضع ذكرها، وإنما المقصود هنا التنبيه على بطلان ما زعمه الكاتب من حصول الخير الكثير على أيدي بعض دعاة التبليغيِّين الكبار، وأنه قد اهتدى بدعوتهم خلق كثير.

ومن الأدلَّة على بطلان هٰذا الزعم أيضاً ما هو معروف عن التبليغيِّين من ترويج الكتب المشتملة على الأباطيل وأنواع الضلال؛ مثل كتاب «تبليغي نصاب» وغيره من كتب مشايخ التبليغيِّين، وهي كثيرة، ولا حاجة إلى ذكرها.

وكذٰلك ترويجهم لكتب الأذكار والأوراد المبتدعة؛ كـ «الحزب الأعظم» و«دلائل الخيرات» و«قصيدة البردة» وما شاكل ذٰلك من الأذكار والأوراد المبتدَعَة التي قد افتتن بها التبليغيُّون، وافتتنوا بترويجها في أسفارهم للدعوة والتبليغ، وزعموا أنها ترقِّق القلوب.

ومَن كان اعتمادهم على الكتب والأذكار والأوراد المشتملة على الشرك والبدع والضلال؛ فلا شكَّ أن دعوتهم ستكون خالية من الخير والهدى.

وقد ذكرت في أثناء الكتاب قصصاً كثيرة من قصص الشرك الأكبر وفساد العقيدة وغير ذٰلك من أنواع الضلال الذي قد وقع من كبار مشايخ التبليغيِّين؛ فليراجع ما تقدَّم[1]؛ ففيه أبلغ ردٍّ على من مدحهم ومدح دعوتهم وزعم أنه قد حصل على أيديهم خير كثير واهتدى بدعوتهم خلق كثير.

وبعد؛ فنحن لا ننكر أن يكون قد أجاب التبليغيِّين إلى الإسلام أعدادٌ كثيرة من المشركين وغيرهم من أهل الملل، ولكن لا عبرة بإظهار الإسلام مع البقاء على ما يناقضه من الشرك والعقائد الفاسدة، وقد كان المنافقون يظهرون الإسلام وهم في الباطن على خلافه، وكذٰلك الباطنية وغيرهم من أهل الملل والنحل التي ينتسب أهلها إلى الإسلام وهم في الباطن على خلافه؛ فهٰؤلاء لا

(١) (ص ٣٨ - ١٥٠)، و(ص ٢١١).

ينفعهم إظهارهم للإسلام شيئاً ما داموا على خلافه.

وقد ذكرتُ قريباً أنه لم يُذكر عن الذين يسلمون على أيدي التبليغيِّين أنهم بعد إسلامهم يتمسَّكون بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يكونون في الغالب مندمجين مع التبليغيِّين ومتمسِّكين بما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات والخرافات.

ومَن كانوا بهٰذه الصفة؛ فإنه لا يُفْرَح بإسلامهم؛ لأنهم يكونون من الثنتين وسبعين فرقة التي أخبر النبي ﷺ أنها في النار؛ فليراجع ما تقدَّم[1]؛ فإنه مهمٌّ جدّاً.

●●●●●

(١) (ص ٢٢٣ - ٢٢٦).

فصلٌ

ثم إن الرجل المفتون بالتبليغيِّين عاد باللائمة على أمير التبليغيِّين وغيره من علمـائهم الكبار، وذكر في رسالته إليهم أشياء كثيرة من بدعهم وأعمالهم السيئة، ونَقَدَها نقداً جيداً، وقال في آخر رسالته: «إنه يجب أن نعرض جميع اعتقاداتنا وأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا على منهج الرسول ﷺ»!

وبهٰذا يكون الرجل المفتون بالتبليغيِّين قد نقض ما قدَّمه من المجازفات في مدحهم، ومدح دعوتهم، ووصفهم بصفات التعظيم التي لا تنطبق عليهم.

وسـأذكر ها هنا ملخص ما جاء في رسالته من النقد لبدعهم وأعمالهم السيئـة، وإن كان قد تقـدَّم نقـدها مبسوطاً ومكرراً في كلام غيره من العلماء المطَّلعين على أخبار التبليغيِّين، وذٰلك لما في تكرار النقد من زيادة الإيضاح لأحوال التبليغيِّين والتحذير منهم ومن بدعهم وضلالاتهم وجهالاتهم وخرافاتهم التي قد فشت في المسلمين وافتتن بها كثير من السذَّج والجهَّال الذين هم أتباع كل ناعق.

● الأولى من كلماته في النقد:

قوله في آخر (ص ٢) وما بعدها إلى أول (ص ٥): «١ ـ إن بعض الدعاة الكبار الذين جاهدوا لإنجاح هٰذه الدعوة؛ لا يزال هٰؤلاء الدعاة القدامى يقومون ببعض الأذكار الصوفية المخالفة لهدي الرسول ﷺ، الأمر الذي يمنع كثيراً من

الناس من الدخول بهٰذه الدعوة؛ لأن كثيراً من الناس إنما يتأثَّرون بالسلوك الشخصي أكثر مما يتأثَّرون بالكلام والأعمال الظاهرة؛ لهٰذا فقد شاهدنا أن بعض مَن دخلوا في الدعوة خرج عنها لهٰذا السبب، ولأن هٰؤلاء الدعاة يقولون للناس دائماً: إن فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة باتباع أوامر الله تعالى على طريق رسول الله ﷺ، ثم هم سرّاً يقومون بأعمال ليس عليها أمر الله ولا أمر رسوله ﷺ؛ إذ لم يعملها رسول الله ﷺ، ولا عملها أصحابه رضي الله عنهم من بعده، ولا عملها كذلك السلف الصالح من التابعين وغيرهم، ولا عرفها كذٰلك الأئمة الكرام أمثال أبي حنيفة وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى.

ومن المعلوم أن هٰذه الأذكار المحدثة على الكيفية الموجودة الآن ليست من المسائل المختلف فيها فيعذر أصحابها، وكان المطلوب من الدعاة أن يتجنَّبوا كل شيء يخالف سنة الرسول ﷺ، بل هٰذا مما يتحتَّم، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم؛ كما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فلا يخفى علينا حديث الرسول ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس»، رواه مسلم[1]، والحديث الآخر: «استفت قلبك، البر ما اطمأنَّت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»[2].

وأما أن يكون للشخص عملان: أحدهما ظاهر يدعو الناس إليه، والآخر باطن يخفيه عن الناس؛ فهٰذا لا يتَّفق مع حال المؤمن، وأعاذنا الله جميعاً من حال أهل النفاق الذين قال الله فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ

---

(١) رواه: الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والدارمي؛ من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم والذهبي.

(٢) رواه: الإمام أحمد، والدارمي؛ من حديث وابصة بن معبد الأسدي رضي الله عنه، وروى الإمام أحمد أيضاً نحوه من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

اللهِ وهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وكَانَ اللهُ بِما يَعْمَلونَ مُحيطاً﴾ .

إذ من المعلوم أن الـرسـول ﷺ لم يُخْفِ عن أمتـه شيئاً، حتى أحواله الـداخلية؛ كان نسـاؤه رضي الله عنهن يروينهـا للناس، وكان أصحابه أيضاً كذٰلك، فكان كل فردٍ منهم كما قيل:

فَسِـرِّي كَإِعْـلانِي وتِلْكَ خَليقَتي وظُلْمَـةُ لَيْلِي مِثْـلُ ضَـوءِ نَهَـاري

وأعاذنا الله جميعاً من أحوال المنحرفين عن الصراط المستقيم، الذين خرجـوا عن الإسـلام؛ زاعمين أن للإسلام باطناً وظاهراً؛ مثل غلاة الشيعة، الذين يسميهم علماء الإسلام باطنية؛ كالإسماعيلية وغيرهم والمتصوفة.

ولا يخفى أنه لا يجوز أن نتشبَّه بأهل الباطل، ولا بواحد في المئة، ولا ننسى الأثر عن الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هٰذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، وأراني قد قسوت على حضراتكم بذٰلك».

● **الثانية من كلماته في النقد:**

قولـه في أول (ص ٥): «٢ ـ أخـذ البيعـة على بعض الـطرق الأربع المشهورة: الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية؛ إذ لم يرد لها دليل صحيح عن النبي ﷺ، بل من المعروف أنها من المحدثات، وقد قال النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1].

ولئن فَعَلْتَ وأخذتَ البيعة على بعض الناس خشية من بعض الناس أو

---

(١) رواه: الإمام أحمد، وأهل السنن؛ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الترمذي والحاكم وابن عبدالبر والذهبي، وليس فيه قوله: «وكل ضلالة في النار»، وإنما ذٰلك في رواية للنسائي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وإسنادها جيد.

خوفاً من بُعْدِهم؛ فالله أحق أن يخشى وأن يُخاف منه؛ فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «من التمس رضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس»(١)».

● **الثالثة من كلماته:**

قوله في آخر (ص ٥) إلى أثناء (ص ٦): «٣ ـ «تبليغي نصاب»: لا يخفى أنه قد احتوى على ما يخالف الشرع من بعض البدع وطلب الشفاعة من الرسول ﷺ والاستغاثة به وطلب الاستغفار منه ﷺ، ومعلوم أن هٰذا ينافي حقيقة التوحيد (توحيد العبادة)، ولا يخفى منع ذٰلك بعد مماته ﷺ، أما في حياته ﷺ قبل وفاته ﷺ؛ فإنه يجوز، وكذٰلك طلبها منه يوم القيامة، ومع ذٰلك؛ فقد قال ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»؛ قال ذٰلك ﷺ في حياته حماية لجناب التوحيد.

وكذٰلك فيه خرافة أحمد الرفاعي الذي ينسب إليه أنه يزعم أن الرسول ﷺ ناوله يمينه فقبلها.

فالمرجو من الله تعالى ثم منكم أن تُشَكِّل نُخبة من العلماء المختصِّين

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه»، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «مَن التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس».

وفي رواية له: «مَن أرضى الله بسخط الناس؛ كفاه الله، ومَن أسخط الله برضى الناس؛ وكله الله إلى الناس».

ورواه الترمذي بنحو هٰذه الرواية، وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

بفهم العقيدة الصحيحة والحديث، فيهذِّبوه، ويزيلوا منه كل ما لا يتفق مع الشريعة، أو يستبدل بكتاب أنسب منه؛ مثل «رياض الصالحين»».

● الرابعة من كلماته:

قوله في (ص ٦) إلى أول (ص ٧): «٤ ـ التحلق لقراءة سورة ﴿يٓس﴾، أو قراءتها بصورة انفرادية، ثم الدعاء بعدها؛ إذ لم يرد بذٰلك دليل من كتاب ولا سنة صحيحة، وليس ذٰلك واحداً من الأشياء التي نلتزمها في (٢٤) ساعة؛ فليس هٰذا من الدعوة، ولا من التعلُّم والتعليم، ولا من العبادات، ولا من الخدمة، وليس هو على ترتيب الرسول ﷺ، ولئن ظن بعض الناس أنه جُرِّب فاستفيد منه؛ فإن الدين ليس بالتجربة؛ لأن الدين كامل، وكل البدع الموجودة الآن في الدنيا عند الشيعة وغيرهم من المبتدعة يقولون كذٰلك، وقد يدعو إنسان صاحب قبر، ويُظْهِر فاقته وضرورته، فيعطيه الله سؤله، ويظنُّ أنه من صاحب القبر؛ لأن كل أهل القبور يزعمون للناس أن صاحب القبر قد جُرِّب فقضى حاجاتهم.

وعلى فرض أنه ليس ببدعة؛ فيجب أن يُترك للخلاف؛ إذ من المعلوم أن من أهم الأصول في هٰذه الدعوة ترك المسائل الخلافية حال الخروج، ولا سيما المراكز العامة التي يأتي إليها الناس ليروا كيف تطبَّق السنة، وليروا أعمال الصحابة؛ فهل كان هٰذا من عمل الصحابة؟!».

قلت: ما ذكره صاحب الرسالة من التحلُّق لقراءة سورة ﴿يٓس﴾ أو قراءتها بصورة انفرادية ثم الدعاء بعدها؛ فهو من البدع؛ لأن رسول الله ﷺ لم يفعل ذٰلك، ولم يأمر به، ولم يفعله الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان، والبدع لا يدخلها الفرض والتقدير، ولا تلحق بالمسائل الخلافية؛ كما قد توهم ذٰلك صاحب الرسالة، بل يجب ردُّها عملاً بقول النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا

ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

رواه: الإمـام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ»؛ أي: مردود.

وفي رواية لأحمد: «من صنع أمراً من غير أمرنا؛ فهو مردودٌ».

وهٰذه الرواية إسنادها على شرط مسلم.

ويجب أيضاً التحذير من هٰذه البدعة وغيرها من البدع على وجه العموم؛ لأن النبي ﷺ كان يحذِّر من البدع كلها، ويبالغ في التحذير منها؛ كما قد جاء ذٰلك في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

رواه: الإمـام أحمد، وأهل «السنن»، وصححه الترمذي والحاكم وابن عبدالبر والذهبي.

وروى الإمام أحمد أيضاً ومسلم وابن ماجه والدارمي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

ورواه النسائي بنحوه، وزاد: «وكل ضلالة في النار».

وروى ابن ماجه نحوه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وأما قوله: «ليروا كيف تطبَّق السنة وليروا أعمال الصحابة».

فجوابه أن يُقال: هٰذا من المجازفات ومجاوزة الحد في مدح التبليغيِّين بما ليس فيهم، وهٰذه المجازفات مردودة بما ذكره عنهم من البدع والضلالات مما تقدم ذكره وما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى، ومردودة أيضاً بما ذكره المطَّلعون على أحوال التبليغيِّين وأعمالهم، وأنهم إنما كانوا يحافظون على تطبيق البدع والضلالات والجهالات، فأما السنة؛ فإنهم بعيدون عن تطبيقها غاية البعد، وكذٰلك هم بعيدون غاية البعد عن مشابهة الصحابة في أعمالهم.

ومَن شكَّ في هٰذا؛ فليراجع ما ذكرته في (ص ٣٨ إلى ص ١٥٠)؛ وما بعدها، فقد ذكرت عن بعض مشايخهم الكبار من الشرك الأكبر والبدع والضلالات والجهالات ما تشمئز من سماعه قلوب أهل الإيمان، وفيما ذكرته عنهم أبلغ رد على مجازفات صاحب الرسالة وزعمه أنهم يطبِّقون السنة وأعمال الصحابة.

فإن قيل: إن التبليغيِّين يهتمُّون بالصلاة ويحافظون عليها.

فالجواب أن يُقال: إن هٰذا قد ذُكر عنهم، ولكنهم مع اهتمامهم بالصلاة ومحافظتهم عليها قد أهملوا معرفة أركانها وواجباتها وسننها، وقد ذكرت هٰذا عنهم، وذكرت أكثر منه بكثير من مخالفاتهم في الكلام على الأصل الثاني من أصولهم - وهو: (الصلاة) -.

فليراجع ما ذكرته عن العلماء في ذٰلك؛ فإنه مهمٌّ جدّاً، وليراجع أيضاً ما ذكرته فيه عن ابن وضَّاح أنه روى عن أسد بن موسى أنه كتب إلى أسد بن الفرات كتاباً جاء فيه: «إن اللعنة وقعت من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وإن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضةً ولا تطوُّعاً، وكلَّما زادوا اجتهاداً وصوماً وصلاةً؛ ازدادوا من الله بُعْداً».

ويشهد لهذا الأثر ما جاء في «الصحيحين» وغيرهما: أن رسول الله ﷺ قال في الخوارج: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم».

وأخبر في حديث آخر أن صلاة الخوارج لا تجاوز تراقيهم، وأمر بقتلهم، وقال: «لئن أدركتهم؛ لأقتلنَّهم قتل عاد».

فليتأمل صاحب الرسالة هذه الأحاديث حقَّ التأمُّل، ولا يأمن أن يكون ممَّن تنطبق عليه وعلى الجماعة التي ينتمي إليها ويُعَدُّ داعية من الدعاة إليها.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «المرء مع من أحبَّ».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم؛ من حديث ابن مسعود وأبي موسى وأنس رضي الله عنهم. ورواه الترمذي من حديث أنس وصفوان بن عسال رضي الله عنهما، وصحَّح كلًّا من الحديثين.

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «ثلاث أحلفُ عليهنَّ (فذكر الحديث، وفيه:) ولا يُحبُّ رجلٌ قوماً؛ إلا جعله الله عزَّ وجلَّ معهم».

وفي رواية: «ولا يحبُّ رجلٌ قوماً؛ إلا جاء معهم يوم القيامة».

فليتأمل صاحب الرسالة هذه الأحاديث حقَّ التأمُّل، وليفر من متابعة التبليغيِّين ومصاحبتهم إن استطاع الفرار، وليسأل الله أن يريه الحق حقاً ويرزقه اتباعه، ويريه الباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه، ولا يتهاون بمتابعة التبليغيِّين ومصاحبتهم مع ما ذكره عنهم في رسالته من البدع والضلالات والجهالات التي لم يزالوا مصرِّين عليها، وإن لم يفارقهم؛ فهو شريك لهم في أعمالهم الباطلة؛ لأن الراضي بالذنب كفاعله.

● **الخامسة من كلماته :**

قوله في (ص ٧) : «٥ ـ قد يذكر بعض العلماء في بياناتهم محبة الله تعالى أو محبة الرسول ﷺ، وقد يذكرون بعض الأحيان البيتين لمجنون ليلى :

أَمُـرُّ عَلى الـدِّيارِ دِيارِ لَيْلى أُقَبِّـلُ ذَا الجِـدارَ وذَا الجِـدارا
ومَـا حُبُّ الـدِّيارِ شَغَفْـنَ قَلْبـي ولٰـكِـنْ حُبُّ مَنْ سَكَـنَ الـدِّيارَا

فبسبب هٰذين البيتين نرى كثيراً من جهلة المسلمين مَن يقبِّل الجدران ـ جدران القبور ـ أو الشبابيك الموضوعة على بعض الأماكن المقدَّسة، حتى آل الأمر إلى عبادة القبور، وهٰذا يفتح باب البدع على مصراعيه، حتى يقع الناس في الشرك الأكبر كما وقعوا فيه في الماضي ؛ فهو من جملة العوامل المؤدِّية إلى ذٰلك» .

قلت : ما ذكره صاحب الرسالة عن جهلة المسلمين من تقبيل جدران القبور والشبابيك ليس هو على الإطلاق كما هو ظاهر كلامه، وكان ينبغي له أن يقيِّد ذٰلك بالجهَّال من أتباع التبليغيِّين ؛ فإنهم هم الذين افتتنوا بالقبور تبعاً لمشايخهم الكبار الذين قد ثبت عنهم أنهم كانوا يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهلها، فأما جهال المسلمين الذين قد سلموا من الانضمام إلى التبليغيِّين والافتتان بهم وبأمثالهم من الصوفية والقبوريين ؛ فإنه لم يذكر عنهم أنَّهم يتمسَّحون بالقبور ؛ فضلاً عن تقبيل جدرانها وشبابيكها .

ولو كان التبليغيُّون يطبقون السنة ويعملون مثل أعمال الصحابة ـ كما زعم ذٰلك صاحب الرسالة في آخر كلمته الرابعة ـ ؛ لما تركوا قبراً مشرفاً ؛ إلَّا سوَّوه بالأرض ؛ لأن رسول الله ﷺ قد أمر عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه بتسوية القبور .

قال أبو الهياج الأسدي: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدعَ تمثالاً إلا طمستَه، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته».

رواه: الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

وقد قام علي رضي الله عنه بتنفيذ ما أمره به رسول الله ﷺ؛ كما جاء ذلك في رواية لأحمد عن أبي محمد الهذلي عن علي رضي الله عنه: أنه انطلق إلى المدينة، ثم رجع، فقال: «يا رسول الله! لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا صورة إلا لطَّختها».

● **السادسة من كلماته:**

قوله في (ص ٧ ـ ٨): «٦ ـ قد يأتي في بيانات بعض العلماء ذكر عالَم الأرواح، وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة صحيحة، ولا دليل على ذلك بالآية الكريمة: **﴿وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلى شَهِدْنا﴾** الآية، ولا دليل أيضاً بالحديث الشريف الذي معناه أنه تعالى أخرجهم من ظهر آدم أمثال الذر، فأخذ عليهم العهد؛ فهذا لا يدلُّ على أن الأرواح كانت موجودة قبل خلق العالم؛ فهي نظرية لبعض الفلاسفة المنحرفين أمثال ابن سينا وغيره من غلاة الشيعة وغيرهم من القائلين بالتناسخ، ولا يقول به أهل السنة، وأكثر الذين يستمعون الدروس من العوام، وبعضهم لا يكاد يميِّز بين الحق والباطل، فلا ينبغي أن نخرج عن الأصول؛ لأنهم قد يعتبرون أن كل ما يسمعونه حقٌّ».

قلت: إنما يريد مشايخ التبليغيِّين بذكر عالم الأرواح ما يزعمونه من استحضار بعضهم لأرواح الموتى أو استحضارهم للجن، وكلا الأمرين من أعمال الشياطين.

وقد ذكرت في (ص ١٢٩) نقلاً عن محمد أسلم الباكستاني أنه ذكر عن الشيخ محمد يوسف البنوري الديوبندي الجشتي ـ وهو من كبار علماء ديوبند وجماعة التبليغ ـ أنه كان يدَّعي استحضار الأرواح، وقد رددت على هٰذه المخرقة والتضليل في (ص ١٣٢)؛ فليراجع؛ فإنه مهمٌّ جدّاً.

● **السابعة من كلماته:**

قوله في (ص ٨): «٧ ـ التأكد من صحة الأحاديث وعدم مخالفتها لنصوص الكتاب وصحيح السنة؛ لأن أكثر الأحاديث الموضوعة والضعيفة تخالف نصوص القرآن والحديث الصحيح؛ فعلينا التثبُّت من صحتها، ولا يخفى أن الحديث الصحيح إذا عارض القرآن، أو عارض ما هو أقوى سنداً منه، ولم يمكن الجمع بينهما؛ فيترك؛ فكيف بالحديث الموضوع والضعيف؟!».

قلت: من المعلوم بالتتبُّع والاستقراء أن مشايخ التبليغيِّين مفلسون غاية الإفلاس من علم الحديث والتمييز بين الصحيح منه وغير الصحيح، وفي تصانيفهم المشهورة عندهم أكبر شاهد بذٰلك، ولهٰذا تجدهم يعتمدون فيها على الأحاديث الموضوعة والضعيفة، ويعملون بها، ويحثُّون أتباعهم على العمل بها، ويكثرون فيها من الحكايات المكذوبة والخرافات والخزعبلات.

ومن شكَّ في هٰذا؛ فليطالع كتبهم المعظمة عندهم، ولا سيما كتاب «تبليغي نصاب»؛ أي: منهج التبليغ، ففيه من الأكاذيب والخرافات والجهالات والأحاديث الموضوعة والضعيفة المنكرة ما يكفي لمعرفة مناهجهم الباطلة وقلة بضاعتهم من علم الشريعة.

وقد ذكرت في (ص١٩٩ـ٢٠٥) ما ذكره عنهم الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي والقائد محمد أسلم الباكستاني في كتابيهما؛ فليراجع ذٰلك؛ فإنه مهمٌّ جدّاً لمعرفة مناهج التبليغيِّين وما هم عليه من الجهل والضلال، وفيما

ذكراه عنهم أبلغ تحذير منهم ومن كتبهم.

● **الثامنة من كلماته:**

قوله في (ص ٩ ـ ١١): «٨ ـ الاهتمام بتحقيق هٰذا الأصل العظيم الذي هو معنى (لا إله إلا الله) مباشرة، وهو توحيد العبادة؛ أي: توحيد الله بأفعال العبادة، وهٰذا الأصل؛ وإن كان يدل عليه الصفة الخامسة من الصفات الست، وهو إخلاص النية لله تعالى، لكن بما أنه هو معنى (لا إله إلا الله) بالدرجة الأولى، وهو الذي يطلق عليه بعض العلماء توحيد الألوهيَّة؛ فكيف يجوز لنا أن نغفل عنه عند ذكر الكلمة الطيبة».

ثم ذكر توحيد الربوبية والأدلَّة عليه من القرآن، وذكر أن الشرك الحقيقي إنما وقع في بني آدم في شرك العبادة، وهو دعوة الله ودعوة غيره معه، إلى أن قال: «وبالجملة؛ فيجب أن نعرض جميع اعتقاداتنا وأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا على منهج الرسول ﷺ، فما وافق منها؛ بقي، وما خالف؛ نرمي به عرض الحائط، ولو عمل به أكثر الناس؛ فالحق ليس دائماً مع الأكثرية، يقول تعالى: ﴿وإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾»، انتهى المقصود من كلام صاحب الرسالة ملخَّصاً.

وقد ذكر بعض المطَّلعين على أخبار مشايخ التبليغيِّين أنهم رفضوا الإجابة على الرسالة التي تقدَّم ذكرها والنقل منها، ولعل السَّبب في ذٰلك أنهم لم يزالوا مصرِّين على ما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات التي ذكرها الكاتب في رسالته إليهم؛ فلذٰلك لم يستحسنوا إنكاره عليهم وإظهاره لمعايبهم!

ولو كانوا يطبِّقون السنة ويعملون بأعمال الصحابة ـ كما زعم ذٰلك صاحب الرسالة في آخر الكلمة الخامسة من كلماته ـ؛ لبادروا إلى التوبة والإقلاع عن جميع ما هم عليه من البـدع والأمـور المخالفة للسنة وأعمال الصحابة، ولم

يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون، ولبادروا أيضاً إلى إجابة صاحب الرسالة على رسالته، وشكروه على نصيحته لهم، واعتذروا إليه بالجهل بما هم واقعون فيه من المخالفات، وأنهم سيغيرون ما هم واقعون فيه منها، ويبدلون السيئات بالحسنات، ولكن الشيطان قد استحوذ عليهم، فسوَّل لهم وأملى لهم وزيَّن لهم ما كانوا يعملون.

وقد قال الله تعالى: ﴿ومَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَريناً فَساءَ قَريناً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ . وإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبيلِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذوا الشَّياطينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ ويَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾.

وهٰذه الآيات مطابقة لحال مشايخ التبليغيِّين أتم المطابقة، والدليل على هٰذا ما تقدَّم ذكره عنهم من القصص المشتملة على الشرك والبدع والضلالات والجهالات والخرافات، ولم يذكر عنهم أنهم نزعوا عنها وتابوا واستغفروا منها، وإذا كانوا مصرِّين على أعمالهم السيئة مع علمهم بأنها من السيئات؛ فويل لهم من الإصرار عليها.

وقد قال الله تعالى في صفة المتقين: ﴿والَّذينَ إذا فَعَلوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ ذَكَروا اللهَ فاسْتَغْفَروا لِذُنوبِهِمْ ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا اللهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلى مَا فَعَلوا وهُمْ يَعْلَمونَ﴾.

فهٰذه صفة المتَّقين، الذين يطبِّقون السنة ويعملون بأعمال الصحابة.

وأما المصرون على الأعمال السيئة مع علمهم بأنها من السيئات؛ فقد جاء الوعيد الشديد لهم في قول النبي ﷺ وهو على المنبر: «ويلٌ للمصرِّين

الذين يصرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون».

رواه: الإمام أحمد، وعبد بن حميد؛ من حديث عبدالله بن عمرو بن العـاص رضي الله عنهمـا، وإسنـاد كل منهما حسن، وقد رواه البخاري في «الأدب المفرد» والطبراني.

●●●●●

فصلٌ

ثم إن صاحب الرسالة التي تقدَّم ذكرها كتب كتيِّباً صغيراً بعد خمسة أشهر من تاريخ كتـابتـه الأولى، وجعله ردّاً على الذين يذمُّون التبليغيِّين ويحذِّرون منهم، وقد بناه على دعائم من الأباطيل والأضاليل:

● **الدعامة الأولى:**

المجازفة في مدح التبليغيِّين ووصفهم بالصفات التي لا تنطبق عليهم؛ كما قد فعل ذٰلك في كتابته الأولى، وتناسى ما ذكره عنهم في كتابته الأولى من الأبـاطيل والمنكـرات التي لا يجوز مدحهم والتنويه بذكرهم ما داموا مصرين عليها، بل الواجب ذمهم والتحذير منهم حتى ينزعوا عنها ويسلكوا سبيل أهل السنة والجماعة.

ولـو لـم يكن فيهم من الشـرِّ إلا الإصـرار على الطرق الأربع من طرق التصوف ـ وهي: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية ـ، وزعمهم أنه لو مات أحدٌ ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهلية؛ لكان ذٰلك كافياً في التحريض على ذمِّهم والتحذير منهم؛ فكيف وفيهم من الشرِّ والبلاء ما لا تتَّسع الأوراق الكثيرة لذكره؟!

ونحيل القارىء إلى مطالعة كتابين من أهم الكتب الذي ذُكرت فيها شرور التبليغيِّين وبـلاياهم العـظيمة، وهما: كتاب الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد

الدهلوي المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»، وكتاب محمد أسلم الباكستاني المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها».

وقد ذكرتُ جملة من ذٰلك في هٰذا الكتاب؛ فليطالع من أوله إلى آخره، ولا سيما ما هو مذكور في (ص ٣٨ إلى ص ١٥٠)؛ فإن الاطلاع عليه مهمٌّ جدّاً، وفيه أبلغ ردٍّ على كل من نصب نفسه للذبِّ عن التبليغيِّين والجدال عنهم بالباطل.

● **الدعامة الثانية:**

المغالطة والتلبيس على ضعفاء البصيرة، وإيهامهم بخلاف الواقع المعروف عن التبليغيِّين، وهٰذا واضح من قوله في (ص ٦): «إن كل من مشى معهم ـ أي: مع التبليغيِّين ـ وهو متجرِّد من الهوى، لا يكاد أن يثبت أمراً واحداً يخالف الشرع».

والجواب أن يُقال: هٰذه المغالطة مردودة بما ذكره الكاتب عنهم في رسالته التي أرسلها إلى إنعام الحسن ومَن سواه من علماء التبليغيِّين:

فقد قال في آخر (ص ٢): «إن بعض الكبار الذين جاهدوا لإنجاح هٰذه الدعوة؛ لا يزال هٰؤلاء الدعاة القدامى يقومون ببعض الأذكار الصوفية المخالفة لهدي الرسول ﷺ».

ثم قال في (ص ٣): «إن هٰؤلاء الدعاة يقولون للناس دائماً: إن فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة باتباع أوامر الله تعالى على طريق رسول الله ﷺ، ثم هم سرّاً يقومون بأعمال ليس عليها أمر الله ولا أمر رسوله ﷺ؛ إذ لم يعملها رسول الله ﷺ، ولا عملها أصحابه رضي الله عنهم من بعده، ولا عملها كذٰلك السلف الصالح من التابعين وغيرهم، ولا عرفها كذٰلك الأئمة الكرام أمثال أبي حنيفة وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى، ومن المعلوم أن هٰذه الأذكار المحدثة

على الكيفية الموجودة الآن ليست من المسائل المختلف فيها فيعذر أصحابها.

وكان المطلوب من الدعاة أن يتجنَّبوا كل شيء يخالف سنة الرسول ﷺ، بل هٰذا مما يتحتَّم، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم؛ كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وأما أن يكون للشخص عملان: أحدهما: ظاهر يدعو الناس إليه. والآخر: باطن يخفيه عن الناس؛ فهٰذا لا يتفق مع حال المؤمن» إلى آخر كلامه الذي تقدَّم ذكره في الفصل الذي قبل هٰذا الفصل.

ثم أنكر عليهم أخذ البيعة على بعض الطرق الأربع المشهورة: الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية؛ إذ لم يرد لها دليل صحيح عن النبي ﷺ، بل المعروف أنها من المحدثات، وقد قال النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ثم قال مخاطباً لإنعام الحسن: «ولئن فَعَلْتَ وأخَذْتَ البيعة على بعض الناس خشية من بعض الناس أو خوفاً من بُعْدهم؛ فالله أحقُّ أن يُخشى وأن يُخاف منه . . .».

ثم أنكر عليهم العمل بكتاب «تبليغي نصاب»، وقال: «لا يخفى أنه قد احتوى على ما يخالف الشرع من بعض البدع وطلب الشفاعة من الرسول ﷺ والاستغاثة به وطلب الاستغفار منه، ومعلوم أن هٰذا ينافي التوحيد (توحيد العبادة)، ولا يخفى منع ذٰلك بعد مماته ﷺ، وكذٰلك فيه خرافة أحمد الرفاعي الذي يُنْسَب إليه أنه يزعم أن الرسول ﷺ ناوله يمينه فقبَّلها».

ثم أنكر عليهم التحلق لقراءة سورة ﴿يٓس﴾ ثم الدعاء بعدها؛ إذ لم يرد بذٰلك دليل من كتاب ولا سنة صحيحة.

ثم أنكر عليهم ما يأتي في بيانات بعضهم من ذكر البيتين لمجنون ليلى:

أَمُـرُّ عَلى الـدِّيارِ دِيارِ لَيْلى ... أُقَبِّـلُ ذَا الـجِـدارَ وذَا الجِـدارا
ومَـا حُبُّ الـدِّيارِ شَغَـفْنَ قَلْبي ... ولٰـكِـنْ حُبُّ مَنْ سَكَـنَ الـدِّيارا

ثم قال: «فبسبب هٰذين البيتين نرى كثيراً من جهلة المسلمين من يقبِّل الجدران جدران القبور أو الشبابيك الموضوعة على بعض الأماكن المقدسة، حتى آل الأمر إلى عبادة القبور، وهٰذا يفتح باب البدع على مصراعيه، حتى يقع النـاس في الشرك الأكبر؛ كما وقعوا فيه في الماضي، فهو من جملة العوامل المؤدية إلى ذٰلك».

ثم أنكر عليهم ما يأتي في بيانات بعضهم من ذكر عالم الأرواح؛ أي: ما يزعمـونـه من استحضار أرواح الموتى أو استحضار الجن، وكلا الأمرين من أعمال الشياطين.

وفيما ذكرته من كلام صاحب الكتيِّب أبلغ ردٍّ على مغالطته ومجازفته في تبرئة التبليغيِّين من الأمور التي تخالف الشرع، بل كل جملة من كلامه فيها أبلغ ردٍّ عليه، ومَن تأمل رسالته إلى إنعام الحسن وأصحابه من علماء التبليغيِّين، وما جاء فيها من النقد الجيِّد لبدعهم وأعمالهم التي تخالف الشرع، وقابل بين نقده لها وبين مغالطته ومجازفته في تبرئتهم من الأمور التي تخالف الشرع؛ لم يشكَّ أن الرجل مصاب في أمانته العلمية.

وقد روى: الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قلَّما خطبنا رسول الله ﷺ؛ إلا قال: «لا إيمان لمَن لا أمانة له».

وليعلم طالب العلم أن الأمور التي تخالف الشرع كثيرة جدّاً في أقوال

التبليغيِّين وأعمالهم، وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد ومحمد أسلم الباكستاني كثيراً منها في كتابيهما اللذين تقدَّم ذكرهما قريباً، وقد ذكرت من ذٰلك قصصاً كثيرةً جدّاً، وهي قصص تدور على الشرك الأكبر والبدع والضلالات والخرافات والجهالات، وفيها أشياء كثيرة من الطوامِّ الكبار، وفي كل قصة منها أبلغ ردٍّ على مغالطة صاحب الكتيِّب ومجازفته في تبرئة التبليغيِّين من الأمور التي تخالف الشرع.

وقد قال الشيخ عامر عثماني ـ وهو أحد كبار علماء ديوبند ـ: «إني وإن كنت أتعلَّق بحلقة ديوبند، لكن الحقيقة التي لا تنكر أن بعض الكتب المشهورة من الكتب الديوبندية كـ «أرواح ثلاثة» و«تذكرة الرشيد» و«السوانح القاسمية» و«أشرف السوانح» وعدد خاص لـ «جريدة الجمعية» باسم «شيخ الإسلام» و«الأنفاس القدسية» وغيرها؛ قد جاءت فيها عجائب وغرائب وشطحات... أستغفر الله... أستغفر الله... من ذٰلك. والحقيقة أن القصص الفاحشة والروايات الخليعة ما أضرَّت قراءها كما أضرَّت هٰذه المؤلَّفات قراءها... فعلَّمتهم هٰذه الكتب دروس تعظيم المشايخ بدل عبادة الله وألوهيته، دروساً لم يبق لإزالة سمومها أي شيء، والتصوف مهما يختار فيه الاحتياط والاعتدال، لا بدَّ أن يأتي معه سحر المكاشفات والكرامات والأمور الغيبية والتصرُّفات، ثم لما يختلط مع هٰذه الأشياء اعتقاد مريدي المشايخ؛ تتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى تكون هٰذه الأمور لأصول الشريعة الإسلامية تحدياً...».

إلى أن قال: «ولا يدري مشايخنا الديوبنديون أن يعترفوا بأخطائهم، وإنما تعلَّموا أن يقولوا ما يريدون، لا يسمحون لأحد، ولم ينطق لسان أحد منهم: أننا برآء من هٰذه الخرافات الموجودة في كتب مشايخنا، وأمر البراءة بعيد؛ فأكابرنا الموجودون يتيقَّنون أن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب والاستجابة والتصرُّفات الروحانية والمكاشفات والإلهامات حقٌّ وصدق قطعاً»

انتهى المقصود من كلامه ملخصاً، وقد تقدم بأبسط من هٰذا[1]؛ فليراجع؛ فإنه مهمٌّ جدّاً.

وقد صدع فيه بإظهار الحق، والتنديد بالكتب المشهورة من كتب التبليغيِّين، والتحذير مما جاء فيها من الأمور التي تخالف الشرع، وفي كلامه أبلغ ردٍّ على مغالطة المداهن للتبليغيِّين ومجازفته في تبرئتهم من الأمور التي تخالف الشرع.

● الدعامة الثالثة:

التناقض المبني على المغالطة والتلبيس والإيهام بخلاف الأمر الواقع من أمراء التبليغيِّين، وذٰلك ظاهر في إنكاره البيعة من بعض شيوخ الطرق.

قال: «وهٰذا القول في الحقيقة مبنيٌّ على الظن».

قال: «وعلى فرض أن عندهم بيعة يقومون بها سرّاً بينهم وبين الله؛ فما ذنب من لم يعلم بذٰلك ممَّن رافقهم وقصد إصلاحهم ومَنْعَهم ممَّا يخالف الشرع إن تبيَّن له؟!».

والجواب أن يُقال: ما أقبح التلوُّنَ والتذبذبَ في الرجل، وإنكاره للحقيقة التي قد اعترف بوقوعها من أمير التبليغيِّين وأنكرها عليه.

ويكفي في الرد على هٰذه المغالطة وبيان ما فيها من التناقض والتلبيس على ضعفاء البصيرة ما تقدَّم في الكلمة الثانية من نقد المداهن لبدع التبليغيِّين وأعمالهم السيئة؛ فقد أنكر فيها على أمير التبليغيِّين أخذه البيعة على بعض الطرق الأربع التي هي: الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية، ثم قال: «ولئن فَعَلْت وأخَذْتَ البيعة على بعض الناس خشية من بعض الناس أو

---

(1) (ص ٢٠١ ـ ٢٠٣).

خوفاً من بُعْدِهم؛ فالله أحقُّ أن يُخشى وأن يُخاف منه؛ فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَن التمس رضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومَن التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس»».

وقد ذكر محمد أسلم في (ص ٢٧ ـ ٢٨) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ» طريقة البيعة عند الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي الذي كان أميراً للتبليغيِّين بعد أبيه محمد إلياس؛ قال: «كانت طريقة البيعة عند الشيخ محمد يوسف نفس طريقتها عند المشايخ الآخرين، لكن مع هٰذه الطريقة كانت عنده عدة أشياء زائدة عليها؛ كما كانت عند أبيه الشيخ محمد إلياس، وكان عنده حفل من المبايعين وقت البيعة، ويرى كأن الحفل كله يبايع على يده، فبايعه عدة المئين والآلاف من الناس، وربطت أردية كثيرة بعضها مع بعض، ثم نُشرت إلى مكان بعيد، فأخذها جميع الناس كبيرهم وصغيرهم، ثم أتمُّوا البيعة، وكذٰلك جمٌّ غفير من النساء كنَّ يبايعن بأخذ مثل تلك الأردية».

يُسَطِر محمد أشرف البيشاوري صورة إحدى بيعاته بأنه بايع عليه جمع كثير في براي وند (مقر جماعة التبليغ في باكستان قريب لاهور)، وكان في أيديهم عمائم وأردية وغيرها، وبلغت كثرتهم إلى حدٍّ أن عدة من الناس كانوا يصوِّتون كصوت المكبِّر، فيبلغون كلمات البيعة إلى المبايعين، وكان منظراً عجيباً.

وذكر محمد أسلم أيضاً في (ص ٢٢) عن أبي الحسن علي الندوي الجشتي الصوفي ـ وهو من كبار علماء جماعة التبليغ ـ: أنه بايع الشيخ عبدالقادر راي فوري الذي هو من مشايخ السلسلة الجشتية.

وذكر أيضاً في (ص ٢٣) عن أبي الحسن الندوي: أنه قال: «أقول

بطريقة المبايعة الجشتية والنقشبندية والقادرية والسهروردية وأعمل عليها».

قال: «وقد بايع على يديه في المسجد النبوي بعض طلبة الجامعة وغيرهم في السنة الراهنة حينما حضر المدينة المنوَّرة في مؤتمر الدعوة، والشاهد بهٰذه البيعة الطالب بالجامعة حفيظ الرحمٰن الباكستاني، السنة الثالثة / فصل ب / كلية الشريعة».

قال محمد أسلم: «ويلاحظ أنه هو الذي جاء بالطريقة النقشبندية من بلاد الهند، وروَّجها في البلاد العربية».

وذكر محمد أسلم في (ص ٤٢) تحت عنوان «جماعة الخرافات» عن الشيخ سردار محمد باكستاني / باب المجيدي / المدينة المنورة: أنه قال: «هٰذه تجربة مع جماعة التبليغ في مدة عشر سنوات على وجه التقريب... إن الجماعة تقلِّد أبا حنيفة ومشايخها وعلماءها تقليداً أعمى، وتغلو معهم في الصلحاء الآخرين، وإن كل ما صدر من أفواه المشايخ والعلماء يحمل على الخير ويؤول، ولو كان ضد الكتاب والسنة صريحاً، وكل ما صدر من الذين لا يتعلَّقون بجماعتهم؛ فيدوِّنون في أقوالهم، ويدخلون من أكاذيب الأقوال وافتراءاتها، ولا يجدون في أنفسهم أن يعطوا هٰذا المخالف المقام اللائق، ويحملوا قوله على النية الصادقة؛ فإنا لله على هٰذه الفكرة الخاطئة وعلى هٰذا الفهم الضيِّق للإسلام وعلى هٰذا التعصُّب المذهبي البغيض... ثم إنا لله وإليه راجعون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾».

ثم قال: «إن جماعة التبليغ تؤمن بالطرق الأربع: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، وتزعم أنه لو مات أحد ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ لمات ميتة جاهلية.

ومن طريقتهم أنهم يذكرون ذكراً جهرياً يخالف السنة حسبما أرشدهم

الشيخ، ويرتكبون معصية الله أحياناً في طاعة الشيخ والعياذ بالله، وقد تفوق محبة الشيخ على محبة الله ومحبة الرسول ﷺ والعياذ بالله، ويخاف من سخط الشيخ وغضبه كما يخاف من سخط الله وسخط رسوله، وكثيراً ما يعملون على تصوُّر الشيخ والمراقبة عند قبور المشايخ، وهم يوقنون على المكاشفة، ويعملون لها عمليات، ويقصرون مفهوم العبادة؛ فهم في وقت واحد وآنٍ واحد يقلِّدون في الفروع أبا حنيفة، وفي العقيدة الأشعريَّة أو الماتُريدية، ويلزمون أنفسهم البيعة على شيخ من الطرق الأربع؛ فهي جماعة تبليغية حنيفة أشعرية ماتريدية ديوبندية جشتية نقشبندية سهروردية قادرية».

قال: «وإن العقيدة التي في حق الرسول ﷺ وحق الأولياء لله شرك تكون في المشايخ الديوبندية من جماعة التبليغ إيماناً وإسلاماً؛ فهناك شريعتان متقابلتان متوازيتان، شريعة في حق الأنبياء والأولياء، وشريعة في حق مشايخهم» انتهى كلامه.

فليتأمله المفتونون بجماعة التبليغ حقَّ التأمُّل ولينظروا إلى الحقائق التي ذكرها عن جماعة التبليغ، وما ذكره عنهم من البدع الخطيرة، وخصوصاً بدعة البيعة على الطرق الأربع، وما هم عليه من الإيمان بها والغلوِّ فيها، وما هم عليه أيضاً من الغلوِّ الشديد في مشايخهم وتقديم طاعتهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ... إلى غير ذٰلك ممَّا ذكره عنهم من العظائم المخالفة لدين الإسلام.

وقد ذكر ذٰلك عن خبرة تامة بجماعة التبليغ، وتجربة معهم في نحو عشر سنين كان مرافقاً لهم فيها، فجزاه الله خير الجزاء؛ فلقد أدى ما يجب عليه من النصيحة والتحذير من جماعة التبليغ ومن بدعهم وضلالاتهم، ولم تأخذه لومة لائم في بيان الحق وكشف معايب التبليغيِّين والتنديد بهم.

وهٰذا بخلاف حال المداهن الذي أنكر على أمير التبليغيِّين ومشايخهم ما

هم واقعون فيه من البدع والضلالات والجهالات، وكتب لهم في ذٰلك رسالة مؤرَّخة في ٢٩/ ٢/ ١٤٠٧هـ، ولما رفضوا الإجابة على رسالته؛ رجع عمَّا قدَّمه من الإنكار عليهم، وكتب كتيِّبه الذي يمدحهم فيه، ويجادل عنهم بالباطل، ويبذل جهده في ستر بدعهم ومعايبهم، وتناسى إنكاره عليهم قبل ذٰلك بخمسة أشهر، وهٰذه نكسة خطيرة جدّاً، ويخشى على صاحبها من زيغ القلب وعمى البصيرة.

وقد كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر.

رواه: الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي؛ من حديث عبدالله بن سَرْجِس رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وفي روايته ورواية مسلم: «أنه كان يتعوَّذ من الحَوْر بعد الكَوْن»؛ أي: بالنون بدل الراء.

قال الترمذي: «ومعنى قوله: «الحَوْر بعد الكَوْن أو الكَوْر» ـ وكلاهما له وجه ـ: إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية؛ إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر» انتهى.

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «وقولهم: «نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر»: قيل: الحور: النقصان والرجوع، والكور: الزيادة، أخذ من كور العمامة؛ يقول: قد تغيَّرت حاله وانتقضت كما ينتقض كور العمامة بعد الشد. وقيل: معناه: نعوذ بالله من الرجوع بعد الاستقامة والنقصان بعد الزيادة» انتهى.

ومن الحقائق الثابتة عن جماعة التبليغ: ما ذكره محمد أسلم من طريقة البيعة عند محمد يوسف الكاندهلوي الذي كان أميراً للتبليغيِّين بعد أبيه محمد

إلياس، وأنه قد بايعه آلاف من الناس من الكبار والصغار، وبايعه أيضاً جمٌّ غفير من النساء، وأنهم في إحدى بيعاته كانوا يصوِّتون كصوت المكبِّر لتبيلغ كلمات البيعة من أجل كثرة الناس.

وما ذكره أيضاً عن أبي الحسن الندوي أنه بايع الشيخ عبدالقادر راي فوري الذي هو من مشايخ السلسلة الجشتية، وأنه كان يقول بطريقة المبايعة على الطرق الأربع من طرق الصوفية، ويعمل عليها، وأنه قد بايع على يديه في المسجد النبوي بعض طلبة الجامعة.

وما ذكره الشيخ سردار محمد الباكستاني عن التبليغيِّين أنهم يلزمون أنفسهم البيعة على شيخ من الطرق الأربع.

ومن ذٰلك ما ذكره أحد العلماء المطَّلعين على أخبار التبليغيِّين: أن بعض السعوديين الذين كانوا من دعاة جماعة التبليغ اعترفوا له بأنهم بعد سنين من الثبات على الدعوة والالتزام بمنهجها استدرجوا وأوقعوا في البيعة الصوفية الطرقية بسلسلتها الرباعية المعروفة في الهند: الجشتية، والقادرية، والنقشبندية، والسهروردية؛ مفتتحة بقول الله تعالى: **﴿إنَّ الَّذينَ يُبايِعُونَكَ إنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْديهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ﴾**، وهٰذه البيعة يتَّصل سندها من إنعام الحسن إلى محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ.

وذكر أيضاً عن الشيخ محمد عمر، وهو الرجل الثاني في مركز دلهي: أنه اعترف للشيخ رجب الزهراني بالبيعة على الطرق الأربع.

وهٰذه الحقائق الثابتة عن التبليغيِّين فيها أبلغ ردٍّ على المداهن الذي زعم أن القول بوجود البيعة عند التبليغيِّين مبنيٌّ على الظن، وأنه على فرض وجود البيعة عندهم؛ فهي سرٌّ بينهم وبين الله، وهٰذا القول صريح في المكابرة في إنكار الحقائق الثابتة!

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوَّة الأولى: إذا لم تستح؛ فاصنع ما شئت».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

والمعنى على أحد الأقوال: أن من لا يمنعه الحياء يقول ويفعل ما يشاء من مساوىء الأقوال والأفعال، ولا يبالي بما يترتَّب على ذلك من الإثم والجرح في العدالة.

وهذا الحديث مطابق لحال المداهن الذي عَدَل عن قول الصدق في وجود البيعة عند التبليغيِّين بعد أن كان مثبتاً لوجودها عندهم قبل ذلك بخمسة أشهر، وإذا كان قد تناسى رسالته لأمير التبليغيِّين وغيرهم من مشايخهم الكبار وما جاء فيها من إنكار البيعة التي يأخذونها على أتباعهم؛ فإن اعترافه بوجودها عندهم وإنكاره عليهم العمل بها موجود في رسالته التي كتبها بيده، وهي محفوظة لرد ما قد يطرأ عليه من الإنكار لما جاء فيها.

وقد تقدم في ذكر البيعة لبعض السعوديين أن البيعة افتتحت بقول الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْديهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ﴾**.

وقد أخطأ التبليغيُّون في هذا الافتتاح خطأ كبيراً، حيث جعلوا بَيْعتهم التي هي من عمل الشيطان شبيهة بمبايعة رسول الله ﷺ لأصحابه في غزوة الحديبية ومماثلة لها، وشتَّان ما بين البيعتين:

أما بيعة رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم؛ فإنها بيعة شرعية، وكانت تسمَّى بيعة الرضوان، وقد نوَّه الله بها في كتابه العزيز، وأخبر أن يده فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ، وأنهم إنما يبايعونه تبارك وتعالى، وأخبر أيضاً أنه قد

رضي عن المبايعين لرسوله ﷺ، وأنه قد أنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحاً قريباً.

وأما بيعة التبليغيِّين؛ فإنها من المحدَثات التي كان رسول الله ﷺ يحذِّر منها، ويصفها بالشر والضلالة، ويأمر بردِّها.

ولا شكَّ أن هٰذه البيعة من عمل الشيطان وخطواته التي يأمر باتباعها، ولا شكَّ أيضاً أن يد الشيطان فوق أيدي التبليغيِّين والمبايعين لهم، فمَن نكث منهم بيعة الشيطان وأعوانه؛ فقد أحسن في ذٰلك، وعليه بالبعد منهم، ومَن أوفى بما عاهد عليه الشيطان وأعوانه؛ فله الخيبة والخسران.

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَريناً فَساءَ قَريناً**﴾.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذوهُ عَدُوّاً إِنَّما يَدْعو حِزْبَهُ لِيَكونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعيرِ**﴾.

● الدعامة الرابعة:

التجاهل بالأمور التي لا يجهلها مثله، وذٰلك أنه تجاهل عداوة كلٍّ من حسين أحمد الديوبندي وأنور شاه الكشميري الديوبندي لشيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وتجاهل ما صرَّح به كل منهما من السبِّ له والوقيعة فيه، مع أن سبَّهما له مذكور في كتاب «الشهاب الثاقب» لحسين أحمد، وفي كتاب «فيض الباري» لأنور شاه، ومع وجود السب في هٰذين الكتابين من كتب الديوبنديين؛ فقد قال المتجاهل لهٰذا الأمر الواقع ما نصُّه: «هٰذا إذا صحَّ؛ فلا شكَّ أنه خطأ فاحش».

والجواب أن يُقال: كيف لا يصحُّ ذٰلك عنهما وهو مذكور في كتابيهما ومشهور عند كثير من أهل العلم؟!

وإنـه لَيَبْعُـدُ كل البعـد أن يكـون المداهن لم يطَّلع على سبِّهما لشيخ الإسلام إما في كتابيهما أو في بعض كتب العلماء الذين ذكروا ذٰلك عنهما.

وعلى هٰذا؛ فليس من الأمانة العلمية التشكيك فيما هو ثابتٌ عنهما من السبِّ لشيخ الإسلام؛ لأن هٰذا من الأمور التي لا تحتمل الشك ولا التشكيك، وقد ذكرت كلام حسين أحمد وما فيه من الإقذاع في سب شيخ الإسلام وكثرة الافتراء عليه، ورددتُ على كل ما جاء فيه من إفك وبهتان؛ فليراجع ذٰلك في أول الكتاب؛ فإنه مهمٌّ جدّاً(١).

وذكرتُ أيضاً كلام أنور شاه الكشميري وما فيه من السبِّ لشيخ الإسلام، ورددتُ عليه؛ فليراجَع ذٰلك في أول الكتاب؛ فإنه مهمٌّ جدّاً(٢).

وليراجع المداهن المفتون بالتبليغيِّين كل ما ذكرته عن حسين أحمد وأنور شاه إن كان صادقاً في تجاهله لعداوتهما لشيخ الإسلام وسبهما له، وإن كان غير صادق في تجـاهله لهٰـذا الأمر الثابت عن الرجلين؛ فلا شك أنه قد استحل الكذب، وعليه ما على الكاذبين.

● **الدعامة الخامسة:**

إقرار المداهن للمسؤول في جماعة التبليغ على التهاون بتغيير المنكر على بعض أفراد جماعته، وتَرْكُه الإنكار على المسؤول الذي أقرَّ صاحب المنكر على ما هو عليه ولم يهتم بتغيير المنكر.

فقـد ذكـر في (ص ٩): أنـه رأى واحداً أو اثنين في الهند قاما بالذكر المبتـدع، فأنكـر ذٰلـك، ورفـع الأمـر إلى المسؤول في الجمـاعة، فقال له

---

(١) (ص ٧٤ ـ ١٠٦).

(٢) (ص ١٠٦ ـ ١٠٨).

المسؤول: إن هٰذا وأمثاله جديد في الدعوة، وسوف يترك هٰذه البدعة إذا تدرَّب على عمل الدعوة؛ فإن من أصول الجماعة المعروفة ترك أي مسألة فيها خلاف حتى لا يحصل تفرُّق في الجماعة.

والجواب عن هٰذا من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن الإعراض عن تغيير المنكر والتهاون بهٰذا الأمر الواجب أصلٌ من أصول التبليغيِّين.

وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ١١) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية» أن من أصول التبليغيِّين ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر.

وذكر في (ص ١٣) أن من أصولهم تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وبصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً.

وذكر أيضاً من أصولهم التجنُّب بشدَّة، بل المنع بعنف، من الصراحة بالكفر بالطاغوت، ومن الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح كما دلَّت عليه التجارب. انتهى.

فمن أجل هٰذه الأصول الباطلة المخالفة لدين الإسلام أعظم المخالفة ترك المسؤول في جماعة التبليغ تغيير المنكر على بعض أفراد جماعته، وعلَّل ذٰلك بأن صاحب البدعة جديد في الدعوة، وسوف يترك البدعة إذا تدرَّب على عمل الدعوة.

وهٰـذا التعليل باطل مردود؛ لمخالفته لقول النبي ﷺ: «مَن رأى منكم منكراً؛ فليغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع؛ فبقلبه، وذٰلك أضعف الإيمان».

رواه: الإمـام أحمـد، ومسلم، وأهل «السنن»؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

فقـد أمـر النبي ﷺ كلَّ مَن رأى منكراً أن يبادِر إلى تغييره على حسب استطاعته، ولـم يجعل لأحد عذراً في ترك التغيير على مَن كان جديداً في الدعوة والـدخـول في الإسلام، ولو كان ترك التغيير على مَن كان جديداً في الدعوة جائزاً؛ لما تَرَكَ النبي ﷺ بيان ذٰلك لأمته؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع.

وأيضاً؛ فإن النبي ﷺ قد أنكر على الذين قالوا له: اجعل لنا ذات أنواط، وغلَّظ عليهم في الإنكار، مع أنهم كانوا جديدين في الإسلام.

وأنكر على الذي تكلَّم في الصلاة وهو جديد في الإسلام.

وأنكر على الذي حلف بأبيه بعد دخوله في الإسلام.

وأنكر على الأعرابي الذي قال له: إنا نستشفع بالله عليك، وغلَّظ عليه في الإنكار، وقال: «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه».

وأنكر على الذين قالوا له: أنت سيدنا.

... إلى غير ذٰلك من الوقائع التي أنكر النبي ﷺ فيها على مَن قال قولاً منكراً أو فعل فعلاً منكراً، ولـم يمنعه من الإنكار عليهم كونهم جديدين في الإسلام.

وفي هٰذا أبلغ رد على المسؤول التبليغي الذي ترك الإنكار على مَن جاهر بالبدعة، وعلَّل ذٰلك بأنه كان جديداً في دعوتهم! ولـم يبالِ بما يترتَّب على ذٰلك من المخالفة لهدي رسول الله ﷺ وسنته.

وما أشد الخطر في هٰذا! لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخالِفونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ﴾.

قال الإمام أحمد: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»، ثم جعل يتلو هٰذه الآية: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنونَ حَتَّى يُحَكِّموكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسْليماً﴾.

الوجه الثاني: أن يُقال: إن الإعراض عن إنكار المنكر من أفعال اليهود، وقد ذمَّهم الله تعالى على ذٰلك ولعنهم.

فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ بَني إِسْرائيلَ عَلى لِسانِ دَاودَ وعِيسى ابنِ مَرْيَمَ ذٰلكَ بِما عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدونَ. كَانُوا لاَ يَتناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلونَ﴾.

وقد تشبَّه التبليغيُّون باليهود في ترك التناهي عن المنكر، وبالغوا في ذٰلك، حتى جعلوه أصلاً من أصول دعوتهم؛ كما تقدَّم بيان ذٰلك في الوجه الأول، وهٰذا أمر خطير جدّاً:

لأن النبي ﷺ قال: «مَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم».

رواه: الإمام أحمد، وأبو داود؛ من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وإسناده جيد.

وقال ﷺ: «إنَّ أوَّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل، فيقول له: اتَّق الله ودع ما تصنع؛ فإنه لا يحلُّ لك! ثم يلقاه من الغد؛ فلا يمنعه ذٰلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذٰلك؛ ضرب الله قلوب بعضهم ببعض». ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ بَني إِسْرائيلَ عَلى لِسانِ دَاودَ

وعِيسى بنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قولـه: ﴿فَـاسِقـونَ﴾. ثم قال: «كـلا؛ والله لتـأمُرُنَّ بالمعـروف، ولتنهـوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يدي الظالم، ولتأطُرُنَّه على الحق أطراً، ولتقصرُنَّه على الحق قصراً».

رواه أبو داود من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ورواه أيضاً بنحوه، وزاد: «أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم لَيَلْعَنَنَّكُمْ كما لَعَنَهُم».

فليتأمل التبليغيون وأتباعهم ما جاء في الآيات من سورة المائدة، وما جاء في حديثي ابن عمـر وابن مسعود رضي الله عنهم، وليتقوا الله ويطيعوه ويطيعوا رسوله إن كانوا مسلمين.

وليعلم طالب العلم أن التبليغيِّين لم يكتفـوا بمشـابهـة اليهـود في ترك التناهي عن المنكر بل زادوا عليهم بزيادات من الشر والعناد، وذٰلك أنهم جعلوا لهم أصولاً باطلة يعتمدون عليها في ترك النهي عن المنكر، وهي ترك الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، والتجنُّب بشدة والمنع بعنف من الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح؛ كما دلَّت عليه التجارب.

وبهٰـذا يُعلم أن التبليغيِّين أسـوأ حالاً من اليهـود في ترك التنـاهي عن المنكر، وهٰذا مما يدعو إلى بغضهم والبعد عنهم والتحذير منهم.

الـوجـه الثالث: أن قول المسؤول في جماعة التبليغ: «إن من أصول جمـاعتهم المعـروفـة ترك أي مسـألـة فيهـا خلاف حتى لا يحصل تفرُّق في الجماعة»: صريح في تصديق ما ذكره عنهم الأستاذ سيف الرحمٰن من الأصول البـاطلة في ترك الصـراحـة بالنهي عن المنكر، وتعطيل النصوص الواردة في

الكتاب والسنة بصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، والتجنُّب بشدَّة والمنع بعنف من الصراحة بالنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح كما دلَّت عليه التجارب.

الوجه الرابع: أن يُقال: إن أصل التبليغيِّين في ترك النهي عن المنكر مخالف للنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، وما خالف نصوص الكتاب والسنة؛ فهو مردود على أصحابه، ومضروب به عرض الحائط.

وقد روى أبو نعيم في الحلية عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: أنه قال: «التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره؛ إلا أن يتَّقي تقاة». قيل: وما تقاته؟ قال: «يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى».

الوجه الخامس: أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة كبيرة من الكبائر، ذكر ذٰلك ابن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، والدليل على ذٰلك ما جاء من الوعيد الشديد على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة.

الوجه السادس: أن يُقال: إنه لا خلاف بين المسلمين في وجوب النهي عن المنكر على حسب الاستطاعة، والدليل على ذٰلك ما تقدَّم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً؛ فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع؛ فبقلبه، وذٰلك أضعف الإيمان».

وهٰذا الحديث يجب العمل به، وردُّ ما خالفه من أقوال الناس وأفعالهم وأصولهم الباطلة.

● **الدعامة السادسة :**

تضليل الجهَّال والسذَّج من الناس والتلبيس عليهم بذكر الدعاوى التي لا حقيقة لها في الواقع عند التبليغيِّين، وذٰلك في قوله في (ص ١٠) : «إن من المعلوم لدى الجميع أن الجماعة يسيرون في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنهم يتجنَّبون كل ما من شأنه أن ينفِّر الناس عن الإسلام، وأن في حسن أسلوبهم مِن جذب الناس عن المعاصي والبدع إلى الإسلام والتوحيد ما هو معلوم عند الكثير من الموافقين والمخالفين، وأن كثيراً من الواقعين في المعاصي عندما يرافقونهم ويعيشون معهم في البيئة الصالحة؛ يصبحون دعاة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويضحُّون بأموالهم وأوقاتهم في سبيل الدعوة إلى الله حسب استطاعتهم».

والجواب أن يُقال: كل ما ذكره المداهن المفتون في هٰذه الجملة؛ فهو من المجازفات والمغالطات والتلبيس على ضعفاء البصيرة؛ فهو في الحقيقة فتنة لكل مفتون.

ـ فأما قوله: «إن من المعلوم لدى الجميع أن الجماعة يسيرون في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة».

فجوابه أن يُقال: هٰذه الدعوى لا أساس لها من الصحة؛ لأن من المعلوم عن التبليغيِّين أنهم إنما يحافظون على عمارة محافلهم ومجامعهم بإلقاء البيانات عما يزعمونه من حصول الكرامات لهم، ويعمرونها أيضاً بالقصص الخرافية والمنامات التي هي في الغالب من تضليل الشيطان لهم وتلاعبه بهم، ويعمرونها أيضاً بالدعاوى الكاذبة؛ فهٰذه الأباطيل وأمثالها مما يسير عليه التبليغيُّون في دعوتهم هي التي يزعم المفتون بالتبليغيِّين أنها من الحكمة والموعظة الحسنة، وهي مما ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى

إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾.

وقد ذكرت في أول الكتاب قصصاً للتبليغيِّين، وفي القصة الخامسة عشرة منها ذكر اجتماع لهم عظيم في شارلوروا، وقد ذكر صاحب القصة أنهم جلسوا يستمعون إلى بيانات مشايخ التبليغ طيلة يوم السبت إلى صلاة العشاء، وأنهم لما سألوه عما يراه تجاه عملهم في هٰذا الاجتماع؟ قال: إني أفضل أن يكون خروجي لتعلُّم العربية والحديث والفقه في الدين، ولا أرغب الاستماع إلى الخرافات والمنامات التي لا شأن لي بها. . . وذكر بقية قصته معهم، وأنهم عذَّبوه عذاباً شديداً من أجل اعتراضه على أعمالهم السخيفة، وعدم رغبته في الاستماع إلى خرافاتهم ومناماتهم التي يضلِّلون بها السذَّج الذين يستمعون إليها؛ فلتراجع[1] القصة؛ ففيها أبلغ ردٍّ على قول المفتون بالتبليغيِّين: إن الجماعة يسيرون في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويقال أيضاً: إنه لا يوصف بالسير في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة إلا مَن كان متَّبعاً لهدي رسول الله ﷺ في الدعوة ومتمسِّكاً بسنَّته وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين.

قال الله تعالى: **﴿قُلْ هٰذِهِ سَبيلي أَدْعو إِلى اللهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا ومَنِ اتَّبَعَني﴾.**

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذِكْره لنبيه محمد ﷺ: **قُلْ** يا محمد: هٰذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته: سبيلي وطريقتي ودعوتي، أدعو إلى الله وحده لا شريك له، على بصيرة بذٰلك، ويقين وعلم مني به، أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً مَن اتَّبعني وصدَّقني وآمن بي» انتهى.

(١) (ص ٥٤ ـ ٥٧).

ثم روى عن ابن زيد: أنه قال: «حقٌّ والله على مَن اتَّبعه: أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكِّر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله».

وقال البغوي: «البصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل».

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة. قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة. والموعظة الحسنة؛ أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس؛ ذكرهم بها ليحذروا بأس الله» انتهى.

وإذا عُلم أن الدعوة لا تتَّصف بالحكمة والموعظة الحسنة إلا إذا كانت على بصيرة وعلم ويقين، وعلى طريقة رسول الله ﷺ، وذٰلك بالدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون ما سواه، والأمر بطاعة الله تعالى، والنهي عن معصيته، وعُلم أيضاً أن دعوة التبليغيِّين مبنيَّة على إلقاء البيانات عن الكرامات المزعومة والقصص الخرافية والمنامات المضلِّلة؛ فهل يقول عاقل: إن دعوتهم مبنيَّة على أساس صحيح من نصوص الكتاب والسنة، وأنها قد جاءت على وفق الحكمة والموعظة الحسنة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يدعو بها وكان يسير عليها في دعوته؟!

كلا؛ لا يقول ذٰلك من له أدنى مسكة من عقل، وإنما يقوله مَن اتَّخذ إلٰهه هواه، وأضلَّه الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة.

ــ وأما قوله: «إنهم يتجنَّبون كل ما من شأنه أن ينفِّر الناس عن الإسلام».

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن المعروف عن التبليغيِّين أنهم كانوا يتجنَّبون كل ما يرون أنه ينفِّر الناس عن متابعتهم والانضمام إليهم، حتى ولو أدَّى ذٰلك إلى ترك ركن من أركان الإسلام أو واجب من واجباته.

ولهٰـذا؛ فإنهم يقبلون كُلَّ مَن انضمَّ إليهم من المشـركين وأهـل البدع والفسوق والعصيان، ويكتفون منهم بمجرَّد الانتساب إلى الإسلام، ويتركون كلًّا منهم على ما هو معتاد عليه من شرك أو بدعة أو فسوق أو معصية، ويعلِّلون ذٰلك بأن التابعين لهم سوف يتركون ما هم عليه من المخالفات إذا تدرَّبوا على عمل الدعوة.

وصنيعهم هٰذا مخالف لهدي رسول الله ﷺ؛ فإنه لم يكن يقرُّ أحداً على شيء من المخـالفات التي كانوا عليها قبل الإسلام، بل كان يأمرهم بكل ما يجب في الإسلام، وينهاهم عن كل ما ينهى عنه الإسلام، ومَن خالف هدي النبي ﷺ؛ فقد أساء غاية الإساءة، وتعرَّض للعقوبة الشديدة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخالِفونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ**﴾.

الـوجه الثاني: أن يُقال: إن من أصول التبليغيِّين ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر. ومن أصولهم أيضاً تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً. ومن أصولهم أيضاً التجنُّب بشدة والمنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح؛ كما دلَّت عليه التجارب.

ولا يخفى ما في هٰذه الأصـــول الثـلاثـة من المبـالغـة في التنفير من الاستمساك بالعروة الوثقى، وهي شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وهٰذه الكلمة العظيمة هي أعظم أصول الإسلام، فلا يصحُّ الإسلام بدون الاستمساك بها، ولا بدَّ في

الاستمساك بها من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله؛ لأن الله تعالى يقول:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدى اللهُ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾.

وقد دلَّت الآية الأولى على أن مَن لم يجمع بين الكفر بالطَّاغوت والإيمان بالله؛ فليس بمسلم؛ لأنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

ودلَّت الآية الثانية على أن شرائع الرسل كلها متَّفقة على الأمر باجتناب الطاغوت، وفي هٰذا أبلغ ردٍّ على التبليغيِّين الذين ينفِّرون الناس من الكفر بالطَّاغوت، ولا يبالون بما يترتَّب على ذٰلك من المخالفة لجميع شرائع الرسل.

الوجه الثالث: أن يُقال: إن المعروف عن التبليغيِّين أنهم يجتنبون النهي عن المنكر، ويأمرون أتباعهم باجتنابه، ويشدِّدون عليهم في ذٰلك.

ولا يخفى ما يترتَّب على هٰذا العمل السيىء من المخالفة لهدي النبي ﷺ، وهدي الأنبياء قبله، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ولا يخفى أيضاً ما يترتَّب على ذٰلك من تنفير الناس عن العمل بهٰذا الواجب من واجبات الإسلام.

وما أعظم الخطر في هٰذا! لأن الله تعالى لعن اليهود على ترك التناهي عن المنكر، ولأن النبي ﷺ شدَّد في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي الظلمة والسفهاء وأطرهم على الحق وقصرهم عليه، وحذر من وقوع اللعن على مَن ترك النهي عن المنكر وتهاون به.

الوجه الرابع: أن يُقال: إن التبليغيِّين معروفون بالنفور من الكلام في بيان توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله، ومعروفون أيضاً بالنفور من الكلام في بيان

عقيدة أهل السنة والجماعة، ومعروفون أيضاً بالسب لأعلام الأئمة الذين كانوا يدعـون إلى التمسُّـك بالكتاب والسنة وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، ومعروفون بالنفور منهم وتنفير أتباعهم عنهم، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى؛ فهٰؤلاء الأئمة عند التبليغيِّين بمنزلة الشجى في الحلق.

وقد تقدم في القصة الرابعة من قصص التبليغيِّين أن أحد أمرائهم قال: «والله؛ لو كان لي من الأمـر شيء؛ لأحرقت كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب، ولم أترك على وجه الأرض منها شيئاً»!

والجواب أن يُقال لهٰذا الفاسق: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾.

وتقدَّم في القصة السادسة من قصصهم أن أحد أمرائهم وقادتهم أحرق كتاب «الجامع الفريد» من أجل ما فيه من بيان التوحيد والدعوة إليه، والتحذير من الشرك والبدع.

ويظهر من حماقة هٰذا الفاسق أنه أراد شفاء قلبه من الغيظ على الأئمة المؤلفين لكتب التوحيد، التي قد جمعت في «الجامع الفريد»، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى، ونرجوا من الله أن يميت الفاسق بغيظه.

وله أيضاً هدف آخر خبيث، وهو تنفير الجماعة الذين كانوا معه من كتب التوحيد ومن المصنِّفين لها، والله المسؤول أن يعامله بعدله.

وتقدم في القصَّة السابعة من قصص التبليغيِّين: «أن بعض الأساتذة في كلية الشريعة بالمدينة المنورة خرج مع التبليغيِّين لإرشاد الحجَّاج وتوجيههم، فقال له أميرهم: إنه يجب عليك أن تتجنَّب في حديثك الكلام في الشركيات وأنواع البدع؛ لأن سبب انحسار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو الاهتمام

الزائد في ذلك. قال الأستاذ: فجعلت كلامي على قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيات. قال: ومع ذٰلك؛ فقد غادر أكثر هٰذه الجماعة المكان - يعني: جماعة التبليغ -، وبقيت مع الحجيج برهة من الزمن».

وتقدَّم في القصة الثامنة والقصة التاسعة أن أحد كبار العلماء في المدينة المنوَّرة ألقى موعظة في مسجد التبليغيِّين في المدينة، وهو الذي يسمُّونه مسجد النور، فانفض التبليغيُّون، وخرجوا من المسجد، ولم يستمعوا إلى كلامه وموعظته.

وفي القصة أيضاً أن العالم المشار إليه ألقى موعظة في مسجد صياف في الحرة الشرقية بالمدينة؛ فانفضَّ التبليغيُّون، ولم يستمعوا إلى كلامه وموعظته.

وتقدَّم في القصة العاشرة أن أحد كبار العلماء في المدينة المنوَّرة ذهب إلى المقرِّ الرئيسي للتبليغيِّين بدلهي في الهند، وأراد أن يُلقي عليهم دروساً في بيان العقيدة السلفية وتوحيد الألوهية والتحذير من الشرك والبدع، وليبيِّن لهم وجوب الكفر بالطاغوت ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأظهروا له الجفاء، ومنعوه من الكلام في مقرهم.

وتقدم في القصة الثالثة عشرة أن الحسامي لما بدأ يتكلَّم في بيان التوحيد والتحذير من الشرك؛ اعتدى عليه أربعة من التبليغيِّين وقالوا له: أنت شيطان ناطق، وأنت تريد تخرب جماعة التبليغ، ثم أخذوا فيوز الميكروفون.

وتقدم في القصة الرابعة عشرة أن صاحب القصة لما تكلَّم في بيان التوحيد وإخلاص العبادة لله؛ قال له أحد المسؤولين في جماعة التبليغ: لماذا تفسد عقول المسلمين الصافية بآراء ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب الباطلة؟! ثم طردوه وطردوا أصحابه من المكان الذي كانت فيه جماعتهم.

وتقـدَّم كلام حسين أحمـد الـديوبنـدي في شيخ الإسـلام محمـد بن عبدالوهاب وإقذاعه في سبِّه والطعن عليه وعلى أهل التوحيد والعقيدة السلفية.

وتقدَّم كلام أنور شاه الكشميري في سب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب . . .

إلى غير ذٰلـك مما ذكره العلماء عن التبليغيِّين من الألفاظ البذيئة التي يصرِّحون فيها بسب أهل التوحيد والعقيدة السلفيَّة، ويسمُّونهم الوهَّابيين؛ تقليداً لدحلان وأمثاله من الدجَّالين، وإنما يقصدون بهٰذه التسمية وبكل ما تقدَّم ذكره عنهم التنفير من أهل التوحيد ومن عقيدتهم الصحيحة السليمة من شوائب الشرك والبـدع والضلالات والخرافات التي قد تلوَّث بها التبليغيُّون وغيرهم من أهل الجهل والضلال.

ـ وأمـا قوله: «إن في حسن أسلوبهم من جذب الناس عن المعاصي والبـدع إلى الإسـلام والتـوحيد ما هو معلوم عنـد الكثير من المـوافقين والمخالفين».

فجوابه أن يُقال: إن هٰذا من الدعاوى التي يشهد الواقع بأنها من المجازفة والمغالطة:

فأما أسلوب التبليغيِّين في الدعوة؛ فإنه ينطبق عليه ما توصف به الحية من كونها لينة الملمس مع وجود السم الناقع في أنيابها.

وأما جذب الناس عن المعاصي والبدع إلى الإسلام والتوحيد؛ فهو من الأمور المعروفة عن أهل السنة والجماعة، وليس معروفاً عن التبليغيِّين، وإنما المعـروف عنهم أنهم يكتفون من المدعوِّين بمجرَّد الانتساب إلى الإسلام، ويتركون كلًّا منهم على ما هو معتادٌ عليه من شرك أو بدعة أو معصية، ويعلِّلون

ذٰلك بأن التابعين لهم سوف يتركون ما هم عليه من المخالفات إذا تدرَّبوا على عمل الدعوة، وقد تقدَّم الرد على هٰذا الصنيع، وبيان أنه مخالف لهدي رسول الله ﷺ.

ومن عجيب أمر المفتون بالتبليغيِّين زعمه أنهم يجذبون الناس عن البدع إلى التوحيد، وهٰذا من الدعاوى التي ليست بصحيحة؛ لأن من المعلوم عند المطَّلعين على أخبار التبليغيِّين أنهم متضلِّعون من البدع والضلالات غاية التضلُّع، وأنهم مفلسون من توحيد الألوهيَّة وعلومه غاية الإفلاس، ومن كانوا بهٰذه الصفة؛ فكيف يُقال عنهم: إنهم يجذبون الناس عن البدع وهم من أهلها؟! وكيف يُقال عنهم: إنهم يجذبون الناس إلى التوحيد وهم لا يعرفون توحيد الألوهيَّة الذي هو أعظم أصول الإسلام ولا يصح الإسلام بدونه، وإنما يعرفون توحيد الربوبيَّة الذي كان المشركون الأوَّلون يعرفونه ويقرُّون به، ولم ينفعهم ذٰلك، ولم يدخلوا به في الإسلام؟!

ـ وأما قوله: «إن كثيراً من الواقعين في المعاصي عندما يرافقونهم ويعيشون معهم يصبحون دعاة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويضحُّون بأموالهم وأوقاتهم في سبيل الدعوة إلى الله».

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن هٰذا من المجازفة والزعم الذي لا صحة له في الواقع، وذٰلك أنه لا يُعْرَف عن أحد ممَّن انضمَّ إلى التبليغيِّين أنه أصبح داعياً إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل إن المفتون بهم قد انضمَّ إليهم منذ أكثر من ثلاثين سنة، ومع هٰذا؛ فإنه لم يصبح داعياً من الدعاة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإنما أصبح داعياً من الدعاة إلى الانضمام إلى التبليغيِّين وتكثير سوادهم، وأصبح من المجادلين عنهم بالباطل، وذٰلك أنه كتب رسالة إلى أميرهم ومَن معه

من مشايخهم، وذكر فيها أشياء مما هم واقعون فيه من البدع والضلالات، ونقَدَ أعمالهم السيئة نقداً جيّداً، ولما استهانوا به ولم يردُّوا جواباً على كتابه؛ نكص على عقبيه، وكتب كتيِّباً يمدحهم فيه ويصفهم بالأوصاف التي لا تنطبق عليهم، وقد نقض في كتيِّبه كلَّ ما قدَّمه من الإنكار عليهم والنقد لأعمالهم السيئة، نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، ومن تقديم رضى المخلوقين على رضى الخالق.

الوجه الثاني: أن يُقال: قد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٣٨) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»: أن التبليغيين يهربون من العلم بالمسائل، ولا سيما العلم بالأدلَّة، بل ويحاربون العلم بالمسائل، ويحاربون العلم بالأدلَّة من الكتاب والسنة، ويسمُّونها جدلاً وشغباً وخصاماً، ويقولون: إن العلم كهٰذا يصرف الإنسان عن العمل، ويسمونها كذٰلك أنها القيل والقال المنهي عنه المبطىء عن العمل.

إلى أن قال: «فهم يضلِّلون العلم بالمسائل والعلم بالأدلَّة وأهلها» انتهى المقصود من كلامه، وفيه أبلغ ردٍّ على المفتون الذي وصف التبليغيين بما ليس من صفاتهم.

الوجه الثالث: أن يُقال: قد تقدَّم قريباً بيان ما عليه التبليغيُّون من النفور عن الكلام في توحيد الألوهيَّة وبيان العقيدة السلفية، والنفور من الأئمة الذين يدعون إلى التمسُّك بالكتاب والسنة وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، فليراجَع ما ذُكر عنهم؛ فإن فيه أبلغ ردٍّ على المفتون الذي مدحهم بالباطل، ووصفهم بالصفات التي لا تنطبق عليهم.

● الدعامة السابعة:

مجانبة الصدق في القول، وذٰلك في قوله في (ص ١١): «إن أغلب إنكار مَن ينكر على هٰؤلاء الدعاة ـ يعني: التبليغيِّين ـ مبنيٌّ على الظن».

والجواب على هٰذا من وجوه:

أحـدهـا: أن يُقال: إن المفتون قد ذكر في رسالته إلى أمير التبليغيِّين وبعض مشايخهم أشياء كثيرة مما هم واقعون فيه من البدع والضلالات، وقد أنكرها عليهم ونَقَدها نقداً جيّداً، ثم نقض في هٰذه الجملة ما جزم به في رسالته إليهم، فزعم أن أغلب إنكار مَن ينكر عليهم مبنيٌّ على الظن، ولا يخلو من تعمُّد الكذب في أحد الموضعين: إما في رسالته التي جزم فيها بوقوع ما أنكره عليهم، وإما في هٰذه الجملة، وهٰذا هو الأقرب والأشبه بحال الرجل الذي لا يُبالي بالتذبذب والتناقض.

الـوجـه الثاني: أن يُقال: إن كثيراً من المنكَرات المذكورة عن مشايخ التبليغيِّين ودعاتهم موجود في كثير من كتبهم، ولا يستطيع المفتون إنكار ما هو موجود في كتبهم، وقد ذكر محمد أسلم الباكستاني كثيراً منها في كتابه المسمى «جمـاعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»، وذكر مواضعها في كتب مشايخ التبليغ؛ فليراجع كتابه؛ فإن فيه أبلغ ردٍّ على المفتون الذي يجادل عن التبليغيِّين بالباطل.

ومن كتب التبليغيِّين المملوءة بالأباطيل والخرافات كتاب «تبليغي نصاب»، وقد اعترف المفتون في رسالته إلى أمير التبليغيِّين أن هٰذا الكتاب قد احتوى على ما يخالف الشرع من بعض البدع وطلب الشفاعة من الرسول والاستغاثة به وطلب الاستغفار منه، وفيه خرافة أحمد الرفاعي، وفي هٰذا الاعتراف أبلغ ردٍّ على قوله: «إن أغلب إنكار من ينكر على هٰؤلاء الدعاة مبنيٌّ على الظن».

الوجه الثالث: قد ذكرت قريباً عن الشيخ عامر عثماني ـ وهو أحد كبار علماء ديوبند ـ: أنه قال: «إني وإن كنت أتعلق بحلقة ديوبند، لكن الحقيقة

التي لا تنكر أن بعض الكتب المشهورة من الكتب الديوبندية كـ «أرواح ثلاثة» و«تـذكـرة الـرشيد» و«السـوانـح القـاسمية» و«أشرف السوانح» وعدد خاص لـ «جـريدة الجمعية» باسم «شيخ الإسلام» و«الأنفاس القدسية» وغيرها؛ قد جاءت فيها عجائب وغرائب وشطحات».

قال: «والحقيقة أن القصص الفاحشة والروايات الخليعة ما أضرَّت قراءها كما أضرَّت هٰذه المؤلفات قراءها، فعلَّمتهم هٰذه الكتب دروس تعظيم المشايخ بدل عبـادة الله وألوهيته...» إلى آخر كلامه الذي نقد فيه مشايخ التبليغيِّين وكتبهم نقداً جيداً؛ فليراجع[1]؛ فإنه مهمٌّ جدّاً، وفيه أبلغ ردٍّ على المفتون الذي زعم أن أغلب إنكار من ينكر على التبليغيِّين مبنيٌّ على الظن.

● **الدعامة الثامنة:**

إظهار التجاهل بوجود البدع والخرافات عند بعض مشايخ التبليغيِّين أو بعض أفرادهم، وذٰلك في قوله في (ص ١٢): «إننا لا نستطيع أن نبرئهم كلهم من البدع والخرافات التي لم تظهر لنا، بل نقول: يحتمل أن عند بعضهم شيئاً من ذٰلك يفعله سرّاً؛ لا نقطع بنفي ولا إثبات».

والجواب أن يُقال للمفتون: ارجع إلى رسالتك التي كتبتها لإنعام الحسن ومَن معه من مشايخ التبليغيِّين؛ فإن فيها أبلغ ردٍّ على ما في هٰذه الجملة من التجاهل بوجود البدع والخرافات عند مشايخ التبليغيِّين وبعض أفرادهم، ولا تكن من الذين قال الله فيهم: ﴿**وَجَادَلُوا بِالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ**﴾، واعلم أن رسالتك إلى أمير التبليغيِّين محفوظة، وهي تشهد عليك بكل ما اعترفت به فيها من بدع التبليغيِّين وخرافاتهم، ثم أنكرته بعد ذٰلك بنحو من خمسة أشهر، وظننتَ أن هٰذا يخفى على الناس!

---

(١) (ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ و٢٦١).

أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صمَّاء ليس لها باب ولا كوَّة؛ لخرج عمله للناس كائناً ما كان»؟!

رواه الإمـــام أحمـد من حديث أبي سعيد الخـدري رضي الله عنـه، وصحَّحه ابن حبان والحاكم والذهبي.

● **الدعامة التاسعة:**

قلة المبـالاة بأداء الأمانة العلمية، وذٰلك فيما ذكره في (ص ١٦) عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أنه قد أيَّد دعوة التبليغيِّين وحثَّ عليها.

والجواب أن يُقال: إن مشايخ التبليغيِّين ذوو مكر وخديعة، وذٰلك أنهم في أول أمرهم كانوا يحرصون على كتمان بدعهم وضلالاتهم، ويظهرون للناس أنهم من الدعاة إلى العمل بالكتاب والسنة، وقد جاء بعضهم إلى الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله تعالى، فطلبوا منه كتاباً إلى العلماء في الأحساء والمقاطعة الشرقية؛ ليمكِّنوهم من الوعظ والإرشاد في المساجد، فكتب معهم الشيخ كتاباً يطلب فيه تمكينهم من ذٰلك؛ بناء على حسن ظنه بهم، وهٰذا الكتاب مؤرخ في ١٩/ ٥/ ١٣٧٣هـ، ثم لما تبيَّن له أنهم أهل بدع وضلالات؛ كتب كتاباً آخر، صرَّح فيه بأنهم أهل بدعة وضلالة، وحذَّر منهم، وهٰذا الكتاب ناسخ للكتاب الأول، ومبـطل لمـا ذُكـر فيه من تحسين حالهم، وهو مؤرَّخ في ٢٩ / ١ / ١٣٨٢هـ.

وهٰذا نص الكتاب الأول:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد بن إبراهيم إلى مَن يراه من علماء الأحســاء والمقـاطعـة الشـرقية، جعلني الله وإياهم من المتعـاونين على البر والتقوى، ومن المعينين المساعدين لمَن على الدعوة إلى الله ينشط ويقوى آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فحامل هٰذا الكتاب سعيد محمد علي الباكستاني ورفقاؤه كانوا من جمعية التبليغ في باكستان، ومهمتهم العظة في المساجد والإرشاد، والحث والتحريض على التوحيد وحسن المعتقد، والحث على العمل بالكتاب والسنة، مع التحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذٰلك من البدع والمنكرات، كتبت عنهم بذٰلك طلباً لمساعدتهم من إخوانهم بالتمكين لهم من ذٰلك، سائلاً الله تعالى أن يرزقهم حسن النية والتوفيق للنطق بالحق والسلامة من الزلل، وأن ينفع بإرشادهم وبيانهم؛ إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه».

وهٰذا الكتاب لم يوضع مع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم لما طُبعت؛ لأنه قد رجع عنه بما صرَّح به في كتابه الأخيرِ الذي هو ناسخ لما كان قبله، وكتابه الأخير مذكور في (ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨) من الجزء الأول من فتاوى الشيخ محمد ابن إبراهيم، وهٰذا نصه:

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقَّيت خطاب سموِّكم (رقم ٣٧/ ٤/ ٥ ـ د في ٢١/ ١/ ١٣٨٢هـ) وما برفقه، وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظَّم من محمد عبدالحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبدالسلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سمَّوها «كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية»، وكذٰلك الكتيِّبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم، وأعرض لسموِّكم أن هٰذه الجمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة، وبقراءة الكتيِّبات المرفقة بخطابهم؛ وجدناها تشتمل على الضلال

والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه، ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها، ونسأل الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، والسلام عليكم ورحمة الله.

ص - م - ٤٠٥ في ٢٩/ ١/ ١٣٨٢هـ».

وإذا عُلِم هٰذا؛ فليعلم أيضاً أن اقتصار المفتون على ما جاء في الكتاب الأول من تأييد الشيخ محمد بن إبراهيم لدعوة التبليغيِّين، وإعراضه عمَّا جاء في كتابه الأخير من الذمِّ لهم ولكتبهم والتَّحذير منهم ومن كتبهم، ظاهر في قلة مبالاته بأداء الأمانة العلمية، وقصده الغش والتلبيس على ضعفاء البصيرة.

وقد روى: الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قلَّما خطبنا رسول الله ﷺ؛ إلا قال: «لا إيمان لمَن لا أمانة له».

وروى: الإمام أحمد أيضاً، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من غشَّنا فليس منا».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

قال: «وفي الباب عن ابن عمر وأبي الحمراء وابن عباس وبريدة وأبي بردة ابن نيار وحذيفة بن اليمان».

قلت: وفي البـاب أيضاً عن عائشة وابن مسعود وأبي موسى والبراء بن عازب وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

فليتأمل المفتون ما جاء في هٰذه الأحاديث حق التأمل، وليتق الله تعالى، وليبـادر إلى التوبة النصوح وبيان الحق والرد على أهل البدع والضلالات من التبليغيِّين وغيرهم، وليحـذر أشـد الحـذر من الإصرار على الغش والتدليس

والتلبيس على ضعفاء البصيرة، وتقديم رِضى مشايخ التبليغيِّين على رِضى الله تعالى، وإن لم يفعل؛ فلا يأمن من زيغ القلب وانتكاسه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾.

● الدعامة العاشرة:

قلب الحقيقة المعروفة عن جماعة التبليغ، وذٰلك في قوله في (ص ١٦): «والظاهر لمن يتأمَّل أحوال جماعة التبليغ أنهم إنما يريدون بدعوتهم الخير والنصح لأنفسهم وللمسلمين عامة، وأنهم لا يريدون ببذل جهدهم إلا الإصلاح، وليسوا معصومين عن الخطأ، لكنهم يعتقدون جازمين أنهم على الحق، طالما أنهم يدعون الناس إلى التمسُّك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة، كيف لا وهم يعلنون دائماً قائلين: إن فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة بامتثال أوامر الله تعالى على طريق رسول الله ﷺ...».

إلى أن قال: «ولكن الذي يغلب على الظن أن مَن كان يبذل ماله ووقته وفكره في خدمة الإسلام؛ فإنه إذا وفَّقه الله تعالى؛ يقبل الحق إذا تبيَّن له أنه على خطأ في بعض ما يتصوَّره صواباً، وهٰذا ما لمسناه».

والجواب عن هٰذا من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن كل ما ذكره المفتون في هٰذه الجملة عن التبليغيِّين على وجه الثناء عليهم؛ فكلامه في رسالته إلى إنعام الحسن وغيره من مشايخ التبليغيِّين يناقض ذٰلك ويبطله، وذٰلك أنه ذكر عنهم أشياء كثيرة من البدع والأعمال السيئة، وأنكرها عليهم، ونقدها نقداً جيِّداً؛ فليراجع ذٰلك في الفصل الذي قبل هٰذا الفصل[1]؛ ففيه كفاية في الرد على ما جاء في هٰذه الجملة من المغالطة والتدليس والتلبيس على ضعفاء البصيرة.

---

(١) (ص ٢٤٣ ـ ٢٥٧).

الوجه الثاني: أن أقول: قد ذكرت في أثناء الكتاب عن مشايخ التبليغيِّين أشياء كثيرة من الشرك الأكبر وأشياء كثيرة من البدع والضلالات والخرافات والجهالات التي تناقض الثناء الكاذب الذي أثنى به المفتون عليهم، ولا سيما في زعمه أنهم يدعون الناس إلى التمسُّك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة؛ فليراجع ما تقدَّم ذكره عنهم[1]؛ ففيه أبلغ ردٍّ على ما جاء في هٰذه الجملة المبنيَّة على التدليس والتلبيس.

ويقال أيضاً: قد ذكر الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي عن التبليغيِّين أنهم يحاربون العلم بالأدلَّة من الكتاب والسنة، ويسمُّونها جدلاً وشغباً وخصاماً، ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فلا شكَّ أنهم بعيدون غاية البعد عن دعوة الناس إلى التمسُّك بالكتاب والسنة، والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة، وبعيدون أيضاً عن إرادة الخير والإصلاح والنصح لأنفسهم وللمسلمين.

ويُقال أيضاً: إنّ المعروف عن التبليغيِّين أنهم يحرصون على دعوة الناس إلى الانضمام إليهم وتكثير سوادهم، ولا يبالون بإصرارهم على ما هم واقعون فيه من شرك أو بدعة أو فسوق أو عصيان، بل يتركون كُلًّا منهم على ما هو معتاد عليه من المنكرات، ويعلِّلون ذٰلك بأن التابع لهم سوف يترك ما هو واقع فيه من المخالفات إذا تدرَّب على عمل الدعوة، ولو كانوا يدعون إلى التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة؛ لَما تركوا المسيئين على أعمالهم السيئة، بل كانوا يأخذون على أيديهم، ويأطرونهم على الحق أطراً؛ لأن رسول الله ﷺ قد أمر بذٰلك، وشدَّد في تركه، وتوعَّد التاركين له باللعن، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

---

(١) (ص ٣٨ - ١٥٠).

الوجه الثالث: أن يُقال: إن المفتون قد ذكر في رسالته إلى إنعام الحسن وغيره من مشايخ التبليغيِّين كثيراً مما هم واقعون فيه من البدع والمنكرات، وطلب منهم أن يعرضوا جميع اعتقاداتهم وأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم على منهج الرسول ﷺ، وذكر لهم أنه ينتظر الجواب منهم.

وقد ذكر بعض المطَّلعين على أخبار مشايخ التبليغيِّين أنهم رفضوا الإجابة على رسالته، وفي هٰذا أبلغ ردٍّ على قوله: «وهٰذا ما لمسناه»، ولو كان ما ذكره من اللمس صحيحاً؛ لما رفضوا الإجابة على رسالته.

وفي رفضهم الإجابة على رسالته دليل على أنهم كانوا مصرين على البدع والضلالات والجهالات التي أنكرها عليهم وطلب منهم الإقلاع عنها.

وفيه أيضاً دليل على أنهم بعيدون غاية البعد عن إرادة الخير والإصلاح والنصح لأنفسهم وللمسلمين، وعن دعوة الناس إلى التمسُّك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة، وأن ما يعلنونه دائماً بأن فلاحهم ونجاحهم في الدنيا والآخرة بامتثال أوامر الله تعالى على طريق رسول الله ﷺ إنما هو مجرَّد قول يخدعون به أتباعهم ويخالفونه بأفعالهم.

● الدعامة الحادية عشرة:

دفاعه بالشبهات عن التبليغيِّين فيما يتعلَّق باقتصارهم على توحيد الربوبية، واكتفائهم به عن توحيد الألوهيَّة، وذٰلك فيما ذكره في (ص ١٨)، حيث ابتدأ بتقرير التوحيد بنوعيه تقريراً حسناً، ثم عقَّب ذٰلك بالمدافعة عن التبليغيِّين، فنقض بمدافعته عنهم بالشبهات ما قدَّمه قبل ذٰلك من الكلام الحسن في تقرير التوحيد بنوعيه، فكان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

فأما تقريره للتوحيد؛ فهو في قوله: «بل كلامنا كله يدور على كلمة

التوحيد فيما يتعلَّق بإخلاص العبادة لله وحده، وأنه ليس معناها توحيد الربوبية فحسب؛ فإنـه من المعلوم بيقين أن مشركي العرب مُقِرُّون بتوحيد الله تعالى بفعله الـذي هو توحيد الـربوبية، وأن هٰذا النوع من التوحيد لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم أنكروا توحيد الله بأفعال العبادة الذي هو توحيد الألوهيَّة» انتهى كلامه الحسن.

وبعـده شرع في التلبيس والمغالطة في مدافعته عن التبليغيِّين، فقال: «وقد أشار بعض أصحاب الرسائل إلى أنهم لا يتكلَّمون إلا عن توحيد الربوبية، ولا يذكرون توحيد الألوهيَّة، فأقول: نعم؛ قد لا يذكرون نوعي التوحيد بهٰذه العبارة (توحيد الربوبية كذا، وتوحيد الألوهية كذا)، ولكنهم يأتون بهما من حيث المعنى بتعبير آخر؛ إذ من الأصول التي يمشون عليها إخلاص النية لله تعالى في جميع الأقوال والأفعال، وهٰذا يعني في الحقيقة توحيد الألوهية، الذي هو توحيد الله بأفعال العبادة».

قال: «وأنت إذا صحبتهم في خروجهم للدعـوة؛ وجـدت أن دعـاءهم وأعمـالهم لا تخـرج عن توحيد الألوهيَّة؛ لحرصهم الشديد على أن لا تخرج أعمالهم وأقوالهم عن أعمال وأقوال الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم».

قال: «ولتمام الفائدة نذكر هنا كلاماً لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى يتعلَّق بذٰلك، فقال رحمه الله في المجلد الأول من «الدرر السنية» (ص ٦٧ ـ ٦٨) ما نصه:

فاعلم أن الـربـوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلٰهِ النَّاسِ﴾، وكما يُقال: رب العالمين، وإله المرسلين. وعند الإفراد يجتمعان؛ كما في قول القائل: مَن ربُّك؟ مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى: ﴿إِنَّما الصَّدَقَاتُ للفُقَراءِ والمَساكينَ﴾،

ونـوعٌ واحـدٌ في قولـه: «افتـرض عليهم صدقـة تؤخـذ من أغنيائهم فتردّ إلى فقرائهم». إذا ثبت هٰذا؛ فقول الملكين للرجل في القبر: مَن ربُّك؟ معناه: مَنْ إلٰهك؟ لأن الربوبية التي أقرَّ بها المشركون ما يُمْتَحَنُ أحدٌ بها، وكذٰلك قوله: ﴿الَّذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَنْ يَقولوا رَبُّنا اللهُ﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللـهِ أَبْغي رَبّاً﴾، وقوله: ﴿إنَّ الَّذينَ قَالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقاموا﴾؛ فالربوبية في هٰذا هي الألوهيَّة، ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطُّن لهٰذه المسألة».

والجـواب أن يُقـال: أمـا قوله عن التبليغيِّين: «إنهم لا يذكرون نوعي التوحيد بهٰذه العبارة (توحيد الربوبية كذا وتوحيد الألوهية كذا)».

فجوابه أن يُقال: هٰذا من أوضح الأدلَّة على جهل التبليغيِّين بالتوحيد، بحيث إنهم كانوا لا يعرفون الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهيَّة؛ فلهٰذا كانوا يفسِّرون معنى (لا إلٰه إلا الله) بمعنى توحيد الربوبية، فيقولون: معناه: أن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبِّر للأمور، وبهٰذا التفسير كان توحيدهم مطابقاً لما كان عليه المشركون الذي بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كما أخبر الله بذٰلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن:

كقوله تعالى: ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَيَقولُنَّ اللهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقولُنَّ اللهُ﴾.

إلى غير ذٰلك من الآيات التي أخبر الله فيها عن المشركين أنهم كانوا يقرُّون بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم ذٰلك، ولم يدخلوا به في الإسلام.

ولا يخفى عَلى مَن له علم وبصيرة ما يترتَّب على مشابهة المشركين وسلوك سبيلهم في باب التوحيد وغيره من الأحكام الصارمة.

وأما قوله: «ولكنهم يأتون بهما من حيث المعنى بتعبير آخر، إذ من الأصول التي يمشون عليها إخلاص النية لله تعالى في جميع الأقوال والأفعال، وهٰذا يعني في الحقيقة توحيد الألوهيَّة، الذي هو توحيد الله بأفعال العبادة».

فجوابه أن يُقال: ما ذكره المفتون في هٰذه الجملة؛ فكلُّه من المبالغة في تحسين وضع التبليغيِّين في باب التوحيد، وتغطية ما هم عليه من مشابهة المشركين وموافقتهم في الإقرار بتوحيد الربوبية مع الإعراض عن توحيد الألوهيَّة.

وقد ذكرت في أثناء الكتاب عن أمراء التبليغيِّين ومشايخهم الكبار قصصاً كثيرة ممَّا وقع منهم من الشرك الأكبر والغلوِّ في القبور وأهلها والمرابطة على القبور لانتظار الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، وذكرتُ عنهم أيضاً من البدع والأباطيل والعقائد الفاسدة لانتظار الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، وذكرت عنهم أيضاً من البدع والأباطيل والعقائد الفاسدة شيئاً كثيراً، وهٰذا يدلُّ على فساد نياتهم، وبُعْدهم عن توحيد الألوهية وعن الإخلاص لله وحده؛ فليراجع ما تقدَّم[1]؛ ففيه أبلغ ردٍّ على مغالطة المفتون في تحسين وضع التبليغيِّين في باب التوحيد، وليراجع أيضاً ما ذكرته عنهم في إخلاص النية[2]؛ ففيه أبلغ ردٍّ عليه أيضاً.

ويقال أيضاً: إن من أعظم الأدلَّة على بُعْد التبليغيِّين عن توحيد الألوهية وإفلاسهم منه ما ذكره الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ١١)

---

(١) (ص ٣٨ - ١٥٠).

(٢) (ص ٢١١ - ٢١٣).

و(ص ١٣) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»؛ فقد ذكر أن «من أصولهم التي يدعون الناس إليها ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، والتجنُّب بشدة بل المنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر، وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح؛ كما دلَّت التجارب». انتهى كلامه.

ومن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة، التي ذكرها سيف الرحمٰن؛ فكيف يقول المفتون: إنهم يمشون على إخلاص النية في جميع الأقوال والأفعال، وأن هٰذا يعني في الحقيقة توحيد الألوهية؟!

أما علم المجادل عنهم بالباطل أن الكفر بالطاغوت شرطٌ من شرطي الاستمساك بالعروة الوثقى التي هي كلمة التوحيد وأعظم أصوله، ولا يتمُّ الإسلام لأحد حتى يستمسك بها؟!

والدليل على هٰذا قول الله تعالى: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصامَ لَها﴾**.

وقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدى اللهُ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾**.

ويُقال أيضاً: لا يخفى ما في أصول التبليغيِّين التي ذكرها سيف الرحمٰن من المعارضة للقرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، ومَن عمل بأصول التبليغيِّين أو بواحد منها؛ فلا شكَّ أنه مفلسٌ من توحيد الألوهيَّة غاية الإفلاس.

ومما يدلُّ على إفلاس التبليغيِّين من توحيد الألوهيَّة ما ذكره محمد أسلم

عن الشيخ عامر عثماني، وهو أحد كبار علماء ديوبند: أنه ذكر عدة كتب من كتب الديوبنديين، ثم قال: «إنها أضرَّت قراءها، وعلَّمتهم دروس تعظيم المشايخ بدل عبادة الله وألوهيَّته، دروساً لم يبق لإزالة سمومها أي شيء».

قال: «والتصوُّف مهما يختار فيه الاحتياط والاعتدال لا بدَّ أن يأتي معه سحر المكاشفات والكرامات والأمور الغيبية والتصرُّفات، ثم لما يختلط مع هٰذه الأشياء اعتقاد مريدي المشايخ؛ تتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى تكون هٰذه الأمور لأصول الشريعة الإسلامية تحدياً».

ثم ذكر عن أكابرهم أنهم يتيقَّنون أن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب والاستجابة والتصرُّفات الروحانية والمكاشفات والإلهامات حقٌّ وصدق قطعاً.

انتهى المقصود من كلامه ملخصاً، وقد تقدَّم بأبسط من هٰذا؛ فليراجع[1]؛ فإنه مهم جدّاً، وفيه أبلغ ردٍّ على مغالطة المفتون في تحسين وضع التبليغيِّين في توحيد الألوهية.

وأما قوله: «وأنت إذا صحبتهم في خروجهم للدعوة؛ وجدت أن دعاءهم وأعمالهم لا تخرج عن توحيد الألوهية؛ لحرصهم الشديد على أن لا تخرج أعمالهم وأقوالهم عن أعمال وأقوال الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم».

فجوابه أن يُقال: إن المفتون قد صحب التبليغيِّين أكثر من ثلاثين سنة، وانخدع بهم غاية الانخداع، ثم لما كان في آخر شهر صفر من سنة ١٤٠٧هـ؛ ثاب إليه رشده مدة يسيرة، فكتب إلى أميرهم إنعام الحسن وغيره من مشايخهم رسالة ينكر فيها أشياء كثيرة مما هم واقعون فيه من أنواع الضلال، ونَقَدَهم في رسالته نقداً جيِّداً، ولما رفضوا الإجابة على رسالته؛ نكص على عقبيه، ورجع

(١) (ص ٢٠١ - ٢٠٣).

يستعطفهم ويترضَّاهم بالمدح والثناء الكاذب في كتيِّبه الذي كتبه بعد الرسالة بخمسة أشهر!!

ومن ذٰلك قوله: «إنك إذا صحبتهم وجدت أعمالهم لا تخرج عن توحيد الألوهيَّة، وأنهم يحرصون حرصاً شديداً على أن لا تخرج أعمالهم وأقوالهم عن أعمال وأقوال الرسول ﷺ وأصحابه».

والجواب أن يُقال: إن المفتون قد تناسى وتجاهل ما ذكره في رسالته إلى إنعام الحسن وغيره من مشايخ التبليغيِّين وما أنكره عليهم من الأقوال والأعمال التي تنافي توحيد الألوهية وتخالف أقوال الرسول ﷺ وأعماله وأقوال الصحابة وأعمالهم.

فأما النسيان لذٰلك؛ فهو بعيد جدّاً؛ لقصر المدة التي كانت بين كتابة الرسالة وبين كتابة الكتيِّب.

وإنه ليخشى على المفتون أن يكون قد أُصيب بتقليب القلب:

فقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن عزَّ وجلَّ؛ كقلب واحد؛ يصرِّف كيف يشاء».

رواه: الإمام أحمد، ومسلم؛ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وفي رواية لأحمد: أن رسول الله ﷺ قال: «قلب ابن آدم على أصبعين من أصابع الجبَّار عزَّ وجلَّ، إذا شاء أن يقلبه؛ قلَبَه».

وروى الإمام أحمد أيضاً عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «إنما قلوب العباد بين أصبعي الرحمٰن، إنه إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلَبَه».

وروى: الإمام أحمد أيضاً، والترمذي؛ عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا من آدميٍّ؛ إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عزَّ وجلَّ؛ ما شاء أقام، وما شاء أزاغ».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن».

وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلِّبها كيف يشاء».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن».

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح عن النوَّاس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلب؛ إلا بين إصبعين من أصابع الرحمٰن؛ إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه».

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، وصححه، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

إذا علم هٰذا؛ فليعلم أيضاً أن المفتون قد أنكر الأذكار الصوفية التي يقوم بها الدعاة القدامى الكبار من التبليغيِّين، وعلَّلَ ذٰلك بأنها مخالفة لهدي رسول الله ﷺ، ثم ذكر عن الدعاة القدامى الكبار أنهم يقولون للناس دائماً: إن فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة باتباع أوامر الله تعالى على طريق رسول الله ﷺ.

قال: «ثم هم سِرّاً يقومون بأعمال ليس عليها أمر الله ولا أمر رسوله ﷺ؛ إذ لم يعملها رسول الله ﷺ، ولا عملها أصحابه رضي الله عنهم من بعده، ولا عملها كذٰلك السلف الصالح من التابعين وغيرهم، ولا عرفها كذٰلك الأئمة الكرام أمثال أبي حنيفة وغيره من الأئمة».

قال: «ومن المعلوم أن هٰذه الأذكار المحدثة على الكيفية الموجودة الآن

ليست من المسائل المختلف فيها فيعذر أصحابها، وكان المطلوب من الدعاة أن يتجنَّبوا كل شيء يخالف سنة الرسول ﷺ، بل هٰذا مما يتحتَّم، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم؛ كما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وأما أن يكون للشخص عملان: أحدهما ظاهر يدعو الناس إليه، والآخر باطن يخفيه عن الناس؛ فهٰذا لا يتفق مع حال المؤمن، وأعاذنا الله جميعاً من حال أهل النفاق».

هٰذا ملخص كلامه في الكلمة الأولى من الكلمات التي أنكر فيها بعض أعمال القدامى الكبار من التبليغيِّين ونَقَدَهم فيها نقداً جيِّداً.

ومما أنكره المفتون على إنعام الحسن: أخذه البيعة على بعض الطرق من طرق الصوفية، وهي الجشتية والقادرية والسهروردية والنقشبندية، وعلَّل ذٰلك بأنها من المحدثات، وقد قال النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

قال: «ولئن فعلْتَ وأخذتَ البيعة على بعض الناس خشية من بعض الناس أو خوفاً من بُعْدهم؛ فالله أحقُّ أن يُخشى وأن يُخاف منه».

ومما أنكره المفتون على إنعام الحسن ومن معه من كبار مشايخ التبليغيِّين اعتمادهم على كتاب «تبليغي نصاب»، وعلَّل ذٰلك بأنه قد احتوى على ما يخالف الشرع من بعض البدع، وطلب الشفاعة من الرسول والاستغاثة به وطلب الاستغفار منه.

قال: «ومعلوم أن هٰذا ينافي حقيقة التوحيد؛ توحيد العبادة، ولا يخفى منع ذٰلك بعد مماته ﷺ».

قال: «وكذٰلك فيه خرافة أحمد الرفاعي الذي يُنسب إليه أنه يزعم أن

الرسول ﷺ ناوله يمينه فقبّلها».

ثم طلب المفتون من إنعام الحسن ومشايخ التبليغيِّين أن يشكِّلوا نخبة من العلماء ليهذِّبوا «تبليغي نصاب» ويزيلوا منه كل ما لا يتَّفق مع الشريعة.

ومما أنكره المفتون على إنعام الحسن وكبار مشايخ التبليغيِّين: التحلُّق لقراءة سورة ﴿يٓس﴾، ثم الدعاء بعدها، وعلَّل ذٰلك بأنه لم يرد به دليل من كتاب ولا سُنَّة، وليس من العبادات، وليس هو على ترتيب الرسول ﷺ.

ومما أنكره المَفتون على علماء التبليغيِّين ما رآه من كثير من الجهال أنهم يقبلون جدران القبور والشبابيك الموضوعة على بعض الأماكن المقدسة، حتى آل الأمر إلى عبادة القبور، وقد ذكر أن ذٰلك بسبب ما يذكره بعض علماء التبليغيِّين في بياناتهم من شعر مجنون ليلى وقوله:

أَمُرُّ عَلى الدِّيارِ دِيارِ لَيْلى ... أُقَبِّلُ ذَا الجِدارَ وذَا الجِدارا
ومَا حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي ... ولٰكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

ومما أنكره المفتون على علماء التبليغيِّين ما قد يأتي في بياناتهم من ذكر عالَم الأرواح، وعلَّل ذٰلك بأن هٰذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، وأن هٰذه نظرية لبعض الفلاسفة المنحرفين أمثال ابن سينا وغيره من غلاة الشيعة وغيرهم من القائلين بالتناسخ.

ثم إن المفتون حثَّ التبليغيِّين على التأكُّد من صحة الأحاديث، وعدم مخالفتها لنصوص الكتاب وصحيح السنة، وحثَّهم أيضاً على الاهتمام بتحقيق معنى (لا إلٰه إلا الله).

قال: «وهو توحيد العبادة؛ أي: توحيد الله بأفعال العبادة».

ثم ذكر أن الشرك الحقيقي إنما وقع في بني آدم في شرك العبادة، وهو

دعوة الله ودعوة غيره معه.

إلى أن قال: «وبالجملة؛ فيجب أن نعرض جميع اعتقاداتنا وأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا على منهج الرسول ﷺ، فما وافق منها؛ بقي، وما خالف؛ نرمي به عرض الحائط، ولو عمل به أكثر الناس».

انتهى ملخصاً من رسالته إلى إنعام الحسن ومَن معه من مشايخ التبليغيِّين، فإن كان قد تناسى رسالته وتجاهلها؛ فليعلم أنها محفوظة عندنا، وفيها أبلغ ردٍّ على تناقضه ومغالطته وتلبيسه على ضعفاء البصيرة وإخلاله بالأمانة العلمية.

وأما كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في الربوبية والألوهية؛ فإنما أورده المفتون ليستشهد به على مغالطته في تحسين وضع التبليغيِّين في توحيد الألوهية، وليلبِّس بهذا الدس على ضعفاء البصيرة، ويوهمهم أن تعلُّق التبليغيِّين بتوحيد الربوبية واقتصارهم عليه يجمع لهم التوحيدين معاً: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

وهذا خطأ كبير، وكلام الشيخ رحمه الله تعالى لا يحتمل هذا الدس؛ لأنه قد صرَّح أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية يجتمعان عند الإفراد؛ مثل قول القائل: مَن ربُّك؟ (أي؛ من إلهك الذي تعبد؟)، وكذلك قول الملكين للرجل في القبر: مَن ربُّك؛ معناه: مَن إلهك الذي تعبد؟ ثم وضح ذلك بأن الربوبية التي أقرَّ بها المشركون ما يمتحن بها أحد، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقولوا رَبُّنا اللهُ﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقاموا﴾.

قال: «فالربوبية في هذا هي الألوهية، ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة

لها عند الاقتران».

وفي قول الشيخ: «إن الربوبية التي أقرَّ بها المشركون ما يُمْتَحَن بها أحد»: أبلغ ردٍّ على مَن حمل كلامه على غير المراد به، وتوهَّم أنه يؤخذ منه أن الاقتصار على توحيد الربوبية يجمع التوحيدين معاً.

وللشيخ عدة رسائل مذكورة في «مجموعة التوحيد» وفي «الدرر السنية»، قد قرَّر فيها الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهيَّة، ولم يقل في شيء منها: إن الاقتصار على توحيد الربوبية يجمع التوحيدين معاً.

وإذا كان من المعلوم أن المشركين الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم ذٰلك، ولم يدخلوا به في الإسلام؛ فليعلم أيضاً أن مَن قال بقولهم، واقتصر عليه؛ فهو ملحق بهم؛ شاء أم أبى.

وكما أن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لم يكن متضمِّناً للإقرار بتوحيد الألوهية؛ فكذٰلك إقرار التبليغيِّين بتوحيد الربوبية لا يكون متضمِّناً للإقرار بتوحيد الألوهيَّة.

ويزيد هٰذا وضوحاً أن من أصول التبليغيِّين التي يدعون الناس إليها ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت، وتجنُّب ذٰلك بشدَّة والمنع منه بعنف، وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت؛ فهٰذه الأصول الباطلة عند التبليغيِّين تقطع الطريق على المفتون بهم، وتبطل جميع محاولاته في تحسين وضعهم في توحيد الألوهية؛ لأنها أصول صريحة في ترك الاستمساك بالعروة الوثقى التي هي أعظم أصول الإسلام، ولا يتمُّ توحيد الألوهيَّة إلا بالاستمساك بها، ومَن لم يستمسك بها؛ فهو مفلسٌ غاية الإفلاس من توحيد الألوهيَّة.

● **الدعامة الثانية عشرة:**

مجانبة الصدق في وصف أعمال التبليغيِّين بالصفة التي يشهد الواقع بخلافها، وذٰلك في قوله في (ص ٢٢): «إن أعمال الجماعة كلها ظاهرة مكشوفة ومعلنة أمام أنظار جميع الناس؛ كما قيل:

فَسِرِّي كَإِعْلانِي وتِلْكَ خَليقَتي وظُلْمَةُ لَيْلي مِثْلُ ضَوْءِ نَهاري

والجواب أن يُقال: إن كلام المفتون في هٰذه الجملة صريح في قلب الحقيقة والتلبيس على الأغبياء من الناس، وهو مردود بكلامه في رسالته إلى إنعام الحسن ومن معه من كبار مشايخ التبليغيِّين.

فقد قال في (ص ٢ ـ ٤) ما ملخصه: «إن الدعاة الكبار من التبليغيِّين لا يزالون يقومون ببعض الأذكار الصوفية المخالفة لهدي رسول الله ﷺ، الأمر الذي يمنع كثيراً من الناس من الدخول بهٰذه الدعوة؛ لأن كثيراً من الناس إنما يتأثَّرون بالسلوك الشخصي أكثر ممَّا يتأثَّرون بالكلام.

لهٰذا؛ فقد شاهدنا أن بعض من دخلوا في الدعوة خرج منها لهٰذا السبب، ولأن هٰؤلاء الدعاة يقولون للناس دائماً: إن فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة باتباع أوامر الله تعالى على طريق رسول الله ﷺ، ثم هم سرّاً يقومون بأعمال ليس عليها أمر الله ولا أمر رسوله ﷺ؛ إذ لم يعملها رسول الله ﷺ، ولا عملها أصحابه رضي الله عنهم، ولا عملها كذٰلك السلف الصالح من التابعين وغيرهم، ولا عرفها كذٰلك الأئمة الكرام أمثال أبي حنيفة وغيره من الأئمة.

ومن المعلوم أن هٰذه الأذكار المحدثة على الكيفية الموجودة الآن ليست من المسائل المختلف فيها فيعذر أصحابها، وكان المطلوب من الدعاة أن يتجنَّبوا كل شيء يخالف سنة الرسول ﷺ، بل هٰذا مما يتحتَّم، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم؛ كما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

إلى أن قال: «وأما أن يكون للشخص عملان: أحدهما ظاهر يدعو الناس إليه، والآخر: باطن يخفيه عن الناس؛ فهٰذا لا يتفق مع حال المؤمن، وأعاذنا الله جميعاً من حال أهل النفاق، الذين قال الله فيهم: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكانَ اللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً**﴾.

إذ من المعلوم أن الرسول ﷺ لم يخف عن أمته شيئاً، حتى أحواله الداخلية كان نساؤه رضي الله عنهن يروينها للناس، وكان أصحابه أيضاً كذٰلك، فكان كل فرد منهم كما قيل:

فَسِــرِّي كَإِعْــلانِي وتِلْكَ خَليقَتي وظُلْمَــةُ لَيْلِي مِثْــلُ ضَوْءِ نَهــارِي

وأعاذنا الله جميعاً من أحوال المنحرفين عن الصراط المستقيم، الذين خرجوا عن الإسلام، زاعمين أن للإسلام باطناً وظاهراً؛ مثل غلاة الشيعة الذين يسمِّيهم علماء الإسلام باطنية؛ كالإسماعيلية وغيرهم والمتصوفة، ولا يخفى أنه لا يجوز أن نتشبَّه بأهل الباطل، ولا بواحد في المئة» انتهى كلامه.

وهو شاهد عليه باتباع الهوى ومجانبة الصدق في وصفه لأعمال التبليغيِّين بأنها ظاهرة مكشوفة ومعلنة أمام أنظار جميع الناس، وأن سرَّهم مطابق لعلانيتهم.

وليس اتباعه للهوى ومجانبته للصدق مقصوراً على هذه الجملة من كلامه، بل كل ما ذُكر قبلها من دعائم الباطل؛ فهو ممَّا اتَّبع فيه الهوى وجانب قول الصدق.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدُق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور،

وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتَبَ عند الله كذّاباً».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي؛ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

قال: «وفي الباب عن أبي بكر الصديق وعمر وعبدالله بن الشخير وابن عمر رضي الله عنهم».

فليتأمَّل صاحب الكتيِّب هٰذا الحديث حقَّ التأمُّل، وليتَّق الله في نفسه وفي الذين ينخدعون بقوله ويَضِلُّون بسببه، ولا ينس قول الله تعالى: **﴿وَلاَ تُجادِلْ عَنِ الَّذينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثيماً. يَسْتَخْفونَ مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفونَ مِنَ اللهِ وهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتونَ ما لا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وكَانَ اللهُ بما يَعْمَلونَ مُحيطاً. ها أَنْتُمْ هٰؤلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ أَمْ مَنْ يَكونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾**.

وهٰذه الآيات، وإن كانت قد نزلت في شأن بعض المنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ؛ فإن عمومها يشمل كل من تشبَّه بهم في التظاهر بالصلاح وهو في الباطن على خلاف ما يظهره للناس.

ومن عجيب أمر المردود عليه أنَّه قد شبَّه أحوال التبليغيِّين بأحوال الصحابة في مطابقة سرِّهم لعلانيتهم، وأنشد البيت عند ذكر أعمال التبليغيِّين كما أنشده عند ذكر أحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشتان ما بين الصحابة وبين التبليغيِّين! فأما الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن البيت مطابقٌ لأحوالهم غاية المطابقة، وأما التبليغيُّون؛ فإنه مجانبٌ لأعمالهم وأحوالهم غاية المجانبة؛ لأنهم يسرُّون من الأعمال السيئة خلاف ما يظهرونه للناس، ويكفي في بيان

ذلـك ما جاء في رسـالـة المردود عليه إلى إنعام الحسن ومَن معه من مشايخ التبليغيِّين؛ فليراجع ما تقدم ذكره من رسالته[1]؛ ففيه أبلغ ردٍّ عليه.

وقد ذكر سليم بن حسين العقبي، وكان من الذين شايعوا التبليغيِّين وكثَّروا سوادهم وذهبوا معهم إلى الهند، ثم إن الله تعالى مَنَّ عليه بالتخلُّص من براثن التبليغيِّين ومنابذتهم والسخط لأعمالهم، فكتب رسالة جيِّدة جدّاً في بيان ما هم عليه من الغيِّ والضلال، وحذَّر منهم، وبالغ في التحذير، وذكر في آخر رسالته أنه كاتب صاحب الكتيِّب المشؤوم، وناصحه، فكتب إليه بأن يكتم موضوع الهنود.

قلت: وهٰذا يدلُّ على إيثاره لرضى الهنود على رضى الله تعالى.

وذكر آخر من الذين شايعوا التبليغيِّين وكثَّروا سوادهم في نحو من ثمان سنين، وذهبوا معهم إلى الهند.

ثم إن الله تعـالى مَنَّ عليه بالتخلُّص من براثن التبليغيِّين ومنـابذتهم، فكتب رسائل كثيرة جيدة جدّاً في بيان أحوالهم الذميمة، وحذَّر منهم، وبالغ في التحذير، وذكر في بعض رسائله أن صاحب الكتيِّب المشؤوم قد رافق التبليغيِّين بضع سنين، ثم تركهم.

قال: «وذَكَر لي أن من أسباب تركه إياهم ما رأى منهم من مخالفات شرعيَّة».

قال: «ثم إنه عاد إليهم، نعوذ بالله من استحباب العمى على الهدى».

وقد أنكر صاحب الرسالة على صاحب الكتيِّب المشؤوم ما استجازه من تبرئة التبليغيِّين من كل عيب، وأنكر قوله: «إن أعمالهم ظاهرة مكشوفة، يصدق

---

(١) (ص ٢٤٣ ـ ٢٥٤).

عليها قول الشاعر: فسري كإعلاني . . . » إلى آخر البيت الذي تقدَّم ذكره، ثم ردَّ عليه، فأجاد وأفاد، جزاه الله خير الجزاء، وكثَّر في المسلمين من أمثاله.

وقد ذكرت في أول الكتاب جملة من أقوال السلف الصالح في التحذير من أهل البدع والنهي عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم والأمر بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم.

وذكرت عن الفضيل بن عياض: أنه قال: «مَن عظَّم صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام، ومَن أعان صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام، ومن أحبَّ صاحب بدعة؛ أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه».

وقال الفضيل أيضاً: «علامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة».

وقال أيضاً: «مَن جلس إلى صاحب بدعة؛ فاحذروه».

قال: «وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وهم ينهون عن أصحاب البدعة».

إلى غير ذٰلك ممَّا تقدَّم ذكره في أول الكتاب؛ فليراجع[1]؛ فإنه مهمٌّ جدّاً.

وقد قال أبو داود: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدع؛ أترك كلامه؟ قال: «لا، أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة؛ فإن ترك كلامه؛ فكلِّمه، وإلَّا؛ فألحقه به. قال ابن مسعود: المرء بخدنه».

---

(١) (ص ٣١ - ٣٣).

فليتأمل صاحب الكتيِّب المشؤوم هٰذه الرواية عن الإمام أحمد، وليتأمل ما قبلها من أقوال الفضيل بن عياض، وما ذكرته في أول الكتاب من أقوال السلف الصالح في التحذير من أهل البدع والنهي عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم والأمر بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم، وليتَّق الله تعالى، وليحذر من الإصرار على مصاحبة التبليغيِّين والجدال عنهم بالباطل، ولا ينسَ قول النبي ﷺ: «ويلٌ للمصرِّين، الذين يصرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون»، ولا ينس رسالته إلى إنعام الحسن ومَن معه من مشايخ التبليغيِّين وما أنكره عليهم من الشرك والبدع والضلالات والجهالات، ولا ينس أنهم رفضوا الإجابة على رسالته؛ لأنها لم تصادف قبولاً منهم، ومَن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فإنه ينبغي له أن ينابذهم ويعاديهم ويتقرَّب إلى الله ببغضهم وهجرهم، وحيث إنه كان على العكس من ذلك؛ فإنه ينبغي لأهل السنة أن يُلْحِقوه بأهل البدع، ويعاملوه بما يعاملونهم به من البغض والهجر والتجنُّب، حتى يتوبَ وتظهر توبته.

●●●●●

فصلٌ

وقـد رأيت مقـالاً لبعض المنتسبين إلى العلم، ألقـاه في المركز العام لجمـاعـة التبليغ بالـدوحـة في دولة قطر، وقد بذل جهده في تأييد التبليغيِّين والجدال عنهم بالباطل، وقد ذُكِر عنه أنه كان قبل ذٰلك من الذين ينكرون على التبليغيِّين ويبالغون في الردِّ عليهم، ثم إنه أصيب بالحَوْر بعد الكَوْر، فصار يمدحهم، ويطريهم، ويجادل عنهم بالباطل، ويتعسَّف في تطبيق الآيات على بدعهم وأفعالهم التي شرعوها لأنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: «مَن فسَّر القرآن أو الحديث، وتأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفترٍ على الله، ملحدٌ في آيات الله، محرِّف للكلم عن مواضعه، وهٰذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام» انتهى كلامه، وهو في (ص ٢٤٣) من المجلد الثالث عشر من «مجموع الفتاوى».

وقال الشيخ أيضاً في (ص ٣٦١) من المجلد المذكور: «مَن عَدَل عن مذاهب الصحـابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذٰلك؛ كان مخطئاً، بل مبتدعاً» انتهى.

وقد ورد الوعيد الشديد لمَن فسَّر القرآن بغير علم:

وذٰلك فيما رواه: الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبغوي؛ عن

ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال في القرآن بغير علم؛ فليتبوأ مقعده من النار».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وفي رواية لابن جرير: «مَن قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

وفي رواية للترمذي، وابن جرير، والبغوي: «مَن قال في القرآن برأيه؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن».

وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: «مَن تكلَّم في القرآن برأيه؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

وروى: أبو داود، والترمذي، وابن جرير، والبغوي؛ عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال في القرآن برأيه، فأصاب؛ فقد أخطأ».

وروى أبو يعلى بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال في القرآن بغير علم؛ جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار».

قال الترمذي: «هٰكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنَّهم شدَّدوا في هٰذا؛ في أن يفسِّر القرآن بغير علم».

وروى ابن جرير عن عبيدالله بن عمر؛ قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير؛ منهم: سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع».

وقال البغوي: «قال شيخنا الإمام[1] رحمه الله: قد جاء الوعيد في حقِّ مَن قال في القرآن برأيه، وذلك فيمن قال مِن قِبَل نفسه شيئاً من غير علم» انتهى.

فليتأمَّل صاحب المقال ما جاء في الأحاديث من الوعيد الشديد لمَن قال في القرآن بغير علم، وليتأمَّل أيضاً كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك، ولا يأمن أن يكون له نصيب مما جاء في الأحاديث وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وليحاسب نفسه على القول في القرآن بغير علم قبل أن يحاسبه الله على ذلك يوم القيامة.

● وقد سبق لصاحب المقال أنه كتب تفسيراً للقرآن، واستنبط من كلام فرعون والسحرة قبل أن يؤمنوا حكمين أدخلهما في دين الإسلام، وذلك أنه ذكر قول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغالِبينَ . قالَ نَعَمْ وإِنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبينَ**﴾.

ثم قال: «من هداية الآيات:

١ ـ طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة.

٢ ـ مشروعية الترقيات الحكومية لذي الخدمة الجُلَّى للدولة».

انتهى المقصود من كلامه، الذي قد بلغ النهاية في الغرابة والهجنة.

وإن استنباطه الأحكام من كلام عدوِّ الله فرعون ليذكرنا بالقصة التي ذكرها أبو الفرج ابن الجوزي عن بعض المغفَّلين: أنه وعظ قوماً، وقال في آخر

---

(١) هو القاضي حسين بن محمد بن أحمد، أبو علي المرورّوذي، صاحب «التعليقة في فقه الشافعية»، توفي في المحرم سنة اثنتين وستين وأربع مئة.

موعظته: وإني أقول كما قال العبد الصالح: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾!

فتوهَّم هٰذا المغفَّل أن فرعون رجل صالح من أجل قوله لقومه: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾! وما علم الواعظ المتكلِّف أن فرعون بعيد كل البعد عن الصلاح، وأنه من أشد الناس كفراً وعتوّاً وعداوة لله ولرسله!

وفي قصة صاحب التفسير الذي استنبط الأحكام من كلام فرعون والسحرة شَبَهٌ قريبٌ من قصة الواعظ المتكلِّف.

ولا شكَّ أن صاحب التفسير قد زَلَّ زلَّة خطيرة جدّاً، حيث أقدم على القول في القرآن برأيه، واستنبط الأحكام من كلام عدو الله فرعون، وتعرَّض للوعيد الشديد الذي تقدَّم ذكره في الأحاديث، وتعرَّض أيضاً للاتصاف بالصفات الذميمة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية.

● ومن أخطائه في مقاله الذي ألقاه في مركز التبليغيِّين قوله: «مَن ترك ذكر الله وشكره؛ فجريمته أنه دمَّر الملكوت الأعلى بكل ما فيه، وخَرَّب العالم السفلي بكل ما فيه».

والجواب أن يُقال: هٰذا كلام غير معقول، وهو بالهذيان أشبه منه بكلام ذوي العقول.

ويُقال أيضاً: ليس أحد من المخلوقين يقدر على تدمير الملكوت الأعلى بكل ما فيه وتخريب العالم السفلي بكل ما فيه، ولو اجتمع الخلق كلهم على هٰذا؛ لما قدروا عليه، وإنما الله وحده هو القادر على تغيير العالم العلوي والعالم السفلي، وسيكون ذٰلك يوم القيامة؛ كما أخبر الله بذٰلك في آيات من القرآن، وأخبر بذٰلك رسول الله ﷺ في عدة أحاديث صحيحة:

فأما الآيات؛ فكثيرة:

منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإِذا السَّماءُ كُشِطَتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ. وإِذا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذا السَّماءُ انْشَقَّتْ. وأَذِنَتْ لِرَبِّها وحُقَّتْ. وإِذا الأَرْضُ مُدَّتْ. وأَلْقَتْ مَا فيها وتَخَلَّتْ. وأَذِنَتْ لِرَبِّها وحُقَّتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وحُمِلَتِ الأَرْضُ والجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الواقِعَةُ. وانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾.

وأما الأحاديث؛ فكثيرة أيضاً:

منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه.

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ بنحو حديث أبي هريرة.

رواه: البخاري، ومسلم، وابن ماجه.

ومنها حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد! أو يا أبا القاسم! إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزُّهنَّ فيقول: أنا الملك، أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجُّباً مما قال الحبر؛ تصديقاً له، ثم قرأ: **﴿وَمَا قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكونَ﴾**.

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم.

وإذا عُلِم هٰذا؛ فليعلم أيضاً أن جرائم المعرضين عن ذكر الله وشكره إنما يكـون وبالها عليهم لا على غيرهم؛ لأن الله تعالى يقول: **﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾**.

وقال تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾**.

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ﴾**.

وقال تعالى: **﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾**.

وقال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ومَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾**.

إلى غير ذٰلك من الآيات الدالَّة على أن من أساء فإنما يعود وبال ذٰلك عليه دون الناس.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «لا يجني جانٍ إلا على نفسه».

رواه: الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه؛ من حديث سليمان بن عمرو ابن الأحوص عن أبيه رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وروي نحوه من حديث أبي رمثة وأسامة بن شريك والخشخاش العنبري وأبي رزين العقيلي رضي الله عنهم.

وفيما ذكرته من الآيات والأحاديث أبلغ ردٍّ على هذيان صاحب المقال.

● ومن أخطائه أيضاً مجادلته بالباطل عمَّا ابتدعه التبليغيُّون من خروج ثلاثة أيام، وخروج أربعين يوماً، وخروج أربعة أشهر، وخروج عام، فزعم صاحب المقال أن هٰذا الخروج أصوله ومصادره وينابيعه في شريعة الإسلام.

والجواب أن يُقال: هٰذا من الافتراء على الشريعة؛ إذ ليس فيها ما يدلُّ على شيء من بدع التبليغيِّين في تحديد خروجهم في سياحاتهم التي شرعوها لأنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، وقد كان رسول الله ﷺ يبعث الدعاة إلى أحياء العرب، ويبعث الجيوش والسرايا لقتال الكفار، ولم يذكر عنه ﷺ أنه كان يحدِّد لهم الخروج بثلاثة أيام، ولا أربعين يوماً، ولا أربعة أشهر، ولا عام.

وقد قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخالِفونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ**﴾.

وثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ»؛ أي: مردود.

وفي رواية لأحمد: «مَن صنع أمراً من غير أمرنا؛ فهو مردودٌ».

وهٰذه الرواية إسنادها على شرط مسلم.

وروى الإمام أحمد أيضاً وأهل السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وصححه أيضاً: الحاكم، وابن عبدالبر، والذهبي.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، ومسلم، وابن ماجه؛ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

ورواه النسائي بنحوه، وزاد: «وكل ضلالة في النار».

وروى ابن ماجه نحوه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وفي الآيتين من سورة الأحزاب وسورة النور وما ذكر بعدهما من الأحاديث الصحيحة أبلغ ردٍّ على بدع التبليغيِّين في تحديد خروجهم في سياحاتهم بحدود لم يأمر الله بها في كتابه، ولم يأمر بها رسول الله ﷺ، ولم تكن من سنة رسول الله ﷺ ولا من سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وإنما هي ضلالة من الضلالات؛ كما يدلُّ على ذٰلك قول النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة».

وفيها أيضاً أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل الذي افترى على الشريعة

وزعم أن بدع التبليغيِّين لها أصول ومصادر وينابيع في شريعة الإسلام، وهٰذا من اتباعه لخطوات الشيطان التي نهى الله عن اتباعها في قوله:

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ ومَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فإِنَّهُ يَأْمُرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ﴾.

وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّها النَّاسُ كُلوا مِمَّا في الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً ولا تَتَّبِعوا خُطواتِ الشَّيطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ . إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ والفَحْشاءِ وأَنْ تَقولوا عَلى اللهِ مَا لا تَعْلَمونَ﴾**.

● ثم إن صاحب المقال الباطل ذكر ما زعم أنها أصول ومصادر وينابيع لخروج التبليغيين، فقال:

«**أما قال تعالى: (قُلْ تَمَتَّعُوا في دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ)؟! نعم.**

أما علمنا أن مَن أقام بدار أربعة أيام أصبح مقيماً، وعليه أن يتمَّ صلاته ولا يقصرها؟ بداية الأربعة أيام يتمُّ المؤمن صلاته إن نواها وعزم على إقامتها، الثلاثة أيام مسافر.

فرأى الذي وضع هٰذا المنهج جعل **الثلاثة أيام**؛ لأنها أقل مدة القصر.

الأربعون يوماً: حفظنا عن أبي القاسم ﷺ قوله: «مَن صلى في جماعة أربعين يوماً لا تفوته صلاة؛ كتب الله له براءة من النفاق وبراءة من العذاب».

لم اختار الشرع أربعين يوماً؟ لأن هٰذه الفترة تتغيَّر فيها الطباع، تتبدَّل فيها العادات، يكتسب صاحبها عادات جديدة؛ لأنها فترة سبق أن الله أعطاها لموسى؛ إذ قال تعالى: **﴿وَوَاعَدْنا مُوسى ثَلاثينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعينَ لَيْلَةً﴾**؛ أربعين يوماً.

إذن؛ **والأربعة أشهر**: لِمَ من نظام الدعوة أربعة أشهر؟

عرفنا أن الإيلاء ـ وهو أن يحلف الرجل أن لا يطأ امرأته ـ له أن لا يحنث ولا يكفِّر الشهر الأول والثاني والثالث والرابع، إذا كملت الأربعة أشهر: إما أن يكفر عن يمينه ويطأ زوجته، وإما أن تقول: طلِّقني، ووجب طلاقها.

﴿لِلَّذينَ يُؤْلـونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤوا فَإِنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ . وإِنْ عَزَموا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللهَ سَميعٌ عليمٌ﴾.

فالحكيم الذي وضع هذا النظام؛ رأى أن من الناس من تزول غفلته بثلاثة أيام، تعود إليه صحته، إذن؛ ندخله المصحة ثلاثة أيام، آخر مرضه أصعب أشد: أربعين يوماً في المستشفى، يخرج بحمد الله معافى، آخر مرضه متأصِّل يحتاج إلى أربعة أشهر، يرجع بعدها حيّاً سليماً.

فمَن يعيب عليكم هٰذا النظام؛ أعدُّه غافلاً أو جاهلاً: إما لغفلته ما تأمل في الشريعة، وإما لجهله بها».

والجواب أن يُقال: ليس في الأصول والمصادر والينابيع التي ذكرها ما يدلُّ لبـدع التبليغيِّين وتحديدهم مدة الخروج ألبتة، وإنما هو محض التكلُّف والتعسُّف في تأويل الآيات على غير تأويلهـا، والاستـدلال بهـا وبغيرهـا من الأحكام الشرعية على ما لا تدلُّ عليه، وما أشد الخطر في هٰذا!

ــ فأما قوله: «أما قال الله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعوا في دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ)؟».

فجوابه أن يُقال: إنـه قد أخطأ في إيراد هذه الآية خطئين:

الأول: تغييره للكلمـة الأولى؛ حيث قال: (قُـلْ تَمَتَّعوا)، والصواب: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعوا﴾.

الخطأ الثاني: تطبيقه عمل التبليغيِّين في تحديدهم مدة الخروج بثلاثة أيام على مدة إنظار الله لثمود ثلاثة أيام قبل العذاب!!

وهٰـذا من أغرب الاستدلال، وبينه وبين الحق والصواب أبعد ممَّا بين السمـاء والأرض، ولا يتمُّ له هٰذا الاستدلال ويكون مطابقاً؛ إلا بعد أن يشبِّه التبليغيِّين بثمود، فيقول لهم: تمتَّعوا بالخروج ثلاثة أيام، ثم ارتقبوا العذاب؛ كما فعل الله بقوم صالح!

فأما جعل الآية أصلاً ومصدراً وينبوعاً لبدعة التبليغيِّين؛ فهٰذا من القول في القرآن بغير علم، وقد جاء في ذٰلك من الوعيد الشديد ما تقدَّم ذكره قريباً؛ فليراجع، وليراجع أيضاً كلام شيخ الإسلام فيمن يتأوَّل القرآن أو الحديث على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ ففيه أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل.

وأمـا تحديد مدة قصر الصلاة للمسافر؛ فليس فيه ما يتعلَّق به صاحب المقـال في تحـديد خروج التبليغيِّين بثـلاثة أيام، وإنما هو محض التكلُّف، والقول في الأحكام الشرعية بغير علم، والاستدلال بها على ما لا تدلُّ عليه.

ـ وأما قوله: «حفظنا عن أبي القاسم ﷺ قوله: «مَن صلَّى في جماعة أربعين يوماً لا تفوته صلاة؛ كَتَب الله له براءة من النفاق وبراءة من العذاب»».

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن هٰذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث أنس بن مالـك رضي الله عنـه مرفوعاً: «مَن صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى؛ كتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

هذا لفظه عند الترمذي، وقد غيَّر صاحب المقال بعض الكلمات فيه!

الوجه الثاني: أن الترمذي قال بعد إيراده: «هٰذا حديث غير محفوظ، وهو حديث مرسل».

وفي هٰذا ردٌّ لقول صاحب المقال: «حفظنا عن أبي القاسم ﷺ قوله».

الوجه الثالث: أن يُقال: إنه لا يجوز الجزم في شيء من الأحاديث بأنه من قول النبي ﷺ؛ إلا إذا كانٍ إسناده صحيحاً متصلاً من رواية الأثبات عن الأثبات إلى النبي ﷺ، فأما إذا كانت في الإسناد علة تمنع من تصحيح الحديث؛ فإن المحدثين يذكرونه بصيغة التمريض، فيقولون: «رُوي عن النبي ﷺ أنه قال كذا»، و«يُروى عن النبي ﷺ أنه قال كذا»، و«يذكر عن النبي ﷺ أنه قال كذا»، ولا يجزمون بأنه من قول النبي ﷺ لاحتمال أن يكون غير ثابت عنه.

وإذا كان صاحب المقال قد حفظ الحديث الذي تقدَّم ذكره كما زعم ذٰلك، وثبت عنده أنَّه من قول النبي ﷺ كما زعم ذٰلك؛ فعليه أن يذكر له إسناداً صحيحاً متصلاً إلى النبي ﷺ، وليذكر مَن صححه من المحدِّثين؛ حتى يبرأ من عهدة الحديث، وإن لم يفعل؛ فلا يأمن أن يكون له نصيب من التقول على النبي ﷺ.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَن يقل عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري؛ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وهذا لفظ البخاري.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، وابن ماجه؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه.

وروى الإمام أحمد أيضاً عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحو ذٰلك أيضاً.

وروى ابن ماجه عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه أيضاً.

وروى: الإمام أحمد، والبخاري؛ عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن من أعظم الفرى أن يدَّعي الرجل إلى غير أبيه، أو يُرِي عينيه في المنام ما لم تريا، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل».

هٰذا لفظ أحمد، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

فليتأمَّل صاحب المقال هذه الأحاديث حقَّ التأمُّل، ولا يأمن أن يكون له نصيب مما ذُكر فيها من الوعيد الشديد.

الوجه الرابع: أن يُقال: لو فرضنا أن الحديث الذي ذكره صاحب المقال كان صحيحاً ثابتاً عن النبي ﷺ؛ لَما كان فيه ما يتعلَّق به صاحب المقال في تأيد بدعة التبليغيِّين في تحديدهم الخروج بأربعين يوماً؛ إذ ليس من الأصول ولا المصادر ولا الينابيع التي تدل على هذه البدعة لا بالنص ولا بالظاهر ولا بالإشـارة ولا بالإيمـاء، وإنما هو وارد في الحث على التبكير إلى الصلاة مع الجماعة وإدراك التكبيرة الأولى مع الإمام، وقد بوَّب الترمذي على هذا الحديث بقوله: «باب في فضل التكبيرة الأولى».

وحيث إنه لا متعلَّق لصاحب المقال في هٰذا الحديث؛ فإن استدلاله به على بدعة التبليغيِّين ظاهر في التكلُّف والتعسُّف وتحريف الكلم عن مواضعه.

ـ وأما استدلاله على تحديد مدة الخروج عند التبليغيِّين بأربعة أشهر بأنها موافقة لمدة الإيلاء، وهو أن يحلف الرجل أن لا يطأ امرأته؛ فإنه يؤجل أربعة أشهر، فإن فاء بعدها، وإلا أمر بالطلاق.

فجوابه أن يُقال: ليس في حكم الإيلاء ما يتعلَّق به صاحب المقال الباطل في تأييده لبدعة التبليغيِّين، إذ ليس هو من الأصول ولا المصادر ولا الينابيع التي تدل على شيء من بدعهم ألبتَّة، وقياس مدة الخروج عند التبليغيِّين بأربعة أشهر

على مدة الإيلاء من أفسد القياس، ولو أن صاحب المقال الباطل قاس ذٰلك على مدة تأجيل المشركين أربعة أشهر يسيحون فيها في الأرض كما ذكر الله ذلك في أول سورة براءة؛ لكان أقرب إلى الصواب.

ـ وأما قوله: «إن الحكيم الذي وضع هٰذا النظام رأى أن من الناس من تزول غفلته بثلاثة أيام، تعود إليه صحته، إذاً؛ ندخله المصحة ثلاثة أيام، آخر مرضه أصعب، أشد، أربعين يوماً في المستشفى يخرج بحمد الله مُعافى، آخر مرضه متأصل، يحتاج إلى أربعة أشهر، يرجع بعدها حيّاً سليماً، فمَن يعيب عليكم هذا النظام؛ أعده غافلاً أو جاهلاً: إما لغفلته ما تأمل في الشريعة، وإما لجهله بها».

والجواب عن هٰذا من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن الذي وضع النظام للتبليغيِّين ليس بحكيم كما زعم ذلـك صاحب المقـال الباطل، ولكنه من رؤوس أهل البدع الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله.

وإنـه لينطبق عليه ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة؛ لا يهتدون بهـداي، ولا يستنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس».

وفي رواية له أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال في صفة هٰذا الضرب الرديء: «دعاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابهم إليها؛ قذفوه فيها». قال حذيفة رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا. قال: «نعم؛ قوم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا».

فهذا الحديث ينطبق على المفتون الذي وضع للتبليغيِّين نظاماً لم يأمر

الله به ولا رسوله ﷺ.

الوجه الثاني: أن يُقال: كيف يكون حكيماً من كان يرابط على القبور، ويصلي بالجماعة عندها، وينتظر الكشوف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبـور؟! وقد ذكرت ذٰلك عنه وعن ابنه وغيرهما من أكابر التبليغيِّين في عدة مواضع تقدَّم ذكرها.

وكيف يكون حكيماً مَن كان هو وخلفاؤه وأتباعهم يؤمنون بالطرق الأربع من طرق الصـوفية ـ وهي الجشتية والنقشبنـدية والقـادرية والسهـروردية ـ، ويزعمون أنه لو مات أحدٌ ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهليَّة؟! إلى غير ذٰلك من الطامَّات والبلايا التي تقدَّم ذكرها عنهم؛ فليراجع ذٰلك[1].

ومَن كانوا بهٰذه الصفات الذميمة؛ فرئيسهم الذي وضع لهم البدع وشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله بعيد كل البعد عن الحكمة، ولا يصفه بالحكمة إلا مَن هو من أشد الناس غباوة؛ بحيث لا يعرف الفرق بين الحكيم الذي قد تمسَّك بالسنة النبوية وعض عليها بالنواجذ وبين المفتون الذي قد تمسَّك بالبدع ودعا الناس إليها وجعلها سنة له ولأتباعه!

الـوجه الثالث: أن يُقال: إن الأمر في الواقع بخلاف ما زعمه صاحب المقـال البـاطل؛ كما تدل على ذٰلك أحوال السذَّج الذين يقعون في مصايد التبليغيِّين وفخوخهم؛ فإن منهم من تستحكم غفلته في ثلاثة أيام، فتغلب عليه أمراض التبليغيِّين وبدعهم وشبههم وضلالاتهم وجهالاتهم وخرافاتهم، وتفارقه صحة العقيدة السليمة التي كان عليها قبل الانضمام إليهم. ومنهم مَن لا تغلب عليه أمراض التبليغيِّين إلا إذا صحبهم أربعين يوماً. ومنهم من لا تغلب عليه أمـراضهم إلا إذا صحبهم أربعـة أشهـر أو أكثـر من ذٰلـك... وحينئذ يرجع

---

(١) (ص ٣٨ ـ ١٥٠).

المسكين ميت القلب، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً؛ إلا ما أشرب قلبه من بدع التبليغيِّين وشبههم وضلالاتهم وجهالاتهم وخرافاتهم؛ فهٰذا هو الذي يعرفه أهل العلم والبصيرة عن التبليغيِّين وأتباعهم، لا ما يهذو به صاحب المقال الباطل وأشباهه من المداهنين للتبليغيِّين.

ـ وأما قوله: «إن مَن يعيب هٰذا النظام على التبليغيِّين؛ فإنه يعدُّه غافلاً أو جاهلاً: إما لغفلته ما تأمل في الشريعة، وإما لجهله بها».

فجوابه أن يُقال: إن الغافل الجاهل في الحقيقة من يمدح البدع وأهلها، ويجادل عنهم بالباطل، ولا يبالي بما يترتَّب على ذٰلك من مخالفة الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

فأما مخالفته للكتاب؛ ففي مجادلته عن التبليغيِّين الذين يختانون أنفسهم، فيَظْهَرون للناس بالمظهر الحسن، ويستخفون عنهم بالبدع والضلالات وأنواع المخالفات.

وقد تقدم ذكر نموذج من ذلك في الرسالة التي أرسلها بعض المفتونين بهم إلى إنعام الحسن ومَن معه من أكابر مشايخ التبليغيِّين؛ فليراجع[1] ما تقدم ذكره من الرسالة والكلام عليها؛ ففيه بيان ما كان عليه مشايخ التبليغيِّين من مشابهة الذين نهى الله رسوله ﷺ عن المجادلة عنهم في قوله تعالى: ﴿ولا تُجادِلْ عَنِ الَّذينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثيماً . يَسْتَخْفونَ مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفونَ مِنَ اللهِ وهُوَ مَعَهُمْ إذْ يُبَيِّتونَ مَا لا يَرْضى مِنَ القَوْلِ وكانَ اللهُ بِما يَعْمَلونَ مُحيطاً . ها أَنْتُمْ هٰؤلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ أَمْ مَنْ يَكونُ عَلَيْهِمْ وَكيلاً﴾.

وأما مخالفته للسنة؛ ففي ثنائه على المخالفين لها من أهل البدع

(١) (ص ٢٤٣ ـ ٢٥٧).

والضلالة، ورمي من يعيب نظامهم الذي شرعوه لأنفسهم ولأتباعهم بالغفلة أو الجهالة، وقد تناسى ما ثبت عن النبي ﷺ: أنه حثَّ أمته على التمسُّك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأنه حذرهم من محدثات الأمور وبالغ في التحذير منها، وأنه أمرهم برد المحدثات والأعمال التي ليس عليها أمره.

وقد تقدَّم ذكر الأحاديث الواردة في ذلك قريباً؛ فلتراجع[1]؛ ففيها أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل الذي قد بذل جهده في الدفاع عن التبليغيين وعن نظامهم المبتدع.

وأما مخالفته لما كان عليه سلف الأمة وأئمتها؛ ففي مداهنته للتبليغيِّين، واستحسان ما هم عليه من البدع والضلالات، وهذا بخلاف ما كان عليه السلف الصالح؛ فإنهم كانوا يبالغون في التحذير من أهل البدع، وينهون عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم، وكانوا يأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم.

وقد ذكرت بعض الآثار الواردة عنهم في ذلك في أول الكتاب؛ فلتراجع[2]؛ ففيها أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل الذي شذَّ عن أهل السنة والجماعة وظاهر أهل البدعة والضلالة.

● ومن أخطاء صاحب المقال الباطل: زعمه أن التبليغيين يدعون إلى التوحيد عمليّاً؛ أي: بالصمت لا بالنطق.

قال: «فإذا كان الصمت يجدي؛ فليس في حاجة إلى النطق؛ لأنها كلفة لا معنى لها».

والجواب أن يُقال: أن الدعوة إلى التوحيد لا تكون بالصمت، وإنما تكون

(١) (ص ٣١٥).

(٢) (ص ٣١ - ٣٤).

بالنطق؛ كما كان رسول الله ﷺ يفعل؛ فإنه كان يدعو إلى التوحيد بالنطق لا بالصمت، وكذلك كان الأنبياء وأصحاب رسول الله ﷺ يفعلون.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الرَّسولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرْ وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وعَلَيْنا الحِسابُ﴾.

وقال تعالى: ﴿إنْ عَلَيْكَ إلَّا البَلاغُ﴾.

إلى غير ذٰلك من الآيات الدالَّة على أن النبي ﷺ كان يدعو إلى التوحيد بالنطق لا بالصمت.

وقد أخبر الله تعالى عن المرسلين أنهم كانوا يقولون لقومهم: ﴿اعْبُدوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلٰهٍ غَيْرُه﴾.

وقال تعالى: ﴿ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدى اللهُ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾.

والآيات التي أخبر الله فيها عن الرسل أنهم كانوا يدعون قومهم إلى التوحيد بالنطق كثيرة جدّاً.

وقد روى: الإمام أحمد، والبيهقي في «دلائل النبوة»؛ عن ربيعة بن عبَّاد الديلي؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب! يتبعه

حيث ذهب، فسألت عنه؟ فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ، وقالوا لي: هٰذا عمه أبو لهب.

وروى: الإمام أحمد أيضاً، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سريَّة أو جيش؛ أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً، وقال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، فإذا لقيت عدوَّك من المشركين؛ فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خِلال، فأيتهنَّ ما أجابوك؛ فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك؛ فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم» الحديث.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وروى: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! مرنا بأمر نعمل به وندعوا إليه مَن وراءنا. قال: «آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله ـ ثم فسرها فقال ـ: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدُّوا خمس ما غنمتم» الحديث.

قال الترمذي: «هٰذا حديث حسن صحيح».

وروى: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم؛ عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هٰذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه»، فذكر الحديث، وفيه أن رسول الله ﷺ أعطى الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: «انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه» الحديث.

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه بمعناه.

وروى: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأهل السنن؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» الحديث.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وفي رواية للبخاري: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله تعالى».

وفي رواية لمسلم: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزَّ وجلَّ».

وإذا علم أن رسول الله ﷺ كان يدعو إلى التوحيد بالنطق لا بالصمت، وأنه كان يأمر أمراءه وغيرهم من أصحابه بذلك؛ فليعلم أيضاً أنه لا يجوز لأحد أن يخالف الأمر الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ لأن الله تعالى يقول:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن رغب عن سنَّتي؛ فليس مني».

رواه: الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفيما تقدَّم من الآيات والأحاديث أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل، الذي خالف هدي النبي ﷺ، وهدي المرسلين قبله، وهدي الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ في الدعوة إلى التوحيد بالنطق والبيان، وابتدع طريقة للدعوة إلى التوحيد لم يُسبق إليها، وهي الدعوة بالصمت لا بالنطق.

وقد قال النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وقال ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

وفي رواية: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ».

وعلى هٰذا؛ فإن قول صاحب المقال الباطل مردودٌ عليه ومضروبٌ به عرض الحائط.

● ومن أخطاء صاحب المقال الباطل: إنكاره على الذين يقولون: إن التبليغيِّين يعيشون على بدعة، وعلى الذين يقولون في خروجهم جماعات: إنها بدعة.

ثم قال: «والله؛ ما هي ببدعة، والله؛ إن هٰذا سنة».

ثم إنه أكثر الهذيان بعد ذٰلك، وشبَّه خروج التبليغيِّين في سياحاتهم المبتدعة بخروج المسلمين إلى الحج والعمرة.

والجواب أن يُقال:

ـ أما إنكاره على الذين يقولون: «إن التبليغيين يعيشون على بدعة»؛ فهو مردود بما ذكره المطَّلعون على أخبارهم.

وقد ذكرت في أثناء الكتاب عن مشايخهم الكبار قصصاً كثيرة من الشركيَّات والبدع والضلالات والجهالات؛ فلتراجع[1]؛ ففيها أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل الذي قد بذل جهده في الجدال بالباطل عن التبليغيِّين، وبالغ في مدحهم وتزكيتهم وتبرئتهم مما هم واقعون فيه من البدع والضلالات الكثيرة.

---

(١) (ص ٣٨ ـ ١٥٠).

وقد ذكر محمد أسلم الباكستاني في (ص ٤٢) من كتابه المسمى «جماعة التبليغ: «أن جماعة التبليغ تؤمن بالطرق الأربع: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، وتزعم أنه لو مات أحدٌ ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهلية».

وذكر في (ص ٢٣) عن أبي الحسن الندوي ـ وهو من كبار مشايخ التبليغيين ـ: أنه قال: «أقول بطريقة المبايعة الجشتية والنقشبندية والقادرية والسهروردية، وأعمل عليها».

وذكر في (ص ٤٦ ـ ٤٧) كلاماً للشيخ عامر عثماني ـ وهو أحد كبار علماء ديوبند ـ، ذكر فيه عن التبليغيين أشياء كثيرة مما هم واقعون فيه من الشرك والبدع والضلالات؛ فليراجع كلامه مع ما ذكره عنهم محمد أسلم؛ فإن فيه أبلغ ردٍّ على صاحب المقال الباطل الذي أنكر القول بأن التبليغيِّين يعيشون على بدعة.

وأدهى من هٰذا أن التبليغيِّين يعيشون على الجهل بتوحيد الألوهيَّة وفساد العقيدة فيه؛ لأنهم يفسِّرون معنى (لا إلٰه إلا الله)، بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور، فيجعلون توحيد الألوهيَّة هو نفس توحيد الربوبية! فهم في هٰذا الباب لا يزيدون على ما كان عليه أهل الجاهلية الذين بُعِثَ إليهم النبي ﷺ.

بل إن كفار قريش قد عرفوا من معنى لا إلٰه إلا الله ما لم يعرفه التبليغيون، وذٰلك حينما دعاهم النبي ﷺ إلى أن يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾! فقد عرف المشركون أن هٰذه الكلمة تدل على وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة دون ما سواه، وكانوا مع هٰذا يقرُّون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر للأمور؛ كما ذكر الله ذٰلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن، ولم ينفعهم

الإقـرار بتـوحيد الـربـوبية، ولـم يدخلوا به في الإسـلام، ومن تشبَّـه بهم من المنتسبين إلى الإسلام؛ فهو مثلهم.

ومن جهل التبليغيِّين بتوحيد الألوهيَّة وفساد عقيدتهم فيه: أنهم قد تمسَّكوا بمجرَّد التلفُّظ بشهادة أن لا إله إلا الله، مع تركهم التصريح بالكفر بالطاغوت، ومنعهم أتبـاعهم من التصريح بالكفر به، وجعلهم المنع من التصريح بالكفر به أصلاً من أصولهم التي يدعون الناس إليها.

ذكـر ذٰلـك سيف الـرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ١١) من كتابه المسمَّى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية».

وذكر في (ص ١٣) أن من أصول التبليغيِّين تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وبصدد النهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً، مع النداء بها بأسلوب تغليطي عجيب.

وذكر أيضاً أن من أصولهم التجنُّب بشدَّة بل المنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت ومن الصراحة بالنهي عن المنكر وتعليل ذٰلك بأنه يورث العناد لا الصلاح. انتهى.

ومن كانوا بهٰذه الصفة الذميمة؛ فإنه لا حظَّ لهم من الاستمساك بالعروة الوثقى؛ لأنهم قد تركوا أحد الشرطين اللذين لا بدَّ منهما في الاستمساك بها، ومَن ليس لهم حظٌّ من الاستمسـاك بالعـروة الوثقى؛ فانتسابهم إلى الإسلام فيه نظر.

ـ وأما إنكاره على الذين يقولون في خروج التبليغيِّين جماعات: إنها بدعة.

فالجواب عنه أن يُقال: إن خروج التبليغيِّين جماعات، وتحديدهم مدة

الخـروج بثلاثة أيام، أو أربعين يوماً، أو أربعة أشهر، أو سنة؛ كله من البدع والأعمال التي ليس عليها أمر النبي ﷺ، ولم تكن من عمل الصحابة رضي الله عنهم؛ فيجبُ ردُّها عملاً بقول النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ».

وفي رواية: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ».

وفي رواية: «مَن صنع أمراً من غير أمرنا؛ فهو مردود».

ـ وأما قوله: «والله؛ ما هي ببدعة، والله؛ إن هٰذا سنة».

فالجواب عنه أن يُقال: إن صاحب المقال الباطل قد حنث في حلفه على نفي البدعة عن خروج التبليغيِّين جماعات، وعلى إثبات أن خروجهم جماعات سنة، فيمينه في كل من النفي والإثبات يمين كاذبة، شاء أم أبى، وقد جازف وبالغ في المجازفة في حلفه أنها سنة.

وهٰذا من الكذب على النبي ﷺ؛ لأن السنة ما كان ثابتاً عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره، وما لم يكن من أقوال النبي ﷺ ولا من أفعاله ولا من الأمور التي أقرَّها ولم ينكرها؛ فهو من البدع التي يجب ردُّها، ومن هٰذا الباب بدع التبليغيِّين في خروجهم للسياحة وتحديد مدة الخروج بثلاثة أيام أو أربعين يوماً أو أربعة أشهر أو سنة؛ فكل هٰذا من البدع التي يجب ردها والإنكار على مَن زعم أنها سنة.

ـ وأما تشبيهه خروج التبليغيِّين في سياحاتهم المبتدعة بخروج المسلمين إلى الحج والعمرة.

فالجـواب عنـه أن يُقال: إن السفر إلى الحج والعمرة مأمور به شرعاً، والدليل على هذا:

قول الله تعالى: ﴿ولله على النَّاس حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إليهِ سَبيلاً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرَةَ للهِ﴾.

فأما خروج التبليغيِّين إلى سياحاتهم المبتدعة وتجمُّعاتهم التي يعمرونها بإلقاء البيانات عمَّا يزعمونه من حصول الكرامات وما يذكرونه من المنامات التي لا تخلو من تلاعب الشيطان وتضليله؛ فكله من المحدثات التي يجب ردُّها، ومن شبَّه خروج التبليغيِّين في سياحاتهم بالخروج إلى الحج والعمرة؛ فقد أساء وأخطأ في التشبيه.

● وقال صاحب المقال الباطل: «من مبادئكم ـ يعني: مبادىء التبليغيين ـ إكرام المؤمن». قال: «وهٰذا المبدأ يملأ ما بين السماء والأرض».

والجواب أن يُقال: إن هٰذا المبدأ لا يعمل به التبليغيون مع كل مسلم، وإنما يعملون به مع الموافقين لهم والآخذين ببدعهم، وأما المخالفون لهم من المتمسكين بالكتاب والسنة؛ فإنهم يبغضونهم أشد البغض، ويظهرون لهم الجفاء، ويطردونهم من مجتمعاتهم، ويؤذونهم، وربما عاقبوا من يقدرون على عقوبته أشد العقوبة؛ كما تقدَّم ذٰلك في قصتهم مع فاروق حنيف؛ فلتراجع[1]، وليراجع أيضاً ما قبلها من القصص التي تدلُّ على سوء معاملتهم للمتمسِّكين بالكتاب والسنة؛ ففي ذٰلك أبلغ ردٍّ على قول صاحب المقال الباطل: «إن مبدأ إكرام المسلم عند التبليغيِّين يملأ ما بين السماء والأرض».

ومما يرد به عليه أيضاً ما تقدَّم عن بعض مشايخهم ودجَّاليهم الكبار ـ وهو حسين أحمد مؤلف كتاب «الشهاب الثاقب» ـ أنه تسلَّط على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وجازف في سبِّه، وأقذع في ذٰلك؛ من أجل ما كان بينهما من الخلاف في العقيدة.

---

(١) (ص ٥٤ ـ ٥٧).

وتقدَّم أيضاً عن أنور شاه الكشميري ـ وهو من كبار مشايخ التبليغيِّين ـ: أنه تعرَّض لسب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

وتقدَّم في القصة الرابعة من قصص التبليغيِّين: أن أحد أمرائهم قال: «والله؛ لو كان لي من الأمر شيء؛ لأحرقت كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب، ولم أترك على وجه الأرض منها شيئاً».

وتقدَّم في القصة السادسة: أن بعض قادتهم أحرق «الجامع الفريد» ليشفي غيظه وحقده على العقيدة السلفية وأهلها.

إلى غير ذٰلك مما تقدَّم عنهم من البلايا والطامات الكبار والمعاملة السيئة لمشايخ أهل التوحيد وعلمائهم.

فليتأمَّل صاحب المقال ما ذكره العلماء المطَّلعون على أخبار التبليغيِّين وأحوالهم، ولا سيما كتاب سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»، وكتاب محمد أسلم الباكستاني المسمى «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشايخها»، فلعله يتبيَّن له من سوء أحوال التبليغيِّين وأفعالهم ما كان خافياً عليه، فيرجع عن مجازفاته في مدحهم والثناء عليهم بما لا يستحقُّونه، ويعلم أن مبدأهم فيما يزعمونه من إكرام المسلم لا يعدوهم ولا يعدو أتباعهم الذين يسيرون في معيَّتهم؛ فضلاً عن أن يملأ ما بين السماء والأرض.

● ومن أخطاء صاحب المقال الباطل زعمه أن خروج التبليغيِّين للتبليغ خروج في سبيل الله، ثم قال: «ينتقدكم الغافلون أو الجاهلون بأن هٰذا لا يسمَّى جهاداً، وأنتم تقولون: الخروج جهاد، وأنا أقول لكم: روينا عنه ﷺ قوله: «مَن أتى هٰذا المسجد لا يأتيه إلا لخير يعلمه أو يتعلمه؛ كان كالمجاهد في سببل الله»».

والجواب أن يُقال: قد ذكر سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي مساوىء كثيرة من مساوىء التبليغيِّين في كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»، وذكر منها في (ص ٢٤ ـ ٢٥) اعتقادهم في خروجهم للتبليغ أنه الجهاد، بل الجهاد الأكبر، وتطبيق أحاديث الجهاد الشرعي كلها على خروجهم للتبليغ، ﴿سُبْحَانَكَ هٰذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

وقال أيضاً في (ص ٤٣): «وفي التبليغ الجماعي يقولون: إنه الجهاد الأكبر، ويكرهون كل دعوة لا تكون على نمطهم هٰذا، ويمنعون الناس عن الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله في حلقتهم خاصة؛ إلا في كابوس أصولهم وتعاليمهم ومنهجهم، وإلا في نطاق الحكايات والأقوال والأحلام والرؤى الصالحة والفضائل مما يلائم عقائدهم وخرافاتهم، ويبالغون في خروجهم الجماعي للتبليغ مبالغات عجيبة، ويغالون فيه مغالاة ما بعدها مغالاة، يتجاوزون فيها الحدود المعقولة والمنقولة، ويقصر عنها البيان» انتهى.

وقال أيضاً في (ص ٥١): «ومما يُعرف عن هٰؤلاء: أنهم يعتقدون أن من خرج معهم في التبليغ الجماعي؛ فقد جاهد جهاداً كبيراً وأكبر، الذي ما عليه من مزيد إلا التكرار منه؛ فإنهم يرون الخروج معهم في التبليغ الجماعي أفضل من الجهاد بالسيف والقلم، وأفضل من محاربة أعداء الله ورسوله وجهاد في سبيله، وأفضل من الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين، فمن أتى بذٰلك؛ أتى بسنة الأنبياء والمرسلين، وأتى بسنة سيد الأنبياء والمرسلين، وأتى بالذي وكالذي خرج له الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في المعارك وميادين الجهاد» انتهى.

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في أول كتابه المسمى بـ «السراج المنير»: «إن السياحة هي الركن الأساسي عند التبليغيِّين، فمن قبلها واشتغل

بها؛ أحبوه وأكرموه وغفروا له ذنوبه وتقصيره وضلاله وبدعته، ومَن خالفهم فيها؛ لم يقبلوا منه شيئاً، وإن كان مؤدياً لجميع الواجبات، قائماً بالفرائض والسنن، متبعاً لأقوم السنن؛ فهي خلاصة دينهم، عليها يوالون أو يعادون، ويحبون أو يبغضون.

وقد ترتَّبت على دعوتهم مفاسد عظيمة في الدين والدنيا:

فأولها: الابتداع في دين الله، ومخالفة سنة رسول الله ﷺ.

وثانيها: تضييع العيال والوالدين والأزواج وإهدار حقوقهم.

ومنها: صرف المتعلمين عن تعلُّم العلوم النافعة في الدين والدنيا.

ومنها: تعطيل تجارة التجار، وتضييع أهلهم، ومَن يعيش معهم، أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة.

فكم من أولاد فصلوهم عن آبائهم وأمهاتهم، وكم من بعول فصلوهم عن أزواجهم وأولادهم، فصار هٰؤلاء يشتكون إلى الله ثم إلى الناس من هٰذا الإفساد العظيم والتضليل الكبير.

فوجب على مَن كان عنده علم يقلِّل به شرَّ هٰذه الطائفة أن يبرز علمه وأن يظهر للمسلمين ضلالهم وتضليلهم».

إلى أن قال: «إن الأمم السابقة قبل الإسلام كالبرهمية والبدّية كانوا يتعبَّدون بالسياحة المجرَّدة؛ بمعنى أن الإنسان يجب عليه أن يفارق أهله وأحبته ويسيح في الأرض؛ متحملاً كل ما يصيبه من جوع وعطش، ماشياً على قدميه، لا يركب إلا لضرورة، ويقلِّل من الأكل، ويتعرَّض للحرِّ والقرِّ ولفح الشمس ونزول المطر، وقد فعل بُدُّ هٰذه السياحة، وهجر زوجه وابنه، وهام على وجهه خمس سنين».

وقال أيضاً في (ص ٣٠ - ٣١): «يا أصحاب التبليغ! إن هٰذه السياحة التي فتنتم بها الناس، وقطعتم بها الأرحام، وضيَّعتم بها العيال من الأولاد والوالدين والوالدات؛ لو لم تكن مأخوذة من دين البراهمة؛ لكانت بدعة من أقبح البدع، وضلالة من شرِّ الضلالات؛ فكيف وهي عمدة دين عبدة الأصنام في الهند، بل هي كل شيء عندهم؟! فجعلتموها أنتم كل شيء في الإسلام؛ فهٰذا النشاط وهٰذا التعاون يجب أن تصرفوهما في الدعوة إلى سنة رسول الله ﷺ» انتهى المقصود من كلامه، وقد ذكرتُه في أثناء الكتاب[1]، وذكرت قبله كلام الأستاذ سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي[2]، وإنما أعدت ذكر كلامهما ها هنا؛ لما فيه من الرد على صاحبِ المقال الباطل.

- وأما قوله: «ينتقدكم الغافلون أو الجاهلون بأن هٰذا لا يسمى جهاداً».

فجوابه أن يُقال: إن الذين انتقدوا التبليغيِّين في خروجهم للتبليغ؛ كلهم من خيار العلماء، ومن ذوي النباهة والتيقُّظ والاطلاع على أخبار التبليغيِّين وما هم عليه من البدع والضلالات، وليسوا من ذوي الغفلة والجهالة؛ كما قد توهم ذٰلك صاحب المقال الباطل، وإنما المغفَّل الجاهل في الحقيقة مَن ينخدع بأقوال التبليغيِّين ودعاويهم الكاذبة، ويجادل عنهم بالباطل، ويرضى لنفسه أن يكون من المتَّصفين بصفة الإمَّعة[3] من الجهَّال الذين هم أتباع كل ناعق.

- وأما الحديث الذي ذكره؛ فهو حديث صحيح، رواه: الإمام أحمد، وابن ماجه؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) (ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

(٢) (ص ٢١٤ - ٢١٥).

(٣) (الإمَّعة)؛ بكسر الهمزة وتشديد الميم. قال الجوهري: «يُقال: رجل امَّع وإمَّعة أيضاً للَّذي يكون لضعف رأيه مع كل أحد». وقال ابن الأثير: «(الإمَّعة): الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه».

«مَن جاء مسجدي هٰذا؛ لم يأت إلا لخير يتعلَّمه أو يعلِّمه؛ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومَن جاء لغير ذٰلك؛ فهو بمنزلة رجل ينظر إلى متاع غيره».

هٰذا لفظ الحديث في إحدى الروايتين عند أحمد، ونحوه عند ابن ماجه.

وقد غيَّر صاحب المقال الباطل لفظ الحديث، وهٰذا خطأ منه؛ إذ لا يجوز تغيير ألفاظ رسول الله ﷺ.

ثم إنه ليس في الحديث ما يدلُّ على جواز خروج التبليغيِّين للتبليغ، فضلاً عن أن يكون فيه دليل على أن خروجهم من الجهاد في سبيل الله؛ كما قد توهَّم ذٰلك صاحب المقال الباطل، وإنما الذي في الحديث الحث على تعلُّم العلم وتعليمه في مسجد النبي ﷺ، وبيان أن ذٰلك بمنزلة الجهاد في سبيل الله.

وعلى هٰذا؛ فإن الاستدلال به على أن خروج التبليغيِّين للتبليغ من الجهاد في سبيل الله ظاهر في التكلُّف والتعسُّف وحمل الحديث على غير محمله.

وقد تقدَّم في أول الفصل قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من فسر القرآن أو الحديث، وتأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفترٍ على الله، ملحد في آيات الله، محرِّف للكلم عن مواضعه، وهٰذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام».

وقال الشيخ أيضاً: «من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذٰلك؛ كان مخطئاً، بل مبتدعاً» انتهى.

فليتأمَّل صاحب المقال الباطل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا يأمن أن يكون له نصيب من الإلحاد في الحديث الذي تقدَّم ذكره.

● ومن أخطاء صاحب المقال الباطل زعمه أن دعوة التبليغيِّين دعوة ربانية.

والجواب أن يُقال: ما أبعد دعوة التبليغيِّين عن الاتصاف بهٰذه الصفة الحسنة.

وقد تقدم قريباً قول سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي: «إن التبليغيِّين يكـرهون كل دعوة لا تكون على نمطهم، وأنهم يمنعون الناس عن الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله في حلقتهم خاصة؛ إلا في كابوس أصولهم وتعاليمهم ومنهجهم، وإلا في نطاق الحكايات والأقوال والأحلام والرؤى الصالحة والفضائل مما يلائم عقائدهم وخرافاتهم» انتهى.

وفيه أبلغ ردٍّ على من زعم أن دعوة التبليغيِّين دعوة ربانية!

وكيف تكون دعوتهم ربانية وهم مفلسون من توحيد الألوهية والعقيدة السلفية؟!

وكيف تكون دعوتهم ربانية وهم يمنعون أهل العلم من بيان التوحيد والعقيدة السلفية في مجامعهم ومساجدهم، وإذا قام بعض العلماء بالدعوة إلى التوحيد وبيان العقيدة السلفية في شيء من مجامعهم؛ منعوه إن أمكنهم ذٰلك، وإلا نفروا عنه؟! وقد ذكرت قصصهم في ذٰلك في أول الكتاب؛ فلتراجع[1].

وكيف تكون دعوتهم ربَّانية وهم لم يستمسكوا بالعروة الوثقى التي هي أعظم أصول الإسلام؛ فقد جعلوا لهم أصولاً باطلة تخالف هٰذا الأصل العظيم، وتدعو إلى نبذه واطِّراحه: منها ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر، ومنها التجنُّب بشدة والمنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت والنهي

---

(١) (ص ٤٦ - ٥٣).

عن المنكـــر، وتعليل ذلـك بأنـه يورث العنـاد لا الصـلاح؛ كمـا دلت عليه التجارب، ومنها تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر تعطيلاً باتّاً؟!

ذكـر هٰذه الأصول الباطلة عنهم سيف الرحمٰن بن أحمد الدهلوي في (ص ٦١) و(صفحة ١٣) من كتابه المسمى «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية».

ولا يخفى ما يترتَّب على العمل بهٰذه الأصول الباطلة من المخالفة لجميع شرائع المرسلين؛ لأنها كلها متَّفقة على الأمر باجتناب الطاغوت وعلى النهي عن المنكر.

قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾**.

وقـال تعـالى: **﴿لا إكْراهَ في الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصامَ لها﴾**.

والآيات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدّاً، وليس هٰذا موضع ذكرها.

وفي الآيتين من سورة النحل وسورة البقرة مع ما أشرت إليه من الآيات والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبلغ ردٍّ على الأصول الثلاثة من أصول التبليغيِّين.

وفيها أيضاً أبلغ ردٍّ على مَن زعم أن دعوة التبليغيِّين دعوة ربَّانية.

وكيف تكـون ربَّـانية مع تمسُّكهم بالأصول الثلاثة الباطلة، ومخالفتهم

للكتاب والسنة من أجلها، ومخالفتهم أيضاً لما كان عليه الأنبياء والصحابة والتابعون لهم بإحسان من التصريح بالكفر بالطاغوت والتصريح بالنهي عن المنكر والعمل بجميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

وأيضاً؛ فكيف تكون دعوة التبليغيين دعوة ربانية وهم يؤمنون بالطرق الأربع من طرق الصوفية، وهي: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، ويزعمون أنه لو مات أحد ولم يبايع على يد شيخ الطريقة؛ مات ميتة جاهلية؟!

وكيف تكون دعوتهم ربَّانية مع ما ذكر عن أكابرهم أنهم يتيقَّنون أن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب والتصرفات الروحانية والمكاشفات والإلهامات حقٌّ وصدقٌ قطعاً؟!

إلى غير ذلك مما تقدَّم ذكره عن مشايخهم الكبار من الشركيات والبدع والضلالات والجهالات والخرافات التي هي من الأعمال والأحوال الشيطانية؛ فليراجع[1] ما تقدَّم ذكره؛ ففيه أبلغ ردٍّ على مَن زعم أن دعوتهم دعوة ربَّانية.

وهذا آخر ما تيسَّر إيراده في التحذير من جماعة التبليغ.

والله المسؤول أن يريني وإخواني المسلمين الحقَّ حقّاً ويرزقنا اتِّباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبساً علينا، فنضل.

ونسأله تعالى أن يهدي ضالَّ المسلمين، ويثبت المطيعين منهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) (ص ٣٨ - ١٥٠).

وأسأله تعالى أن يوفقني وإخواني المسلمين للتمسُّك بالكتاب والسنة، وأن يجنبنا البدع وأهلها؛ إنه ولي ذٰلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٢٠ / ٢ / ١٤١٢هـ

●●●●●

فهرس «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ»

●●●●●

التنضيد والمونتاج
دار الحسن للنشر والتوزيع
عمان: هاتف/فاكس (٦٤٨٩٧٥) ص.ب (١٨٢٧٤٢)